سبط ابن التعاويذي

من شعراء العراق الفحول في القرن السادس للهجرة

توفي سنة ٥٨٤ هـ • (١١٨٨ م)

بقلم

يوسف يعقوب مسكوني

ساعدت وزارة المعارف على نشره

الطبعة الاولى

١٣٧٨ هـ ــ ١٩٥٩ م

ثمن النسخة الواحدة ٣٥٠ فلسا

مطبعة شفيق ــ بغداد

سبط ابن التعاويذي

من شعراء العراق الفحول فى القرن السادس للهجرة

توفى سنة ٥٨٤ هـ ٠ (١١٨٨ م)

بقلم

يوسف يعقوب مسكوني

ساعدت وزارة المعارف على نشره

الطبعة الاولى

١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٩ م

مطبعة شفيق ـ بغداد

مقدمة المؤلف

باسمك اللهم وبك نستعين

القرن السادس الهجرى من القرون البارزة فى تاريخ العرب والاسلام وبالاخص فى تاريخ الدولة العباسية وهو القرن الذى أتاح الله له خليفة من أذكى الخلفاء العباسيين وأحذقهم وأبصرهم علما ودراية وهو الناصر لدين الله • وقد أمد الله بعمر هذا الخليفة الذى تولى الخلافة سنة خمس وسبعين وخمسمائة للهجرة أى فى أواخر هـذا القرن الذى خرج فيه السلاجقة من بغداد فى عهد الخليفة البطل المقتفى لامر الله الذى تولاهـا سنة ثلاثين وخمسمائة للهجرة • فكانت طلائع هذا القرن بشيرة بتحرر من رق العبودية والذل اللذين حدوا بالدولة العباسـية الى الانقراض السريع لولا الخليفة الناصر الذى حكم سبعا وأربعين سنة سعى فيهـا سعيا حثيثا لاسـتعادة ملك آبائه وأجداده واعادة سلطة الخلافة كما كانت فى أيامهـا الاول وعصرها الاول الذهبى • فيعد الناصر اذن من مخضرمى العصرين السادس والسابع الهجريين حيث كانت وفاته سنة (٦٢٢ هـ) أى سنة (١٢٢٥ م) وقد عمل فعلا على أن يعيد للدولة العباسية مجدها وعزهـا وكرامتهـا الا أن ضعف أخلافه ممن أعقبوه على الخلافة حيث بددوا ما جمعه من المال والثروة لهم وسـرحوا من الجنود ما قام به هـذا الخليفة الذى أحس بخطر الزحف المغولى المتتابع المتسارع • كل هذا أدى الى عدم ايصالها الى سفينة النجاة • فالمستنصر بالله حفيده صرف الاموال على بناء المستنصرية والمستعصم سرح الجيش بحجة عدم الحاجة اليه • وان بغداد بلد مقدس لانه مركز الخلافة دينا ودنيا • ومترجمنا الشاعر سبط ابن التعاويذى ممن شاهد معالم هـذا العصر وأحس بالجهود التى بذلهـا الخليفة الناصر ومن سبقه حيث انتهى دور السلاجقة الذين أعقبوا البويهيين وكان قبل البويهيين الاتراك • ولو قدر لأخلاف هـذا الخليفة نفس العزم والحزم لنجت الدولة العباسية من

تلك الغارة المغولية الشنعاء التى قضت على المعالم والمآثر والتراث فأغرقت البلاد فى بحر من الدماء ولم تشهد مثله بغداد والبلاد الاسلامية قط • وفى دراستنا لديوان هذا الشاعر الفحل الذى شهد له ابن خلكان وغيره من المؤرخين فى قصائده البليغة ومعانيه القيمة ونظمه البديع نجده سجلا تاريخيا لذلك العصر الذى تنفست به الدولة العباسية الصعداء بعد كابوس من عصور سبقت ناءت بكلكلها وفت فى عضدها وكادت تقضى عليها لولا هذا القبس من النور • ومما يمتاز به التعاويذى الشاعر أنه مدح الوزراء بما يستحقون فى رأيه وذمهم فيما يستحقون فى نظره • فخص منهم جماعة بالمدح وخص طائفة اخرى منهم بالقدح والذم • فهجاهم دون أن يخشى بطشهم أو فتكهم به • فكان شاعرا مجدا عنيفا لا تأخذه فى الحق لومة لائم انما كان ينظم ما يوحى اليه ضميره الحى دون خوف أو وجل ودون حساب للعواقب • ومع كل هذا فيظهر من قصائده أنه كان زاهدا فى الدنيا قانعا بشظف العيش وخاصة بعدما أضر حيث آذاه العمى وسد عليه باب العيش تقريبا • فتراه يشكو مرارة العيش فى عدة أبيات من قصائده الغر حتى أن اسلوبه كان ينم بل يدل دلالة واضحة على أدب القرن السادس الهجرى •

فطابع شعره كان انموذجا حيا بل سبيلا واضحا لمن نحا نحوه وسلك منحاه بعد أن اكتسى طابع الشعر والنثر بالمجاز الكثير والتعبير الدخيل على اللغة العربية التى امتزجت امتزاجا فى غضون العصور العباسية اذ اشتملت على أكثر من خمسة قرون تلونت بألوان شتى من نفوذ الاعاجم وأثرهم فى التعبير اللغوى فعربت ألفاظ سريانية أى ارمية ويونانية وتركية وفارسية • وهى اليوم تأخذ مكانتها فى التعبير الفصيح والعامى • هذا والتعاويذى رسول أدب القرن السادس الهجرى ومطلع تجرده من نفوذ الاجنبى والرجوع الى أدب اللغة الحر فى مختلف ميادين الادب العربى فانبعثت اللغة العربية مدة قرن ونصف قبل الهجوم المغولى الذى قضى على كل شىء وأباد كل شىء

ومحا كل شيء حتى الارواح البشرية التي ما كان لها أي ذنب تستحقه سوى انها أمة بل دولة لها أن تعيش ولها أن تحيي ولها أن لا تقبل بالسيطرة الاجنبية التي كانت تجور دون رأفة أو رحمة ودون شفقة أو انصاف اذ كان رائدها البغي وهدفها الطغيان لاظهار جبروتها على عالم دوخ العالم بمبادئه الدينية وسننه العلمية ونشر لواء العروبة ورفع راية الاسلام • وقد كان هذا العمل من صالح الشعوب التي سارت بها نحو الرقي الخلقي والديني والعلمي • فكان لها تاريخ قويم ومجد تليد نظيم ما زالت تفخر به وتعتز وحق لها ذلك بعكس الفتح البربري الغاشم الذي يدك العمران ويقضي على السكان فيترك وراءه همجية دهماء وبربرية شنيعة سوداء لا تبقي على البشرية ولا تذر • هذا والعرب يمتازون عن باقي الشعوب بمزاياهم الكريمة وعطفهم السامي على الضعفاء والمساكين يعملون بسنن الكتاب المبين ويحافظون على عوائدهم التي ورثوها عن السلف • فتراهم في كل جيل بل في كل عصرهم هم لا يبذلون ما نشأوا عليه وما امتازوا به • ولولا دخول الاعاجم وامتزاجهم بهم مما أثر بل أعاق تغلبهم على ما جاء به الدخيل الاجنبي لكانوا صفحة التاريخ الناصعة البياض القائمة على أنبل الشيم والعادات وأفخر المزايا التي ما كانت لأمة تمتاز بها سواهم على ممر الزمن • فهم حملوا مشعل الحضارة بأيديهم يوم كانت الامم تعيش عيش البهائم وتباع بيع الانعام وتساق سوق الاغنام • فهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر • فدانت لهم الامم جمعاء •

هذا والذي دفعني الى دراسة حياة هذا الشاعر الفحل ندورة نسخ ديوانه المطبوعة التي لم تقع بيد فئة كبيرة من الادباء والشعراء وذلك لان المستشرق مرغليوث طبع الديوان سنة (١٣٢١ هـ) أي سنة (١٩٠٣ م) في عهد الدولة العثمانية حيث كانت معالم اللغة العربية مطموسة مهجورة فلما نجد كاتبا نحريرا أو أديبا متضلعا فيها أو شاعرا مجيدا لها اللهم الا جماعات

قلائل كانت في مصر وسورية ولبنان والعراق وكلهم يعدون بالاصابع من كل قطر من تلك الاقطار ذلك لان اللغة التركيـة كانت قد طغت على تلك الربوع في بدء القرن الحاضر • ولم تتنفس اللغة العربية الصعداء الا بعد الحرب العظمى الاولى عند انسلاخ البلاد العربية من الدولة العثمانية التي خرجت من تلك الحرب الضروس خاسرة فاشلة • لذلك أحببت أن أقوم بدراسة للشـاعر سبط ابن التعاويذي بدافع الميل الادبي واخراج المهمل المجهول الى عالم المعرفة وتعرف هذا الشاعر بأدباء هذا البلد العزيز الذي كان حامـلا مشـعل العروبة الصحيحة الحقة ونبراس العلم والادب قبل جملة عصور مرت به كانت عصور دياجير ظلمة وانطماس معالم ومحو أثر لمجد مضى وعز دالت دولتـه على يد المغول ومن أعقبهم من دويلات كانت تتطاحن وتتشاحن من أجل البقاء فيه وتثبيت قدمها فيه لتكتال من منابع ثروة هذا البلد وكنوزه الاثرية الداثرة وثروته القائمة حتى جاء نصر الله والفتح الجديد وتحرر البلد من غاصبيه وقد كان نصر الله قريبا •

بغداد **يوسف يعقوب مسكوني**

ترجمة صاحب الديوان لابن خلكان

أبو الفتح محمد بن عبيدالله الـكاتب المعروف بابن التعاويذى الشاعر المشهور كان أبوه مولى لبنى المظفر واسـمه نشتكين فسماه ولده المذكور عبيدالله وهو سبط ابى محمد المبارك بن المبـارك بن على بن نصر السراج الجوهرى الزاهد المعروف بابن التعاويذى وانما نسب الى جده المذكور لانه كفله صغيرا ونشأ فى حجره فنسب اليه • كان أبو الفتح المذكور شاعر وقته لم يكن فيه مثله جمع شـعره بين جزالة الالفـاظ وعذوبتهـا ورقة المعانى ودقتها وهو فى غاية الحسن والحلاوة وفيما أعتقده لم يكن بمايتى سنة من يضاهيه ولا يؤاخذنى من يقف على هذا الفصل فان ذلك يختلف بميل الطباع ولله در القائل •

وللناس فيما يعشقون مذاهب

وكان كاتبا بديوان(١) المقاطعات ببغداد وعمى فى آخر عمره سنة ٧٩

---

(١) ديوان المقاطعات أو ديوان الاقطاع كمـا ذكره ياقوت الحموى فى ترجمة ابن التعاويذى فى معجم الادباء والمشار اليه آنفا ثم ذكره جرجى زيدان فى الجزء الاول من كتـابه (تاريخ التمدن الاسلامى صفحة ١٠٦) فى بحثه عن تشعب المناصب فى الخلافة فذكر عدة دواوين وذكر أسباب تشكيلها ثم تطرق الى ذكر ديوان الاقطاع بقوله : « وكان الكاتب فى عهد الخلفاء الراشدين هو الذى يتولى الديوان على ما وضعه عمر فيدون ما يرد من أموال الخراج والجزية وغيرهما • وما ينفق على الجند والعمال والقضاة وغيرهم ويتولى مكاتبة العمال • فلما اتسعت أعمـال الدولة تشعب ذلك الديوان الى ما يختص بحسابات الخراج والجزية وهو ديوان الخراج والى ما يختص بالنفقة على الجند وغيرهـم وهو ديوان الزمـام والنفقة • والى ما يتعلق بغير ذلك مثل ديوان الاقطاع وديوان المعادن ••• الى آخر الكلام » وهو يقول فى مكان آخر أى فى صفحة (٨٠ ، ٨١) من الجزء الثانى من الكتاب المذكور « انه كان الخراج المضروب على الارض فى المملكة العباسية يختلف نوعه باختلاف البلاد فبعضها بالمساحة أى أن يضربوا على المساحة المعلومة من الارض مالا معينا فى العام سواء زرعت تلك الارض أم لم تزرع • والبعض الآخر بالمقاسمة أى أن يكون الخراج جزءا من حاصل الارض بعد =

(أى ٥٧٩ هـ) وله فى عماه أشعار كثيرة يرثى بها عينيه ويندب زمان شبابه وتصرفه وكان قد جمع ديوانه بنفسه قبل العمى وعمل له خطبة ظريفة ورتبه أربع فصول وكلما جدده بعد ذلك سماه الزيادات فلهذا يوجد ديوانه فى بعض النسخ خاليا من الزيادات وفى بعضها مكملا بالزيادات ولما عمى كان باسمه راتب فى الديوان فالتمس أن ينقل باسم أولاده فلما نقل كتب الى الامام الناصر لدين الله هذه الابيات يسأل أن يجدد له راتبا مدة حياته وهى التى أولها :

خليفة الله أنت بالدين والدنيا وأمر الاسلام مضطلع(١)

ما ألطف ما توصل الى بلوغ مقصود بهذه الابيات التى لو مرت بالجماد لاستمالته وعطفته فأنعم عليه أمير المؤمنين بالراتب وكان يصله بصلة من(٢) الخشكار الردىء فكتب الى فخرالدين صاحب المخزن أبياتا يشكو من ذلك أولها :

= زرعها واستغلالها ٠٠٠ الخ » فنستدل من هنا ان ديوان الاقطاع أو المقاطعات هو الديوان الذى يشرف على هذا النوع من التقسيم للاستغلال من قبل الملتزم والحصول على الخراج من قبل الدولة الحاكمة ٠ وقد جاء فى ديوان ابن التعاويذى ص ١٤٤ ، ١٤٥ رقم ٩٣ انه كتب الى عضد الدين الوزير ابن رئيس الرؤساء من الحلة حين أرسله يتولى اقطاعه بمعاملة العكبة ـ وهى الوقوف على حاصل الغلة من الاقطاع ـ يشعره بأنه عمل عليه عملة فى داره فى بغداد ويستنهضه فى استعادتها وتطلب الجانى وقد ذكرنا الابيات أيضا فى بحثنا هذا ومطلعها :

يا عضد الدين انت معتمدى   سمعت شيئا قد فت فى عضدى
سمعت أن اللصوص قد دخلوا   دارى فعاثوا فيما حوته يدى

الى آخر الابيات ٠ فنستنتج من هذا انه كان يسافر بنفسه للاشراف على تلك المقاطعات التى كانت فى عهدته وبحكم وظيفته ٠ وجاء فى المجلد الثانى ص ٣٧٥ من ملحق دوزى Dozy's Supplement فى باب قطع (مقاطعة District) عند أرباب العشائر حصة معلومة من البلاد ٠

(١) راجع رقم ١٨٧ ص ٢٧٢ من الديوان كما سترد الابيات فى هذا البحث الادبى ٠

(٢) الخشكار الخبز الاسمر وهو الطحين الممزوج بنخالته ٠

مولاى فخرالدين أنت الى الندى عجل وغيرك محجم متباطى[١]

وكان وزير الديوان العزيز أبو جعفر[٢] ابن البلدى قد عزل أرباب

---

(١) الديوان رقم ٣٢٣ ص ٤٨٧ وسترد هذه القصيدة فى سرد البحث .

(٢) جاء بعنوان (وزارة شرف‌الدين أبى جعفر محمد بن ابى الفتح ابن البلدى للمستنجد بالله ، فى ص ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ من كتاب الفخرى لابن طباطبا مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩٢٣ م ما نصه » :ـ

كان قبل الوزارة ناظرا بواسط فأبان فى مدة ولايته عليها عن قوة وجلادة وارتفاعات نامية وحلوم دارة فعظمت منزلته عند المستنجد وكوتب عن الخليفة الى واسط بما يقضى أن يكون وزيره وتأكد الحال فى ذلك فحكم حكم الوزراء وهو بواسط ووقع وكاتب ملوك الاطراف وهو بواسط ثم اصعد الى بغداد فخرج الموكب لتلقيه وفيه جميع أعيان الدولة وكان عضد الدين أبو الفرج محمد بن رئيس الرؤساء استاذ الدار بينه وبين ابن البلدى كدر فكره عضد الدين الخروج الى تلقيه وقد كان الخليفة تقدم اليه بالخروج فبذل خمسة آلاف دينار على أن يعفى من الخروج اليه فقال الخليفة : ان عجلها نقدا أعفيته من الخروج فوزنت فى الحال وحملت فلما صارت فى الخزن تقدم الخليفة اليه بالخروج لتلقى الوزير . وقيل له هذا المال جناية عن كونك تكره ما نؤثر وتراجع فى التقدمات الشريفة فذهب المال منه وخرج عابرا الى الجانب الغربى صحبة الموكب . ومضى الناس كلهم الى صرصر فتلقوه هناك . فلما وقعت عين عضد الدين استاذ الدار على الوزير أراد عضد الدين أن يترجل فصاح به الوزير : والله لئن ترجلت ترجلت أنا أيضا فخدمه . ثم اعتنقا على ظهور الدواب .

وسار بين يديه ووصل الرئيس الى محاذاة التاج . وعبر فى سفينة وحضر بين يدى الخليفة فشافهه بالوزارة . وخلعت عليه خلع الوزارة وأكد عليه النهوض بالمهام الديوانية فنهض بأعباء الوزارة وما زال أمره على السداد الى أن جرى للمستنجد ما جرى من تغلب عضد الدين استاذ الدار وأكابر الامراء عليه وادخاله الحمام وهو مريض حتى مات من الحرارة ثم أن عضد الدين استاذ الدار أخرج ولده المستضىء وبايعه وشرط عليه شروطا وأحلفه عليها ايمانا مؤكدة منها أن يكون هو وزيرا وأن يكون ولده استاذ الدار وفلان أمير العسكر وفلان كذا وكذا فالتزم المستضىء لهم بذلك وحلف ايمانا غليظة ثم بويع المستضىء فى باطن الدار البيعة الخاصة واستدعى الوزير ابن البلدى ليبايع فلما حضر الدار عزل به الى مكان وضربت عنقه وأخرج فرمى على مزبلة بباب المراتب ثم سحب والقى فى دجلة وكان حسن الطريقة مشكور الاخلاق .

الدواوين وحبسهم وحاسبهم وصادرهم وعاقبهم ونكل بهم فعمل ابن التعاويذى المذكور فى ذلك ما أوله :

يا قاصدا بغداد جز عن بلدة للجور فيها زخرة وعباب[1]

وله فى الوزير المذكور :

يا رب أشكو اليك ضرا انت على كشفه قدير[2]
أليس صرنا الى زمان فيه أبو جعفر وزير

وكتب الى عضد الدين ابى الفرج محمد بن المظفر[3] وهو من أبناء

---

(١) الديوان رقم ٢٤ ص ٤٧ وسترد هذه القصيدة فى سرد البحث ٠

(٢) لم أجد هذين البيتين فى الديوان ولا قصيدة بهذا الوزن أو قافية رائية بها ٠

(٣) جاء بعنوان (شرح حال الوزارة فى أيام المستضىء) ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ من كتاب الفخرى لابن طباطبا مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩٢٣ م ما نصه :ـ

أول وزرائه عضد الدين أبو الفرج محمد بن ابى الفتوح عبدالله بن رئيس الرؤساء الذى كان قبل ذلك استاذ الدار ٠

كان عضد الدين من أفاضل الناس وأعيانهم وكان استاذ الدار فى أيام المستنجد فلما جرى للمستنجد ما جرى استولى عضد الدين ونهض فى اخراج المستضىء من الحبس ومبايعته واحلافه فاستوزره المستضىء ونهض عضد الدين بأعباء الوزارة نهوضا مرضيا وفرق فى يوم جلوسه فى دست الوزارة ذهبا كثيرا وحنطة على المقيمين بالمشاهد والجوامع والمدارس والربط وتلطف بالامور تلطفا لم يكن فى حساب الناس وبيته بيت مشهور بالرياسة يعرفون قديما ببيت الرفيل وكان ابن التعاويذى الشاعر البغدادى شاعرهم ومنقطعا اليهم وأنفق جل عمره معهم ولهم يخاطب بقوله :ـ

قضيت شطر العمر فى مدحكم ظنا بكم أنكم أهله
وعدت أفنيه هجاء لكم فضاع فيكم عمرى كله

وله فيهم مدائح كثيرة فمن جملتها :ـ

ومـا زلت فى آل الرفيل بمعزل عن الجور مبذولا لى الامن والخصب =

موالیه یطلب منه شعیرا لفرسه ما أوله :

= فان أقترف ذنبا بمدح سـواهم — فان خماص الطير يقنصهـا الحب
وان عـاد لى عطف الوزير محمد — فقد اكثب النائى ولان لى الصعب
وزير اذا اعتـل الزمـان فرأيه — هنـاء بـه تطلى خلائقـه الجرب

وما زال أمر عضد الدين يجرى على السداد حتى عزله المستضىء وقبض عليه • وصورة عزله كان يوما جالسا فى الدست فهجم عليه خادم من خدم الخليفة فقال له قد استغنى عنك ثم أطبق دواته ودخل الاتراك والجند الى دوره فنهبوا ما بها ودخل العوام أيضا وكسرت الصناديق الابنوس والعاج بالدبابيس وأخذ جميع ما كان بها فزج عضد الدين وهو يتشاهد ويقول للاتراك أما تستحيون منى ؟ أما دخلتم دارى ؟ أما أكلتم زادى ؟ فلم ينفعه ذلك فلم يمض الا ساعة واحدة حتى صارت داره بلاقع ثم حمل الى الحريم ووكل به هناك مدة ثم أعاده المستضىء الى الوزارة وحكمه وبسطه فصفت له الدنيا وعظم شأنه وكثرت خيراته وهباته وأحبه الناس وكان سخيا وهوبا شريف النفس قيل أنه ما اشترى لداره قط سكرا بأقل من ألف دينار •

حدث عنه بعض مماليكه قال : احتاج مرة الى ألف دينار فأنفت نفسه أن يقترفها من أولاده أو من غيرهم وكان يأنس بى فقـال لى يا ولدى قـد احتجت الى ألف دينار أعيدها عليك بعد أيام فقلت السمع والطاعة يا مولاى ثم مضيت وأحضرت له خمسـة آلاف دينـار وقلت يا مولاى هـذه والله اكتسبتها منك فخذ منها ما شئت فأطرق ساعة ثم قال والله لا أخذت منها حبة واحدة خذها وانصرف ثم أنشد :ــ

والصاحب المتبوع يقبح أن يرى — متتبعا ما فى يدى أتبـاعه

ولم يزل أمره فى الوزارة الثانية جاريا على السداد حتى كان آخر مدنه فطلب من الخليفة الاذن له فى الحج فأذن له فتجهز تجهزا لم ير مثله ثم عبر الى الجانب الغربى من مدينة السلام ليتوجه الى الحلة والكوفة ومنها الى مكة وبين يديه جميع أرباب الدولة فلقيه رجل عند محلة هناك تعرف بقطفتا (وسيأتى شرحها) فقال يا مولانا مظلوم مظلوم وناوله قصة فتناولها الوزير منه فوثب عليه وثبة عالية وضربه بسكين فى ترقوته ووثب عليـه آخر من الجانب الآخر فضربه فى خاصرته ووثب آخر وبيده سكين مسلولة فلم يصل اليه وتكاثر الناس على الثلاثة فقتلوهم ثم مات الوزير وصلى عليـه ودفن فى تربتهم • وقيل أن الثلاثة الذين قتلوه كانوا من الباطنية من جبل السماق وصلى بعض أهل قطفتا قال دخلت قبل قتل الوزير بساعتين الى مسجد هناك فرأيت به ثلاثة رجال وقد قدموا واحدا منهم الى المحراب وأناموه ثم صلى =

مولاى يا من له أياد ليس الى عدها سبيل[1]

وانما وردت هذه المقاطيع من شعره لكونها مستملحة وأما قصائده المشتملة على النسيب والمدح فانها فى نهاية الحسن وصنف كتابا سماه (الحجة والحجاب) يدخل فى مقدار خمس عشرة كراسة وأطال الكلام فيه وهو قليل الوجود • وذكر العماد الاصبهانى فى (كتاب الجزيرة) ان ابن التعاويذى المذكور كان صاحبه لما كان بالعراق فلما انتقل العماد الى الشام

---

(١) الديوان رقم ٢٣٠ ص ٣٥٧ وهى قصيدة فى ثمانية عشر بيتا •

= الرجلان الآخران عليه صلاة الميت ثم قام ونام آخر وصلى الآخران عليه حتى صلى كل واحد منهم على الآخر وأنا أراهم وهم لا يروننى فعجبت مما فعلوا ثم لما قتل الوزير وقتل الثلاثة تأملت وجوههم فاذا هم هم •

(نسبه وحوادث زمانه ووزارته) وهى من سنة ٥٥٥ هـ حتى ٥٧٣ هـ فيكون حكمه فى الوزارة ما يزيد على العشر سنوات بعد استثناء فترات الاقالة والعزل •

عضد الدين أبو الفرج محمد بن عبدالله الابن الاكبر لابى الفتوح عبدالله بن هبةالله بن المظفر بن رئيس الرؤساء المتوفى سنة ٥٤٩ هـ • وقد ولى خلافة أبيه فأشغل ما كان لابيه •

قدم المستنجد بالله الخليفة العباسى عضد الدين بن رئيس الرؤساء (وكان استاذ الدار) فمكنه وعهد اليه بالوزارة فى (سنة ٥٥٥ هـ) •

وفى سنة ٥٦٣ هـ استوزر الخليفة المستنجد بالله شرف الدين أبا جعفر احمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البلدى وكان ناظرا بواسط أيام فى ولايتها عن كفاية عظيمة فأحضره الخليفة واستوزره وكان عضد الدين أبو الفرج بن رئيس الرؤساء قد تحكم تحكما عظيما فتقدم الخليفة الى ابن البلدى بكف يده وأيدى أهله وأصحابه ففعل ذلك ووكل بتاج الدين اخى استاذ الدار (وقد ذكرنا ترجمته فى غير هذا المكان نقلا عن الخريدة للعماد الاصبهانى) وطالبه بحساب (نهر الملك) لانه كان يتولاه من أيام المقتفى وكذلك فعل بغيره فحصل بذلك أموالا جمة وخافه استاذ الدار على نفسه فحمل مالا كثيرا •

وفى سنة ٥٦٩ هـ • أمر الخليفة المستضىء بالله باعادة عضد الدين ابن رئيس الرؤساء الى الوزارة فمنع منه قطب الدين واغلق باب النوبى وباب العامة وبقيت دار الخليفة كالمحاصرة فأجاب الخليفة الى ترك وزارته فقال قطب الدين لا أمنع الا باخراج عضد الدين من بغداد فأمر بالخروج =

واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى كتب اليه ابن التعاويذى رسالة وقصيدة يطلب منه فروة وذكر الرسالة وهى : قد كلف مكارمه وان

= منهـا فالتجأ الى صدر الدين شـيخ الشيوخ عبدالرحيم بن اسـماعيل فأخذه الى رباطه وأجاره ونقله الى دار الوزير بقطفتا (وهى محلة فى الجانب الغربى من بغـداد وسيأتى شرح معناهـا) فأقام بهـا ثم عاد الى بيته فى جمادى الآخرة ٠

فى سنة ٥٧٠ هـ لما هرب قطب الدين خلع الخليفة على عضد الدين الوزير وأعيد الى الوزارة ٠

وفى رابع ذى القعدة من سنة ٥٧٣ هـ ٠ قتل عضد الدين أبو الفرج محمد بن عبدالله بن هبةالله بن المظفر بن رئيس الرؤساء ابى القاسم بن المسلمة وزير الخليفة وكان قد عزم على الحج فعبر دجلة ليسير وعبر معه أرباب المناصب وهو فى موكب عظيم وتقدم الى أصحابه أن لا يمنعوا عنه أحدا فلما وصل الى باب قطيبا (ولعله قطفتا وهو الاصح) لقيه كهل فقال أنا مظلوم وتقدم ليسمع الوزير كلامه فضربه بسكين فى خاصرته فصاح الوزير قتلنى ووقع من الدابة وسقطت عمامته فغطى رأسه بكمه وضرب الباطنى بسيف وعاد الى الوزير فضربه وأقبل حاجب الباب ابن المعوج لينصر الوزير فضربه الباطنى بسكين وقيل بل ضربه رفيق كان للباطنى ثم قتل الباطنى ورفيقه وكان لهما رفيق ثالث فصاح وبيده سكين فقتل ولم يعمل شيئا وأحرقوا ثلاثتهم وحمل الوزير الى دار له هناك وحمل حاجب الباب مجروحا الى بيته فمات هو والوزير وحمل الوزير فدفن عند أبيـه بمقبرة الرباط عند جامع المنصور وكان الوزير قد رأى فى المنام أنه معانق عثمان ابن عفان وحكى عنه والده أنه اغتسل قبل خروجه وقال هذا غسل الاسلام وأنا مقتول بلا شك وكان مولده فى جمادى الاولى سنة اربع عشرة وخمسمائة وكان ابوه استاذ دار المقتفى لامر الله فلما مات ولى هو مكانه كذلك الى أن مات المقتفى فأقره المستنجد على ذلك ورفع قدره فلما ولى المستضىء استوزره وكان حافظا للقرآن سـمع الحديث وله معروف كثير وكانت داره مجمعـا للعلماء وختمت أعماله بالشهادة وهو على قصد الحج ٠

ومن حوادث سنة ٥٧٥ هـ وفاة المستضىء بأمر الله وبدء خلافة الناصر لدين الله وكان من وزرائه عضد الدين أبو الفرج بن رئيس الرؤساء الى أن قتل فى ذى القعدة من سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ٠ راجع (الكامل لابن الاثير طبعة ليدن ج ١١ ص ١٣٢ ، ١٧٠ ، ٢١٩ ، ٢٧٠ ، ٢٨٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٣٠٣) ٠

لم يكن للجود عليها كلفة • وأتحفه بما وجه اليـه وهو لعمر الله تحفه • أهدى فروة دمشقية سرية نقية • يلين لمسها ويزين لبسها • دباغتها نظيفة • وخياطتها لطيفة طويلة كطوله • سابغة كانعمه • حاليـة كذكره • جميلة كفعله واسعة كصدره نقيـة كعرضـه • رفيعـة كقدره • موشية كنظمه ونثره • ظاهرها كظاهره وباطنها كباطنه • يتجمل بها اللابس • ويتحلى بها المجالس هي لخادمه سربال وله حرس الله مجده جبال • يشكره عليها من لم يلبسها • ويثنى عليها بها من لم يتدرعها • يذهب خميلة وبرها • ويبقى حميدة أثرها • ويخلق اهابها وجلدها ويتجدد شكرها وحمدها • وقد نظم أبياتا ركب في نظمهـا الغرر • وأهدى بهـا التمر الى هجر • الا أنه قد عرض الطيب على عطاره • ووضع الثوب في يد بزازه وأحل الثنـاء في محله • وجمع بين الفضل وأهله • وهو في حسبه وخفارة كرمه ثم ذكر القصيدة التى أولها :

بأبى من ذبت في السـحب لـه شـــوقا وصبوه

وهى موجودة في ديوانه[١] وكتب العماد جواب القصيدة على هذا الروى أيضا وهما طويلتان وذكر العماد قبل ذكر الرسـالة والقصيدة في حقه هو شاب فيه فضل وآداب ورياسة وكياسـة • ومروة • وابوة وفتوة جمعنى واياه صدق العقيدة في عقد الصداقة وقد كملت فيه اسباب الظرف واللطف واللياقة • ثم أتى بالرسالة والقصيدة وجوابها وهذه الرسالة لم أر مثلها في بابها سوى ما يأتى في ترجمة بهاءالدين بن شداد في حرف الباء ان شاء الله تعالى فان ابن خروف المغربي كتب اليه رسالة بديعة يستجديه فروه مرط[٢] وكانت ولادة ابن التعاويذى المبحوث عنها في العاشر من شهر رجب سنة تسع عشرة وخمسمائة وتوفى في ثاني شوال سنة أربع وثمانين وقيل ثلاث وثمانين

---

(١) الديوان رقم ٢٩٢ ص ٤٥٣ وهى في واحد وخمسين بيتا •

(٢) الفروة المرط : تكون اما من الصوف أو الحرير •

وخمسمائة ببغداد ودفن في (باب أبرز) رحمه الله تعالى • وقال ابن النجار في تاريخه : مولده يوم الجمعة ومات يوم السبت ثامن عشر شوال والتعاويذي بفتح التاء المثناة من فوقها والعين المهملة وكسر الواو بعد الالف وبعدها ياء مثناة من تحتها ثم ذال معجمة • هذه النسبة الى كنية التعاويذ وهي الحروز واشتهر بها أبو محمد المبارك بن المبارك بن السراج التعاويذي البغدادي الزاهد المقدم ذكره في أول هذه الترجمة وكان صالحا • ذكره ابن السمعاني في كتاب الذيل وكتاب الانساب وقال لعل أباه كان يرقى ويكتب التعاويذ وسمع منه ابن السمعاني المذكور وقال سألته عن مولده فقال ولدت في سنة ست وسبعين واربعمائة بالكرخ وتوفي في جمادى الاولى من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ودفن بمقبرة الشونيزي[1] رحمه الله تعالى وقال السمعاني أنشدني أبو محمد المذكور لنفسه •

اجعل همومك واحدا   وتخل عن كل الهموم
فعساك أن تحظى بما   يغنيك عن كل العلوم

ثم قال لي ابن التعاويذي ما قلت من الشعر غير هذين البيتين •

وقبل أن نختتم ترجمة ابن التعاويذي عن ابن خلكان فقط نود أن نورد مصادر اخرى ذكرت وفاته وشيئا عن حياته وان لم تزد عن ابن خلكان ولكنها اختلفت في سني الوفاة مع أن البعض منها اتفق مع رواية ابن خلكان • فقد ذكره ابن كثير في وفيات سنة ٥٨٣ هـ • بقوله : « محمد بن عبيدالله بن عبدالله سبط بن التعاويذي الشاعر • ثم أضر في آخر عمره

---

(١) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان في مادة (الشونيزية) بالضم ثم السكون ثم نون مكسورة وياء مثناة من تحت ساكنة وزاي وآخره ياء النسبة • مقبرة ببغداد بالجانب الغربي دفن فيها جماعة كثيرة من الصالحين ••• منهم الجنيد وجعفر الخلدي ورويم وسمنون المحب وهناك خانقاه للصوفية (ج ٥ ص ٢١٠ مطبعة السعادة مصر سنة ١٩٠٦م) •

وجاوز الستين توفى فى شوال[١] » أما ياقوت الحموى فقد أفرد له ترجمة ضافية ذاكرا كثيرا من شعره مشيرا الى مراسلته للسلطان صلاح الدين الايوبى وذلك بقوله :ـ « انه كان كاتبا بديوان الاقطاع[٢] بغداد واجتمع به العماد الكاتب الاصفهانى لما كان بالعراق وصحبه مدة فلما انتقل العماد الى الشام واتصل بالسلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب كان ابن التعاويذى يراسله فكان بينهما مراسلات ذكر بعضها العماد فى الخريدة وعمى أبو الفتح فى آخر عمره سنة ٥٧٩ هـ ٠ وله فى ذلك أشعار كثيرة يندب بها بصره وزمان شبابه ومدح السلطان صلاح الدين بثلاث قصائد أنفذها اليه من بغداد أحداها عارض بها قصيدة ابى منصور على بن الحسن المعروف بـ (صردر) التى اولها :ـ

أكذا يجازى ود كل قرين ... الخ وقد بسطنا ذلك فى ترجمة ابن المعلم الواسطى أحد معاصرى ابن التعاويذى ٠ أما قصيدة ابن التعاويذى فى السلطان المذكور فأود أن أنشرها ههنا كاملة لنفاستها وقوة بلاغتها فى حين أن ياقوت ذكر منها فى الترجمة المذكورة هذه ثلاثة وثلاثين بيتا فى حين أنها فى الديوان فى واحد وسبعين بيتا واليك اياها كاملة :ـ

قال يمدح صلاح الدين يوسف بن ايوب وأرسلها الى دمشق سنة ٥٧٥ هـ (من الكامل) :ـ

ان كان دينك فى الصبابة دينى … فقف المطى برملتى يبرين
وألثم ثرى لو شارفت بى هضبه … أيدى المطى لثمته بجفونى
وانشد فؤادى فى الظباء معرضا … فبغير غزلان الصريم جنونى
ونشيدتى بين الخيام وانما … غالطت عنها بالظباء العين

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٢ ص ٣٢٩ مطبعة السعادة بمصر ٠

(٢) ورد فى ديوان ابن التعاويذى انه كان كاتبا فى ديوان المقاطعات لا الاقطاع (الديوان ص ٨) ٠

لولا العدى لم أكن عن ألحاظهـا   وقدودهـا بجوازىء وغصون
لله ما اشتملت عليـه قبابهم   يوم النـوى من لؤلؤ مكنون
من كل تائهة على أترابهـا   بالحسن غانيـة عن التحسين
خود ترى قمر السـماء اذا بدت   مـا بين سـالفة وبين جبينى
غادين ما لمعت بروق ثغورهم   الا استهلت بالدموع جفونى
ان تنكروا نفس الصبـا فلأنهـا   مرت بزفرة قلبـى المحـزون
واذا الركائب فى الجبـال تلفتت   فحنينهـا لتلفتى وحنينـى
يا سلم ان ضاعت عهودى عنـدكم   فأنا الذى استودعت غير أمين
أو عدت مغبونا فما أنا فى الهوى   لـكم بأول عاشـق مغبـون
رفقا فقد عسف الغرام بمطلق العبرات فى أسـر الغرام رهين
ما لى ووصل الغانيات أرومه   ولقـد بخلن علىّ بالمـاعون
وعلام أشكو والدمـاء مطاحة   بلحاظهن اذا لوين ديونـى
هيهات مـا للبيض فى ود امرىء   أرب وقـد أربى على الخمسـين
ومن البليـة أن تكون مطالبـى   جـدوى بخيـل أو وفـاء خؤون
ليت الضنـين على المحب بوصلـه   لقن السـماحة من صـلاح الدين
ملك اذا علقت يـد بذمامـه   علقت بحبل فى الوفـاء متين
قاد الجياد معاقلا وان اكتفى   بمعاقل من رأيه وحصـون
وأعد للاعـداء كل مهنـد   ومثقف ومضـاعف موضون
سـهرت جفون عـداه خيفة ماجد   خلقت صوارمـه بغـير جفون
لو أن لليث الهزبر سـطاه لم   يلجأ الى غاب له وعرين
والبحر لو مزجت به أخلاقه   عادت مياه البحر غير أجون

والارض لو شيبت بطيب ثنـاه لم تنبت سوى الخيرى والنسرين
والدهر لو اعداه طيب طباعه ما شين من أبنـــائه بضنين
قسما لقد فضل ابن ايوب الحيـا بسـماح كف بالنضـار هتون
مخلوقه من سـؤدد وندى وقـد خلق الانام سـلالة من طين
يا من اذا نزل الوفود ببابه نزلوا بجم من نـداه معـين
أضحت دمشق وقد حللت بربعها مأوى الطريد وموئل المسكين
وغـدت بعدلك وهى أكرم منزل تلقى الرحال به وخير قطين
يثنى عليك المعتفون بهـا كما تثنى الرياض على السحاب الجون
لك عفـة فى قدرة وتواضع فى عزة وشـراسة فى لـين
قسـمت يمينك فى الورى الارزاق والآجـال بـين منى وبـين منـون
وأريتنـا بجميـل صنعك مـا روى الراوون عن أمـم خلت وقـرون
وضمنت أن تحيى لنا أيامهم بالمكرمـات وكنت خير ضمين
كاد الاعادى أن يصيبك كيدهـا لو لم تكدك برأيهـا المأفون
تخفى عداوتهـا وراء بشـاشة فتشف عن نظر لها مشفون
دفنت حبائل مكرها فرددتهـا تدوى بغيظ صدورها المدفون
وعلمت مـا أخفوا كأن قلوبهـم أفضت اليك بسرهـا المخزون
كمنوا وكم لك من كمين سـعادة فى الغيب يظهـر من وراء كمين
فهوت نجوم سـعودهم وقضى لهم بالنحس طائـر جدك الميمون
وتمل دولتـك التى حكمت لك الاقـدار بالتأييد والتمكين
واليك بكرا من ثنائك حرة تختـال فى وشى العوافى العون
غراء ما دنست ملابسها على أيـدى اللئـام بنائـل ممنون

أرج الثناء يفوح من أثنائها وكأنما جاءتك من دارين
كم سامنى فيها البخيل ولم أكن لأشين رونق حسنها بمشين
أتراه يطمع أن يصون شراءه عنى ووجهى عنه غير مصون
فاجعل قبولك واهتزازك مهرها واظفر بعلق فى الثناء ثمين
وأبيك ما سامحت فى ارسالها دونى لأنى قانع بالدون
كلا ولا انى أراع لنية قذف على أيدى المطى شطون
لكن أصيبية لوقع فراقهم فى القلب وقع اللهذم المسنون
لولاهم ما قادنى أمل ولا علقت بأسباب الرجاء ظنونى
قسما بما قصد الحجيج له وما ضمته مكة من صفا وحجون
وبكل أشعث كالحنية شاحب يهوى به حرف كحرف النون
وبكل دامية الأظل شملة وجناء فتلاء الذراع أمون
منظومة نظم السطور يعوم بحر الآل منها ركبها بسفين
لولاك لم يشدد على ظهر المنى رحلى ولم يعلق عليه وضينى
ولطالما عفت المطالب قبلها ونفضت من جدوى الملوك يمينى
فاذا أنخت فى عراصك عيسها فاعلم أبيت اللعن علم يقين
أنى امرؤ هجر المطامع مذهبى والصون عادى والقناعة دينى
لا الفقر يلبسنى لباس مذلة ضرعا ولا ثوب الغنى يطغينى
والبحر عندى حين أطمع نغبة واذا قنعت فبلغة تكفينى
قد هذبتنى للزمان تجارب فأقاد صعبى واستلان حرونى
شحذت لياليه غرار خلائقى بصياقل من صرفها وقيون
فاليوم لا أنا حاسد لثراء من فوقى ولا زار على من دونى

ولقد رقدت وللزمان قوارض تعتادنى وشوائب تصمينى
أغضى عليها والاباء يهب بى « قوض خيامك عن ديار الهون
واقصد حمى ملك عزيز جاره سامى الذوائب شامخ العرنين
واهد الثناء الى أعز فسيح اقطار المحامد بالثناء قمين »(١)

وهذه القصيدة العصماء ليست اولى قصائده فى السلطان صلاح الدين الايوبى انما أولاها هى البائية التى قالها فيه يعاتبه على تسويته بغيره من الشعراء فى العطاء والتى أنفذها اليه بمصر سنة **٥٧٤** هـ وهى فى ثمانية وسبعين بيتا هذا مطلعها وأبيات منها اذ أن ايرادها كلها يتطلب مجالا واسعا قال :ـ

سرب مها أم دمى محاريب أم فتيات الحى الأعاريب
هيهات أين المها اذا اتصف الحسن من الخرد الرعابيب
ان شابهتها ففى البداوة والاخلاق لا فى الجمال والطيب
هن اللواتى وان أرقن دمى يعذب فى حبهن تعذيبى

ثم يقول :

واسأل كثيبى رمال عن رشأ عنا بسحر الرماح محجوب
واعجب لجسم فى جنب كاظمة ثاو وقلب فى الركب مخبوب
الملك العادل الذى كشف الله به هم كل مكروب
حامى ثغور الاسلام بالهندوانيات والضمر السراحيب

الى أن يقول :

سلطان أرض الله الذى ضمنت رماحه نصر كل محروب

(١) الديوان ص ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ رقم ٢٧٠ .

وبعد ذلك يقول :

مد على الارض ظل معدلة تجمع بين المهاة والذيب

وفى معاتبته يقول له مخاطبا اياه :

وكان يا يوسف السماح بنا الى عطاياك شوق يعقوب
حاشاك أن ترسل الصلات على غير نظام وغير ترتيب

سويت بى فى العطاء من لا يجا رينى فى مذهبى واسلوبى
وغير بدع فالسحب ما برحت يقل منها حظ الأهاضيب

وهكذا يسير فى هذا اللوم والعتاب اللطيفين حتى يستلطفه بقوله خاتما قصيده بقوله :

فلا عدمنا جدواك من هتن مجلجل بالنوال أسكوب
ولا خلا جودك المؤمل من وفد ثناء اليه مجلوب[1]

ثم يمدحه ويصف الخلع التى أنفذت اليه من الدار العزيزة ويهنئه بها وأنفذها على يد رسوله الى دمشق سنة ثمانين وخمسمائة الهجرية وهى بائية أيضا عصماء ذكر أبياتا منها ياقوت فى معجم الادباء فى ترجمة ابن التعاويذى وهذا مطلعها وأبيات منها وهى فى ستة وسبعين بيتا قال :

حتام أرضى فى هواك وتغضب والى متى تجنى علىّ وتعتب
ما كان لى لولا ملالك زلة لما مللت زعمت انى مذنب
خذ فى افانين الصدود فان لى قلبا على العلات لا يتغلب
أتظننى أضمرت بعدك سلوة هيهات عطفك من سلوى أقرب
لى فيك نار جوانح ما تنطفى حرقا وماء مدامع ما ينضب

(١) الديوان ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ رقم ١١ .

أنسيت أياما لنا ولياليا | للهو فيها والبطالة ملعب
أيام لا الواشي يعد ضلالة | ولهى عليك ولا العذول يؤنب
قد كنت تنصفني المودة راكبا | في الحب من أخطاره ما أركب
فاليوم أقنع أن يمر بمضجعي | في النوم طيف خيالك المتأوب
ما خلت أوراق الصبى تذوى نضا | رتها ولا ثوب الشبيبة يسلب
حتى انجلى ليل الغواية واهتدى | سارى الدجى وانجاب ذاك الغيهب
وتنافر البيض الحسان فأعرضت | عنى سعاد وأنكرتني زينب
قالت وريعت من بياض مفارقي | وشحوب جسمي بان منك الأطيب
أن تنقمي سقمي فخصرك ناحل | أو تنكرى شيبي فثغرك أشنب
يا طالبا بعد المشيب غضارة | من عيشه ذهب الزمان المذهب
أتروم بعد الاربعين تعدها | وصل الدما هيهات عز المطلب

ثم يقول منها :

فلتشكرنك امة تحنو على | ضعفائها حدبا كما يحنو الاب
واخلع قلوب الناكثين بلبسها | خلعا الى شرف الخلافة تنسب
فرجية وشي يكاد شعاعها الذهبى بالابصار حسنا يذهب
وعمامة ما تاج كسرى مثلها | فيالفخر وهو برأس كسرى يعصب
ومهند طبعته قحطان وأهدته الى مضر قديما يعرب
يغرى بجوهره وماء صقاله | ومضاء عزمك فهو قاض مقضب

ثم يختتم القصيد بهذه الابيات الثلاثة :

فاسحب ثياب سعادة فضلا لسابغها على ظهر المجرة مسحب
وتمل ما خولتها من دولة | غراء طالع سعدها لا يغرب

في نعمة أيامهـــا لا تنقضي   وسعادة سـلطانها لا يغلب[1]

أما القصيدة الثالثة فهى لامية قالها فى مدح القاضى الفاضل عبدالرحيم ابن البيسانى ويسـأله عرض قصيدته التى كانت أول مدحـه صلاحالدين وذلك فى سنة ٥٧٠ هـ ٠ (وهى من الكامل) فى سبعة وخمسين بيتا هـذا مطلعها وأبيات منها :

امط اللثام عن العذار السائل   ليقوم عـذرى فيـك عنـد عواذلى
واغمـد لحاظك قـد فللن تجلدى   واكفف سـهامك قد أصبن مقاتلى
لا تجمع الشـــوق المبرح والقلى   والبين لى احد الثلثة قاتلى
يكفيك مـا تذكيـه بين جوانحى   لهـواك نـار لواعجى وبلابلى
وهنـاك انى لا ادين صبـابة   لهوى سواك ولا ألين لعاذل

وهكذا يسير فى هذا الغزل الجميل الى أن يقول :

تصمى نبال جفونه قلبى ولا   شلت وان أصمت يمين النابل
ويهز قـدا كالقنـــاة لحـاظه   لمحبه منهـــا مكـان العامـــل
عانقتـه أبكى ويبســـم ثغـره   كالبرق أو مض فى غمـام هاطل
فألين فى الشـكوى لقاس قلبـــه   وأجد فى وصف الغـرام الهـازل

حتى يأتى الى قوله :

ملك يجير من الحوادث جـاره   ويخيل سـائله دعاء السـائل
خلقت أناملـه لأرقش نافث   حتف العدى ولمنصل ولذابل
كم غارة شـعواء جـدل أسـدها   يوم الكريهة عن متون أجـادل
فينال ما أعيا الأسنة والظبى   بأســنة من رأيـه ومناصـــل

---

(١) الديوان ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ رقم ١٢ ٠

ثم يخاطبه أن يرفع المدح شعرا الى الملك الرحيم بقوله :

فارفع اذا عرضت عليك قصائدى   مدحى الى الملك الرحيم العادل

وأكثرها بديع من المنظوم نكتفى منها بهذا القدر . أما الابيات التى ذكرها ياقوت فى معجم الادباء والتى عد ها من قصائده الثلاث فى السلطان صلاح الدين الايوبى وهى أربعة أبيات فقط فقد جاءت فى ديوانه المطبوع ص (٣٣٣ رقم ٢١) ان ابن التعاويذى كتب بها فى أثناء رقعة رفعها الى ابن البخارى (من المتقارب) هذه هى :

فلا يضجرنك ازدحام الوفود   عليك وكثرة ما تبذل

فانك فى زمن ليس فيه   جواد سواك ولا مفضل

وقد قل فى أهله المنعمون   وقد كثر البائس المرمل

وما فيه غيرك من يستماح   وما فيه الاك من يسأل(١)

وذكر أبياتا من قصيدته فى فقده بصره وهى نونية فى تسعة وخمسين بيتا (من الكامل) قال فى مطلعها :

أترى تعود لنا كما   سلفت ليالى الأبرقين

ثم قال :

وأصبت فى عينى التى   كانت هى الدنيا بعين

عين جفيت بنورها   نور العلوم وأى عين

حالان مستتنى الحوا   دث منهما بفجيعتين

اظلام عين فى ضيا   ء مشيب رأس سرمدين

صبح وامساء معا   لا خلفة فأعجب لذين

---

(١) الديوان ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ رقم ٢١٩ .

أو رحت في الدنيـــا من الســـــراء صفر الراحتـــين
في برزخ منهـــا أخـــا كمـــد حليف كآبتـــين
أســـــوان ولا حـــى ولا ميت كهمزة بـين بـين[1]

وهكذا الى أن ينهي القصيدة بوصف ارزاء الحياة الدنيا وما يمنى به ساكنها من البشر ثم يصبر نفســه ويقتدى بما حل بالانبيـاء وبمن لاذ بهم وبأقربائهم ٠

ثم يستمر ياقوت في الاتيـان بالاشـعار الخاصة بنكبته ومشـيبه مما ذكرناه في بحثنا هذا وسيأتي ٠ ومما لم نذكره نحن هذه الابيات الثلاثة التي وردت أيضا في (ص ٤٨١ رقم ٣١٢) من الديوان المذكور وهي :

أسفت وقـد نضت عنى الليـالى جـديدا من شـباب مسـتعار
فكان يقيـم عنـدى في زمان الصبى لون الشبيبة في عذارى
ولم أكره بيـاض الشيب الا لان العيب يظهر بالنهـــار

وذكر ياقوت بعد أن وصف ديوانه وذكر مؤلفاته انه توفي في ثاني شوال سنة ٥٨٣ هـ ودفن في مقبرة باب أبرز ٠ (كتاب ارشاد الاريب الى معرفة الاديب المعروف بمعجم الادباء لياقوت الحموى ج ٧ ص ٣١-٣٩ ط مرغليوث بمصر سنة ١٩٢٥ م ٠)

أما صاحب شـذرات الذهب في أخبـار من ذهب وهو ابو الفـلاح عبدالحى بن العماد الحنبلي المتوفى سـنة ١٠٨٩ هـ ٠ فقد أفرد له ترجمة قصيرة منقولة عن ابن خلكان وذكر اصطدامه بابن البلدى الوزير ولم يذكر له شعرا سوى البيتين اللذين هجاه بهما وهما :

يا رب أشـكو اليك عـذرا أنت على كشـــفه قديـــر

---

(١) الديوان ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ رقم ٢٧٤ ٠

أليس صرنا الى زمان   فيه أبو جعفر وزير

ثم جعله من وفيات سنة ٥٨٤ هـ • وذكر ولادته صحيحة الزمن وهي سنة ٥١٩ هـ كما ذكرته المصادر الاخرى[١] •

أما اليافعي صاحب مرآة الجنان فقد وضع له وفاتين لاختلاف المؤرخين في تعيين سنة وفاته بالضبط فقد وضع له ترجمة مقتضبة في حوادث سنة ٥٥٣ هـ فقال ما نصه بالحرف : « وفي سنة ٥٥٣ هـ توفي محمد بن عبدالله الكاتب المعروف بابن التعاويذي الشاعر المشهور له ديوان شعر وكان باسمه راتب في أيام الناصر لدين الله فالتمس أن ينقل باسم أولاده ولما عمي سأل أن يجدد له راتب مدة حياته فكان يواصل بشيء من الخشكار (وهو الخبز الاسمر أي الطحين غير المنخول) الرومي فكتب أبياتا الى صاحب المخزن الملقب بفخرالدين ومن جملتها :

حاشاك ترضى أن تكون خزانتي   كخزانة البواب والنفاط

•••••• الخ وقد ذكرنا ذلك في كتابنا هذا •

وكان وزير الديوان ابن البلدي قد عزل أرباب الولايات وصادرهم وعاقبهم فعمل أبياتا في ذلك :

يا قاصدا بغداد جز عن بلدة   ••• الخ

الابيات المذكور مطلعها آنفا سيأتي سردها في باب الهجو من هذا الكتاب •

ثم يقول اليافعي : قال ابن خلكان وأما قصيدته المشتملة على التشبيب والمدح فانها في نهاية الحسن (قلت) وقد اختصرت في ترجمته الكبيرة المشتملة على المحاسن النضيرة على هذه الالفاظ ثم يقول :ـ (التعاويذي نسبة الى كتبه التعاويذ بالذال المعجمة وهي الحروز • ذكر موته بعض المؤرخين

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج ٤ ص ٢٨١ •

فى السنة المذكورة وذكر بعضهم سنة أربع وثمانين والله أعلم) وقال فى غير هذا المكان من الكتاب المذكور ما نصه بالحرف : « وفى سنة ٥٨٤ هـ توفى أبو الفتح التعاويذى الشاعر الذى سار نظمه فى الآفاق وتقدم على شعراء العراق هكذا ذكر بعضهم فى السنة المذكورة وقد قدمنا عن بعضهم ذكر موته فى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وذكرت شيئا من فضائله هناك[١] » . وأما الشيخ الامام أبو شامة صاحب كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين فقد جعله من وفيات سنة ٥٨٣ هـ . حيث جاء بالحرف « قال العماد الاصفهانى : وفى ثانى شوال من هذه السنة توفى أبو الفتح محمد بن عبيدالله بن عبدالله سبط ابن التعاويذى الشاعر وكان كاتبا بديوان المقاطعات وخدم ابن رئيس الرؤساء وأضر فى آخر عمره ومولده عاشر رجب سنة تسع عشرة وخمسمائة الهجرية[٢] » .

نكتفى بهذا القدر من المصادر التى ترجمت هذا الشاعر الفحل العبقرى الذى وان تنكر له الدهر وغبنه عصره فهو خالد مع الزمن يشهد بذلك شعره الرقيق البليغ وباعه فيه واجادته له وجودته فى السبك والحبك مما يدلنا على أن الشاعر كان ينظم القصيدة دون تكلف أو اجهاد اذ نلمس من قراءة قصائده انه كان ذا سليقة شعرية تدفعه دائما وأبدا الى نظم الدرر الغر والقصيد الحر والشعر الحى الخالد مع الزمن .

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان للشيخ الامام ابى محمد عبدالله بن أسعد بن على بن سليمان عفيف الدين اليافعى اليمنى المكى المتوفى سنة ٧٦٨ هـ. ط حيدر آباد الدكن سنة ١٣٣٨ هـ ج ٣ ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ وكذلك ج ٣ ص ٤٢٩ .

(٢) كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين للشيخ الامام شهاب الدين ابى محمد عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسى الشافعى رواية الشيخ الامام مجدالدين ابى المظفر يوسف بن محمد بن عبدالله الشافعى مطبعة وادى النيل بمصر ـ القاهرة سنة ١٢٨٨ هـ ج ٢ ص ١٢٣ .

خطبة صاحب الديوان

بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين واليـه المآب « قال أبو الفتح محمد بن عبيدالله بن عبدالله سبط التعاويذى » أما بعـد حمد الله على نعمه السابغة • والصلوة على نبيه المبعوث بالحجج البالغة • فان جميعا من الاماثل والاعيـان • وممن يعتد بوداده من الاخوان • الذين حسن فى اعتقادهـم وصح سيرهم وانتقادهم • ممن تجب المسـارعة الى اجابته • وتجب قلوب اسد الشرى عند اشارته • ما زالوا يكلفوننى أن أجمع لهم شيئا مما سمحت قريحتى المكدودة وأملتـه على فكرتى المجهودة • من نظم كنت أتروح بـه فى بعض الآناء • وترنم به ترنم الهاتفة الورقاء • تشوقا منهم الى الوقوف على مذهب فى الشعر • مخترع • وطمعا فى العثور على معنى منه مبتكر • مبتدع • وهيهات •

هل غادر الشعراء من متردم

ومنها :ــ

اننى اسـتقبلت زمانى والادب قـد غاض مـاؤه • وخبت ناره واقلعت سماؤه ونضبت تياره • ولم يبق بيد الناس منه الا صبابة • والخطأ فيها أكثر من الاصابة ورغباتهم فى الشعر قليلة والبراعة فيه لا تعد من الفضيلة وقد عدم المجيدون • وقل المنتقدون • فهم فى الاعراض عنه سواسية • وجبال الجهالات شامخة راسية • فما حظيت من ممدوح يبشر • فضـلا عن حياء ووفر • ولا أشبعنى كلاما • فضلا أن يوسعنى اكراما • واحتراما • على اننى كنت أقل غشيان الابواب • وأنزه نفسى عن موقف كل خزى وعاب • وأخذها بسلوك طريق الاكتساب • وأرفعها عن الاغترار بملامع السراب • فلا أمدح الا عظيما أخافه • أو كريمـا توطأت للعفاة أكتافه • فلما قل به انتفاعى • وضاع رفعى فيـه وايضاعى • ولم احظ منه مع الاطالة بطائل • وألفيته من أضعف الوسـائل للسـائل • صح عزمى على ابطاله وتعفيته •

وترك تدوينه وروايته • فأكون ما اتخذت عليه أجرا • ولا خلفت لمستخلف بعدى ذكرا صابرا على اقصاء بنات فكرى • وان حلت محل الولد من صدرى • والولد اذا عق أباه • أبانه عنه ونفاه • الى أن من الله عز وجل على بريته • ونشر لهم جناح رحمته • بطلوع شمس الايالة الشريفة الناصرية • واشراق أنوار دولتها العباسية التى امتد ملكها وسلطانها • وانتشر عدلها واحسانها • وشمل برها وانعامها • واتشحت بالمحاسن ايامها وعز الاسلام بعزائمها • ودانت الملوك لاوامراها ومراسمها • وأخصبت الارض برأفتها • ودرت السماء ببركة دعوتها • فأحيت رمم المكارم بعد دروسها • وأضحكت ثغور الآمال بعد عبوسها • وأنجزت الامانى مواعدها بعد تسويفها • وراجعت الدنيا نضارتها بعد ذبول عيدانها وجفونها فهى غرر فى وجوه الايام • وأوضاح على جبهات السنين والاعوام • فخولها الله ملكا تمتد على الآفاق ظلاله وزادها شرفا تنجر على المجرة أذياله وملكها ما وطئته مناسم الرياح • وطلعت عليه طلائع الصباح • واستنت بسنتها الجميلة • وسارت بسيرتها الحميدة • أرباب دولتها • وأعضاء مملكتها • فأحلوا الآداب فى مراتبها العالية • وردوا اعلاق الفضائل الى قيمتها الغالية • فاشتهر منها ما كان خاملا • وانعمر من أسواقها ما كان عاطلا • فذكرتها الألسن المتناسبة • وعطفت عليها القلوب القاسية • وشملنى من برها المتوافر • ورفدها المتتابع المتناصر • ما غرم فائت ايامى • وسمح لى فى اليقظة بما كانت تبخل به أحلامى • فصلح زمانى الفاسد • ونفق فضلى الكاسد • وهب حظى الراقد وهب نسيم أملى الراكد فقويت نفسى واشتد جنانى وانشرح صدرى وانبسط لسانى • ونظمت ما أملته علىّ مآثرها السائرة وساعدتنى على النطق به مناقبها الباهرة • من مدح يروق ويروع • ويتأرج عرفه ويضوع • فكأنه لطيمة عطار أو زهر خميلة غب قطار • وجب علىّ حينئذ تدوينه وتجريده • وابقاؤه على وجه الدهر وتخليده فنزلت على صهوة ذلك العزم ونقضت ما كنت أبرمته من قول حزم • واستخرت الله

وأضفت اليه ما كانت الألسن تداولتـه • والرواة تناقلته • مدينـا ما كنت أقصيته • وملحقا بى ما كنت نفيته • راضيا بعد السخط • ومستدركا من الاعراض عنه ما فرط • ووهبت لمن أسـاء الى جريمة اسـائته وتقبيحه • وأدخلت مديحهم فى حسب المحسن وخضارة مديحه • وقلت دهر أعتب وحرون حظ أصحب • ورتبته أربعة فصول الفصل الاول فى مدائح الخلفاء الراشدين صلوات الله عليهم بدأت فيـه بالمدائح الشـريفة الناصرية اتباعـا للعادة فى تقديم ذكر الحاضر على الماضى منهم والغابر والفصل الثانى يشتمل على مدح جماعـة من الوزراء والاكابر والصـدور والاماثل وغيرهـم ممن تتفاوت منازلهم وطبقاتهم وتختلف حالاتهم • وقدمت فى هذا الفصل مدح المولى الصاحب الـكبير مجدالدين مؤيد الاسـلام ابى الفضـل هبـةالله بن الصاحب[١] أعز الله أنصاره الذى كسى[٢] الدنيا حسنا وبشارة • وألبس الملك بهجة ونضارة لاستحقاقه رتبة التقديم • واغراقه فى النسب الى بيت سؤدد قديم • فجدد الله له ملابس النعم • وأسبغ ظله على العبيد من أوليائه والخدم • والفصل الثالث فى مدائح بنى المظفر بن رئيس الرؤساء أفردتها عن غيرها لكثرتها ولاننى نشأت فيهم وكنت متصلا بهم وصحبتهم أنا وجدى لامى أبو محمد بن التعاويذى رحمه الله صحبة أوجبت من الحقوق ما يغض

---

(١) من حوادث سنة ٥٧٥ هـ ان استاذ الدار مجدالدين ابا الفضل ابن الصاحب صار الحاكم فى الدولة بعدمـا تمت البيعة للناصر لدين الله أمير المؤمنين ابن المستضىء بالله •

ومن حوادث سـنة ٥٨٣ هـ فى شهر ربيـع الاول قتل مجدالدين أبو الفضل بن الصاحب وهو اسـتاذ دار الخليفة أمر الخليفة بقتله وكان متحكما فى الدولة ليس للخليفة معه حكم وكان هو القيم بالبيعة له وظهر له أموال عظيمة أخذ جميعها وكان حسن السيرة عفيفا عن الاموال وكان الذى سعى به انسان من أصحابه وصنائعه يقال له عبيدالله بن يونس فسعى به الى الخليفة فقبح آثاره فقبض عليه وقتله • (الكامل لابن الاثير طبعة ليدن ج ١١ ص ٣٠٤ ، ٣٧٢) •

(٢) هكذا وردت فى الديوان والاصل (كسا) •

منى جهوده • وتواجهنى بـه متى أنكرت شهوده • وكنت منقطعا اليهم لاشيم غير سمائهم ولا أتعرض الا لنفحات عطاياهم رغبـة ورهبة • وتثنية منهم ومحبة • فنظمت فيهم جل شعرى وانفقت معهم طائفـة من عمرى • والفصل الرابع يشتمل على ضروب مختلفة وأنواع متغايرة من مراث وزهد وغزل وعتاب وهجاء •

والديوان وان كان خلاف هذا الترتيب الذى أدرجه الشاعر فى خطبته هذه لكن الترتيب الذى راعاه المستشرق مرغليوث أجدى للمطالع وأسهل وهو مضطر الى ذلك فى الوقت نفسـه لان النسختين المذكورتين فى مقدمة مرغليوث فى مطلع الديوان مختلفتان فى التبويب فالنسخة الكاملة منهما وقد كتبت سنة ٩٧٩ هـ مرتبة بحسب القوافى لا بحسب المواضيع التى ذكرهـا الشاعر ابن التعاويذى أما الناقصة التى كان يزعم انها كتبت فى القرن السابع الهجرى على ما شرحه وبينه مرغليوث وهى قريبة من حياة المؤلف فبحسب ما ذكر ابن التعاويذى فى خطبة الديوان ولنقصهـا عدل طابع الديوان عن الاخذ بها لكنه اعتمد على التحقيق فى النصوص على كلتيهما •

عصر ابن التعاويذى

لما كانت ولادة ابن التعاويذى سنة تسع عشرة وخمسمائة هـ • (١١٢٥ م) ووفاته سنة ثلاث وثمانين أو أربع وثمانين هـ • (١١٨٧ م أو ١١٨٨ م) كما أسلفنا يكون قد عمر خمسا وستين سنة أى ما يزيد على نصف قرن من أواخر قرون الدولة العباسية فقد ولد فى خلافة المسترشد بالله العباسى ونشأ فى خلافة الراشد بالله والمقتفى لامر الله • واشتهر فى خلافة المستنجد بالله والمستضىء بالله ثم الامام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضىء الذى صادف حكمه أواخر أيام ابن التعاويذى حيث لم يتمتع من سنى حكمه البارزات سوى تسع سنوات فقط كان لها أعمق الاثر فى قلب الشاعر ابن التعاويذى الذى جعلها بدء عهد جديد قويم تنعم به الخلافة العباسية بعد عناء شديد ومرارة فائقة عانى أشدها خلفاء سابقون كان آخرهم المقتفى لامر الله الذى صادف عهده خروج السلاجقة وانقضاء نفوذهم على الدولة العباسية فكان عهد المستنجد وابنه المستضىء عهد انتقال من خضوع الى نفوذ وسيطرة تعيدان للدولة العباسية عهدها السالف ومجدها المندثر على يد الاعاجم من أتراك وبويهيين وسلاجقة كادوا يقضون على الحكم العباسى قضاء نهائيا مبرما لولا الهيبة الدينية التى كانت تتمتع بها بل تمتاز بها الخلافة على باقى الملوك والسلاطين ممن دخلوا بل قاسموا الخلافة العباسية فى بغداد أو خارج ممتلكاتها ممن استقلوا وانتهزوا فرصة بعدهم عن مركز الخلافة فى العراق وخارجه فى أقاصى الحدود الشرقية والغربية • فابن التعاويذى لم يفدنا ما يجدر بالفائدة من الحكم السلجوقى لانه لم يشب الا بعد انقراض نفوذهم ومحو أثرهم من مقر الخلافة فى بغداد •

ولم يتبرم ابن التعاويذى من حكم أى خليفة من هؤلاء باعتبار الخلافة انها كانت رمزا مقدسا يستحق الاجلال والاكرام فكل ما تبرم منه ابن التعاويذى كان من بعض الوزراء الذين عاصرهم وعاصروه وهم جملة •

فأول وزراء المسترشد بالله العباسى أبو على الحسن بن على بن صدقة وهو من وزراء عهد السلاجقة فى أواخر أيامهم ولم يكن ابن التعاويذى يومئذ الا طفلا • فقد توفى الوزير المذكور وعمر ابن التعاويذى ثلاث سنوات ثم أعقبه الوزير أبو نصير أحمد بن الوزير نظام الملك وبعده أنوشروان خالد ابن محمد القاشـانى وفى وفاته لم يبـلغ ابن التعاويذى يومذاك الا الثالثة عشرة من العمر • ثم أعقبت تلك الوزارة فى عهد الخليفة الراشد باللهوزارة جلال‌الدين أبى الرضا محمد بن صدقة • وفى عهد المقتفى بامر الله وهو عهد نزوح السلاجقة عن بغداد والخلافة العباسية جاءت وزارة مؤتمن الدولة أبى القاسم على بن صدقة ثم وزارة عون‌الدين أبى المظفر يحيى بن هبيرة وهو من فحول وزراء الدولة العباسية ، ذكر له الفخرى لابن طبابا ترجمة ضافية نفيسة • وقد كان ينظم الشعر كما كان من أفاضل الوزراء وأعيانهم وأماجدهم له اليد الطولى فى تدبير الدولة وضبط المملكة كما له فى العلوم والتصانيف التبريز على أهل عصره ومن شعره هذان البيتان :

يقين الفتى يزرى بحالة حرصه
فقوة ذا عن ضعف ذا تتحصـل
اذا قل مـال المرء قل صديقـه
وقبح منـه كل ما كان يجمـل

ثم أعقبه فى عهد المستنجد بالله ولده محمد بن يحيى بن هبيرة الملقب عزالدين وقد كان فاضلا رئيسا عبقا بالسـيادة شـاعرا رشيق المعانى خبيرا بالادب والحديث النبوى • وقد كانت عاقبته محزنة حيث حبس ولم يعلـم خبره بعد الحبس •

وقد روى عنه هذا البيتان :ـ

كم منحت الاحـداث صبرا جميلا ولكم خلت صابهـا سـلسبيلا
ولكم قلت للذى ظل يلحـا نى على الوجد والأسى سل سبيلا

أما وزارة شرف الدين ابى جعفر محمد بن أبى الفتح المعروف بابن البلدى الذى استوزر للخليفة المستنجد بالله العباسى فكانت كثيرة الاحداث بحيث حملت سبط ابن التعاويذى على هجائه هجاء مرا فتوجع وترثى للكتاب الذين حاسبهم وعاقبهم الوزير ابن البلدى • على ان الحالة وان بالغ فى وصفها ابن التعاويذى فقد تكون من مصلحة الخلافة والحكم القائم اذ ذاك مما حدا بهم وبالشاعر الى كراهيته •

وقد نشاهد الوزير قبل الوزارة ناظرا بواسط حيث أبان فى مدة ولايته عليها من قوة وجلادة وارتفاعات نامية وحلوم دارة على حد تعبير ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقى فى كتابه الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية فعظمت منزلته عند المستنجد وكوتب عن الخليفة الى واسط بما يقضى أن يكون وزيره وتأكد الحال فى ذلك فحكم حكم الوزراء وهو بواسط ووقع وكاتب ملوك الاطراف وهو بواسط ثم أصعد الى بغداد فخرج الموكب لتلقيه وفيه جميع أعيان الدولة • ولما كان بينه وبين استاذ الدار (١) الذى خلفه فى الوزارة بعدئذ وهو عضد الدين أبو الفرج محمد بن رئيس الرؤساء كدر كره عضد الدين الخروج الى تلقيه وقد كان الخليفة تقدم اليه بالخروج فبذل خمسة آلاف دينار على أن يعفى من الخروج اليه • فقال الخليفة ان عجلها نقدا أعفيته من الخروج فوزنت فى الحال وحملت • فلما صارت فى الخزن تقدم الخليفة اليه بالخروج لتلقى الوزير وقيل له هذا المال جناية عن كونك تكره ما تؤثر وتراجع فى التقدمات الشريفة فذهب المال منه • ولما حضر ابن البلدى بين يدى الخليفة شافهه بالوزارة فبقيت الوزارة فى يده حتى انتهاء خلافة المستنجد حيث ادخل الحمام مريضا فمات من الحرارة فخلفه ابنه المستضىء بالله حيث تولى فى بدء خلافته عضد الدين

(١) هو الذى يتولى شؤون دار الخلافة وادارة امورها فى ذلك الزمن • هو يشبه رئيس الديوان فى بلاطات الملوك اليوم •

استاذ الدار المعروف بابن رئيس الرؤساء • ولما استدعى الوزير ابن البلدى ليبايع فعند حضوره دار الخلافة عدل به الى مكان وضربت عنقه ثم اخرج فرمى على مزبلة بباب المراتب ببغداد ثم سحب والقى فى دجلة • ثم أعقبه فى خلافة المستنجد بالله لهـذا يعتبر عضدالدين أبو الفرج محمد بن ابى الفتوح عبدالله بن رئيس الرؤساء اول وزرائه وهو الذى كان قبل ذلك استاذ الدار (٢) فتنفس ابن التعاويذى الشاعر الصعداء لان عضدالدين كان من أفاضل الناس وأعيانهم فنهض باعباء الدولة نهوضا مرضيا وفرق فى يوم جلوسه فى دست الوزارة ذهبا كثيرا وحنطة على المقيمين بالمشاهد والجوامع والمدارس والربط وتلطف بالامور تلطفا لم يكن فى حساب الناس وبيته بيت مشهور بالرياسة يعرفون قديما ببيت الرفيل وكان ابن التعاويذى الشاعر البغدادى شاعرهم ومنقطعا اليهم وأنفق جل عمره معهم ولهم يخاطب بقوله من النظم السريع :ـ

قضيت شطر العمر فى مدحكم ظنـا بكم أنكم أهله
وعدت أفنيه هجاء لكم فضاع فيكم عمرى كله

وله فيهم مدائح كثيرة فمن جملتها من النظم الطويل :ـ

ومـا زلت فى آل الرفيـل بمعزل عن الجور مبذولا لى الأمن والخصب
فان أقترف ذنبـا بمدح سواهم فان خماص الطير يقنصها الحب
وان عـاد لى عطف الوزير محمد فقد أكثب(١) النائى ولان لى الصعب
وزير اذا اعتـل الزمان فرأيه هنـاء(٢) به تطلى خلائقـه الجرب

---

(٢) راجع الصحائف ١٤ ، ١٨ ، ١٩ ، ٧٠ ، ٧٥ ـ ٨٢ ، ٩٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٥٩ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٣٠ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٣ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤ من ديوان ابى الفتح محمد ابن عبيدالله بن عبدالله المعروف بسبط ابن التعاويذى بتحقيق د٠س٠ مرغليوث مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩٠٣ م •

(١) اكثب الرجل واليه ومنه وله : دنا منه •

(٢) هناء بكسر الهاء : القطران يطلى به •

وما زال أمره يجرى على السداد حتى عزله المستضىء وقبض عليه فدخل الاتراك والجند الى دوره فنهبوا ما بها مع العوام • ثم اعاده المستضىء الى الوزارة وحكمه وبسطه فصفت له الدنيا وعظم شأنه وكثرت خيراته وهباته وأحبه الناس وكان سخيا وهوبا شريف النفس • هذا ولم يزل أمره في الوزارة الثانية جاريا على السداد حتى قتل بعد عبوره الى الجانب الغربى من مدينة السلام متوجها الى الحلة فالكوفة ومنها الى مكة للحج فى محلة تعرف بقطفتا (١) قتله ثلاثة رجال قتلوا بعده أيضا • ثم خلفه ظهير الدين أبو بكر منصور بن القاسم نصر بن العطار فى عهد المستضىء كذلك وقد كان ثقيل الوطأة على الرعية وكانت العامة تبغضه فبقى الى أن مات المستضىء وخلفه الناصر لدين الله(٢) الذى بويع بالخلافة سنة خمس وسبعين وخمسمائة حيث أقر الخليفة الناصر ابن العطار وزير ابيه على قاعدته أياما

---

(١) قطفتا : بالفتح ثم الضم والفاء ساكنة وتاء مثناة من فوق والقصر • كلمة عجمية لا أصل لها فى العربية فى علمى • وهى محلة كبيرة ذات أسواق فى الجانب الغربى من بغداد ومجاورة لمقبرة الدير التى فيها قبر الشيخ معروف الكرخى رضى الله عنه • بينها وبين دجلة أقل من ميل وهى مشرفة على نهر عيسى الا ان العمارة بها متصلة الى دجلة بينهما القرية محلة معروفة ينسب اليها جماعة منهم أبو الحسين أحمد بن محمد بن احمد ابن يعقوب بن قفرجل الوراق القطفتى • سمع جده من أمه أبا بكر بن قفرجل وأبا حفص بن شاهين وروى عنه أبو بكر الخطيب وتوفى سنة ٤٤٨ هـ ومولده سنة ٣٦١ هـ • (راجع ياقوت معجم البلدان ج ٧ ص ١٢٥ ط مصر) وفى رأيى ان الكلمة ارمية معناها ما يسقط من الثمر الذى على الشجرة • والقطف بالارمية والعربية بقلة تعرف بالسرمق • (راجع قاموس اللباب للاب جبرائيل قرداحى الحلبى مادة قاف من أبجد هوز بالسريانية وهو فى جزئين) أما محيط المحيط للبستانى فيقول فى مادة سرمق انها معرب سرمه • قلت : ولعلها من الفارسية حيث ابدل حرف الهاء بالقاف كما هو الشائع فى نقل الكلم الاعجمى الفارسى •

(٢) جاء بعنوان: (الامام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضىء بأمر الله) ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ من كتاب الفخرى لابن طباطبا مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩٢٣ م ما نصه :ـ

يسيرة ثم نكبه وقبض عليه وحبسه فى باطن دار الخلافة ثم اخرج بعد أيام ميتا فسلم الى اخته لتجهزه وتدفنه فغسلته واخرجته فى تابوت على رأس حمال لتدفنه فغمز به بعض الناس فرجموه فرمى الحمال بالتابوت وهرب فأخذه العوام واخرجوه من التابوت ومثلوا به وشدوا فى رجله حبلا وسحبوه ووضعوا فى يده خشبة ونادوا به يا مولانا ظهيرالدين وقع لنا ... الى آخر القصة[١] . ثم خلفه فى دست الوزارة جلال‌الدين أبو المظفر عبيدالله حيث كان فى ابتداء أمره أحد الشهود المعدلين فتقلبت به الاحوال حتى بلغ الوزارة ولكنه ارسل بأمر الناصر صحبة عسكر كثيف لمحاربة السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل السلجوقى حيث أسر الوزير ومكث مدة فى الاسر ثم اطلق فوصل الى بغداد متخفيا ولم تطل مدته بعد ذلك[٢] . هذا

بويع بالخلافة فى سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

كان الناصر من أفاضل الخلفاء وأعيانهم بصيرا بالامور مجربا سائسا مهيبا مقداما عارفا شجاعا متأيدا حاد الخاطر والنادرة متوقد الذكاء والفطنة بليغا غير مدافع عن فضيلة علم ولا نادرة فهم يفاوض العلماء مفاوضة خبير ويمارس الامور السلطانية ممارسة بصير وكان يرى رأى الامامية طالت مدته وصفا له الملك وأحب مباشرة أحوال الرعية بنفسه حتى كان يتمشى فى الليل فى دروب بغداد ليعرف أخبار الرعية وما يدور بينهم وكان كل أحد من أرباب المناصب والرعايا يخافه ويحاذره بحيث كأنه يطلع عليه فى داره وكثرت جواسيسه وأصحاب أخباره عند السلاطين وفى أطراف البلاد وله فى مثل هذه قصص غريبة وصنف كتبا وسمع الحديث النبوى صلوات الله على صاحبه وأسمعه ولبس لباس الفتوة وألبسه وتفتى له خلق كثيرون من شرق الارض وغربها ورمى بالبندق ورمى له ناس كثيرون وكان باقعة =

(١) راجع صحائف ٢٦٩ ، ٢٧١ ـ ٢٧٣ ، ٢٧٦ ـ ٢٨٧ من كتاب الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية لمحمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى مطبعة المعارف مصر ١٩٢٣ م على نفقة نجيب مترى .

(٢) وفى شوال من سنة ٥٨٣ هـ استوزر الخليفة الناصر لدين الله أبا المظفر عبيدالله بن يونس ولقبه جلال‌الدين ومشى أرباب الدولة فى ركابه حتى قاضى القضاة وكان ابن يونس من شهوده وكان يمشى ويقول لعن الله طول العمر . (الكامل لابن الاثير طبعة ليدن ج ١١ ص ٣٧٢) .

وعلى مـا يعلم من تاريخ وفاة التعاويذى وهو سـنة أربع أو ثلاث وثمانين وخمسمائة الهجرية ان حياة التعاويذى تنتهى فى وزارة معزالدين سعيد بن على بن حديدة الانصارى الذى وزر للناصر لدين الله الخليفة العباسى كما كان رجلا فاضلا متصونا موسرا كثير المال ينصر من تظلم له ومن جملتهم

زمانه ورجل عصره فى أيامـه انقرضت دولة آل سـلجوق بالـكلية وكان للناصر من المبار والوقوف ما يفوت الحصر وبنى من دور الضيافات والمساجد والربط ما يتجاوز حد الكثرة • وكان مع ذلك يبخل وكان وقته مصروفا الى تدبير أمور المملكة والى التولية والعزل والمصادرة وتحصيل الامور • يقال عنه انه ملأ بركة من الذهب فرآها يوما وقد بقي يعوزها حتى تمتلىء وتفيض شىء يسير فقال ترى أعيش حتى أملأها فمات قبل ذلك ويقال ان المستنصر شاهد هذه البركة فقال ترى أعيش حتى أفنيها وكذلك فعل • مات الناصر فى سنة اثنتين وعشرين وستمائة •

(شرح حال الوزارة فى أيامه)

لما بويع الناصر بالخلافة أقر ابن العطار وزير أبيه على قاعدته أياما يسيرة ثم نكبه وقبض عليه وحبسه فى باطن دار الخلافة ثم اخرج بعد أيام ميتا فسلم الى اخته لتجهزه وتدفنه فغسلته وأخرجته فى تابوت على رأس حمال لتدفنه فغمز به بعض الناس فرجموه فرمى الحمال بالتابوت وهرب فأخـذه العوام وأخرجوه من التابوت ومثلوا به وشـدوا فى رجله حبـلا وسحبوه ووضعوا فى يده خشبة ونادوا به يا مولانا ظهير الدين وقع لنا ومن طريف ما وقع فى ذلك أن بعض الاتراك عمر حماما وجعل حجراته تجوز على دار بعض الجيران فتأذى الجار بتلك المجراة فشـكا ذلك الى الوزير فزبره ولم يأخذ بيده وقال له ان لم تسكت والا جعلت رأسك فى المجراة فيقال ان ابن العطار لما سحبه العوام ومثلوا به اجتازوا به على باب الحمـام المذكور فاتفق أنه وقع فى المجراة فسحبوه فيها خطوات فتعجب الناس من ذلك •

(كتاب الفخرى لابن طباطبا ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ من طبعـة المعـارف بمصر سنة ١٩٢٣ وقد عدلنا عن ترجمة أبيه وجده من الخلفـاء بالنظر لسهولة الرجوع اليها فى مظان الكتب التاريخية وخاصة كتاب الفخرى لابن طباطبا فى صحائف ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ وما بعدها • وفى ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ من كتاب خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك لعبدالرحمن سنبط فنيتو الاربلى ط • القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس سنة ١٨٨٥ م ذكر خلافة الناصر لدين الله) •

قلت وفى مثـل هـذا ما حصـل قبل هذا التاريخ وبهـذه المناسبة لابن

نقيب البصرة أبو جعفر محمد بن ابى طالب الشاعر قصده الى بغداد شاكيا ناظر البصرة آوانذاك وقد رق له وبكى ثم خلع عليه ووصله وقضى حوائجه

الفرات الوزير وابنه المحسن أبو أحمد • وخلاصة القول : ان ابن الفرات وابنه المحسن طلبا للمناظرة والمحاكمة على التصرف بأموال الدولة دون قيد او شرط وبعد ان قام هرون بن غريب وابن (بعدشر) بالمناظرة مع أبن الفرات حيث استحصل هرون بن غريب أمرا من المقتدر بالله العباسي بالقبض على ابن الفرات وابنه المحسن وبعد القبض على ابن الفرات بقي المحسن لم يعرف مقره فاتفق ان قبض عليه ـ وكان قد قبض هو بدوره على جماعة من القوم يطول ذكرهم وسرد قصصهم حيث قتل البعض ونكب الآخرين وأبعدهم في وزارة أبيه ـ ليلة الجمعة الحادية عشرة من ربيع الاول سنة اثنتى عشرة وثلثمائة للهجرة فقبض عليه وحمل الى دار الوزارة بالمخرم ـ وهى المحلة التى فيها مستشفى الجمهورية على نهر دجله بالقرب من باب المعظم ببغداد ـ وكان من شرح الحال فى أخذه انه لجأ فى استتاره بعد القبض على أبيه الى حماته حنزابة والدة الفضل بن جعفر بن الفرات فكانت تحمله كل يوم بكرة الى المقابر فى زى النساء وتعيده الى المواضع التى تثق بها • فمضت به بكرة يوم الخميس على هذه السبيل الى مقابر قريش ـ وهى اليوم البقعة الممتدة من محلة العطيفية من جانب الكرخ حتى الكاظمية ـ فأمست مساء بعد عليها معه الوصول الى دواخل الكرخ فوصفت له امرأة كانت معها منزل امرأة تعرفها وتأمنها ولا زوج لها لانه توفى قبل ذلك بسنة • فحملته حنزابة ومعه جماعة نساء الى هذه المرأة التى ذكرت لها وهى غير عارفة بها ودخلت الدار وقالت : « معى امرأة عاتق ـ وهى الجارية اول ما أدركت أو التى بين الادراك والتعنيس وجمعها عتق ـ لم تتزوج وقد انصرفت من مأتم وضاق عليها الوقت » وسألتها أن تفرد لها موضعا فأفردت لها بيتا فى صفة ـ وهى بيت صيفى يكون مسقوفا بجريد النخل ونحوه وجمعها صفف ـ وادخلت المحسن اليه وردت الباب عليه وجلس النسوة معه فى البيت ووافت جارية سوداء للقوم بسراج فتركته فى الصفة وجاءت خنزابة الى المحسن بسويق ـ وهو نوع من الخمر الخفيف ـ ليشربه وقد نزع ثيابه • وأطلت الجارية السوداء فرأته من غير أن تشعر بها حنزابة وعلمت أنه رجل فحدثت مولاتها بذلك • فلما تصرم الليل قامت مولاتها الى الموضع سرا حتى شاهدته • وكان من سوء الاتفاق ان كانت المرأة زوجة محمد بن نصر وكيل ابى الحسن على بن عيسى على نفقاته وكان المحسن طلبه فحضر ودخل ديوانه ورأى ما يعامل الناس به من المكاره فمات فزعا من غير أن يكلمه المحسن أو يوقع به مكروها •

وأنصفه من ناظر البصرة وعزله وقد توفى الوزير المذكور سنة ست عشرة وستمائة فيكون قد عاش بعد التعاويذى باثنتين وثلاثين سنة .

فمضت المرأة في الوقت الى دار السلطان حتى وصلت الى نصر الحاجب وشرحت له الصورة وأنهاها نصر الى المقتدر بالله فتقدم بالبعثة الى نازوك بالركوب الى الموضع والقبض عليه فركب من وقته وكبسه وأخذه وضربت الدبادب – ومفردها الدبداب وهو الطبل لصوته – ليلا عند وصوله حتى ارتاع الناس لاصواتها وظنوا ان حادثا حدث من جهة القرمطي ووجد المحسن في زى امرأة وقد قص لحيته وخضب يديه ورجليه ولبس قميصا معصفرا فأوقع ابن (بعدشر) من وقته مكروها عظيما وأخذ خطه بثلثة آلاف الف دينار ... الى آخر الحكاية » .

وجاء فى مكان آخر ما نصه : « ... وانحدر الناس فى يوم الاثنين الى دار السلطان فلم يصلوا وكتب هؤلاء الرؤساء الى المقتدر بالله رقعة بأنه ان تأخر قتل ابن الفرات وابنه عن يومهم جرى ما لا يتلافى فأشاروا الى ما عظموا الامر فيه . فوقع الى نازوك بأن يركب الى موضعهما ويضرب أعناقهما ويحمل رأسيهما ... الى آخر الحكاية » .

وفى مكان آخر (... ان هرون بن غريب أخرج المحسن – بعد أن حصل على أمر الخليفة المقتدر بالله وبعد أن ضرب أباه بالسود – وضربه حتى كاد يتلف ثم سلمهما – أي المحسن وابن الفرات الوالد – الى نازوك بأمر المقتدر فأوقع نازوك المكاره بالمحسن حتى تدود بدنه ولم يبق فيه فضل لضرب ... الى آخر الخبر) .

أما مصيرهما المحتوم فقد جاء بالكيفية الآتية كما جاء نصا : « ... وصار نازوك الى دار الوزارة بعد الظهر من ذلك اليوم وجلس فى الحجرة التى كان ابن الفرات معتقلا فيها وأنفذ عجيبا خادمه ومعه جماعة من السودان حتى ضرب عنق المحسن ابنه وجاء برأسه الى ابيه فوضعه بين يديه فارتاع لذلك ارتياعا شديدا وأعرض هو على السيف . فقال لنازوك يا أبا منصور ليس الا السيف . راجع أمير المؤمنين فى امرى فاننى أقر بأموالى وودائعى وعندى جوهر جليل . فقال له نازوك : جل الامر عما تقدر . ثم أمر به فضربت عنقه وحمل رأسه ورأس المحسن الى دار السلطان مع عجيب خادمه فغرقا فى الفرات وطرحت جثتاهما فى دجلة ومضى ابن الفرات عن احدى وسبعين سنة وشهور والمحسن ثلث وثلاثين سنة . وكانت مدة وزارته الثالثة سنة واحدة » .

وقبل أن نختم عصر ابن التعاويذى نود أن نذكر شيئا عن شاعرين عظيمين عاصراه وهما الأبله البغدادى وابن المعلم الواسطى وقد نقلنا ترجمتيهما عن ابن خلكان كما سيأتى .

(راجع كتاب تحفة الامراء فى تاريخ الوزراء لابى الحسن الهلال بن المحسن بن ابراهيم الصابىء الكاتب المتوفى سنة ٤٤٨ هـ ص ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ من طبعة بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٤ بتحقيق المستشرق امندروز H.F. Amendroz) .

الأبله الشاعر البغدادى

أبو عبدالله بن بختيار بن عبدالله المولد والمعروف بالأبله البغدادى الشاعر المشهور أحد المتأخرين المجيدين جمع فى شعره بين الصناعة والرقة وله ديوان شعر بأيدى الناس كثير الوجود • وذكره العماد الكاتب الاصبهانى في كتابه الذى سماه « الخريدة » فقال : هو شاب ظريف يتزيا بزى الجند رقيق اسلوب الشعر حلو الصناعة رائق البراعة عذب اللفظ أرق من النسيم السحرى وأحسن من الوشى التسترى وكل ما ينظمه ـ ولو أنه يسير ـ يسير والمغنون يغنون برائعات أبياته عن أصوات القدماء فهم يتهافتون على نظمه المطرب تهافت الطير الحوم على عذب المشرب ثم قال : أنشدنى لنفسه من قصيدة سنة خمس وخمسين وخمسمائة ببغداد (من المديد) :ـ

زار من أحيا بزورته ... والدجى فى لون طرته
قمر يثنى معاطفه ... بانه فى طى بردته
بت استجلى المدام على ... غرة الواشى وغرته
يا لها من زورة قصرت ... فأماتت طول جفونه
آه من خصر له وعلى ... رشفة من برد ريقته
يا له فى الحسن من صنم ... كلنا من جاهليته

ومن أبياته السائرة قوله من جملة قصيدة أنيقة (من البسيط) :

لا يعرف الشوق الا من يكابده ... ولا الصبابة الا من يعانيها

ومن رقيق شعره قوله فى الغزل من قصيدة (من الكامل) :

دعنى أكابد لوعتى وأعانى ... أين الطليق من الاسير العانى
آليت لا أدع الملام يغرنى ... من بعد ما أخذ الغرام عنانى
أو لا تروض العاذلات وقد أرى ... روضات حزن فى خدود حسان
والبدر يلتمس السلو ولم أزل ... حى الصبابة ميت السلوان

يـا برق أن تجف العقيق فطالمـا أغنته عنك سـحائب الاجفان
هيهات أن أنسى وربك وقفة فيهـا أغير بها على الغيران
ومهفهف ساجى اللحاظ حفظته فأضاعنى وأطعتـه فعصـانى
يصمى قلوب العاشـقين بمقلة طرف السنان وطرفهـا سيان
خنث الدلال بشـعره وبثغره يوم الوداع أضلنى وهـدانى
مـا قـام معتدلا يهز قوامـه الا وبانت خجلة فى البـان
يا أهـل نعمان الى وجناتكم تعزى الشـقائق لا الى نعمان
ما يفعل المران من يد قلب فى القلب فعل مرارة الهجران

وهى قصيدة طويلة ومديحها جيد وجميع شعره على هـذا الاسلوب والنسق ومخالصه من الغزل الى المدح فى نهاية الحسن وقل من يلحقه فيها فمن ذلك قوله من قصيدة أولها (من الطويل) :

جنيت جنى الورد من ذلك الخد وعانقت غصن البان من ذلك القد

فلما انتهى الى مخلصها قال :

لئن وقرت يومـا بسـمعى ملامـة لهنـد فلا عفت الملامـة فى هنـد
ولا وجدت عينى السبيل الى البكى ولا بت فى أسر الصبابة والوجـد
وبحت بمـا القى ورحت مقابـلا سماحة مجدالدين بالكفر والجحد

وقوله من قصيدة اخرى (من الوافر) :

فلا وجـد سـوى وجـدى بليلى ولا مجـد كمجـد ابن الدوامى

وقوله فى قصيدة اخرى (من الطويل) :

فأقسـم أنى فى الصبـابة واحـد وان كمالالدين فى الجود واحـد

الى غير ذلك • وكانت وفاته ـ على ما قاله ابن الجوزى فى تاريخه ـ فى جمادى الآخرة سنة تسـع وسبعين وقال غيره سـنة ثمانين وخمسمائة ببغداد ودفن فى باب أبزر محاذى الناحية رحمه الله تعالى •

والأبله معروف فلا حاجة الى ضبطه وانما قيل له أبله لانه كان فيه طرف بله وقيل لانه كان في غاية الذكاء وهو من أسماء الاضداد كما قيل للأسود كافور .

وكان له ميل الى بعض أبناء البغاددة فعبر على باب داره فوجد خلوة فكتب على الباب .

قال العماد الكاتب وانشدنيه (من السريع) :

داركَ يا بدر الدجى جنة   بغيرها نفسي ما تلهو

وقد روى في خبر ان أكثر أهل الجنة البله .ولابن التعاويذي المذكور بعده فيه هجاء أفحش فيه فأضربت عن ذكره مع أنها أبيات جيدة والله أعلم[١] .

وفي دار الكتب الوطنية بطهران نسخة مخطوطة من ديوان الأبله حسنة الخط والضبط[٢] .

---

(١) وفيات الاعيان لابن خلكان (ج ٤ ص ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩) من الطبعة الجديدة الاخيرة طبعة مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة سنة ١٩٤٨م مطبعة السعادة .

(٢) عثر الدكتور حسين محفوظ على نسخة من ديوان الابله البغدادي كتبت بخط علي بن محمود بن احمد المقرئ سنة ٥٩٩هـ . في دار الكتب الوطنية في طهران . وعدد قصائده (٢٦١) قصيدة وابياتها (٦١٠٣) ستة آلاف ومائة وثلاثة ابيات وقد اختار الدكتور محفوظ منتخبا من قصائده اعدها للنشر . ولدى السيد صادق كمونة نسخة أخرى من هذا الديوان .

وللدكتور محفوظ مقالة عن ديوان الابله البغدادي منشورة في العدد الادبي الخاص بمجلة الهاتف الصادر في ١ آب ١٩٥٤ رقم ١٢٩٧ .

ابن المعلم الواسطى

أبو الغنائم محمد بن على بن فارس بن على بن عبدالله بن الحسين ابن القاسم المعروف بابن المعلم الواسطى الهرثى الملقب نجم الدين الشاعر المشهور •

وكان شاعرا رقيق الشعر لطيف حاشية الطبع يكاد شعره يذوب من رقته وهو أحد من سار شعره وانتشر ذكره ونبه بالشعر قدره وحسن به حاله وأمره وطال من نظم القريض عمره وساعده على قوله زمانه ودهره وأكثر القول فى الغزل والمدح وفنون المقاصد • وكان سهل الالفاظ صحيح المعانى يغلب على شعره وصف الشوق والحب وذكرى الصبابة والغرام فعلق بالقلوب ولطف مكانه عند أكثر الناس ومالوا اليه وحفظوه وتداولوا بينهم واستشهد به الواعظ واستحلاه السامعون •

سمعت من جماعة من مشايخ البطائح يقولون : ما سبب لطافة شعر ابن المعلم الا أنه كان اذا نظم قصيدة حفظها الفقراء المنتسبون الى الشيخ أحمد ابن الرفاعى المقدم ذكره فى حرف الهمزة وغنوا بها فى سماعهم فطابوا عليها ، فعادت عليه بركة أنفاسهم ورأيتهم يعتقدون ذلك اعتقادا لا شك عندهم فيه ، وبالجملة فشعره يشبه النوح ، ولا يسمعه من عنده أدنى هوى الا أفتتن وهاج غرامه •

وكان بين ابن المعلم المذكور وبين ابن التعاويذى المذكور قبله تنافس ، وهجاه ابن التعاويذى بأبيات جيميةلا حاجة الى ذكرها هنا ـ وقد ذكرناها فى البحث وباب الهجاء • وستأتى ـ ولابن المعلم قصيدة طويلة اولها (من الكامل) :

ردا على شوارد الاظعان ما الدار ان لم تغن من أوطانى
ولكم بذاك الجذع من متمنع هزأت معاطفه بغصن البان
أبدى تلونه بأول موعد فمن الوفى لنا بوعد ثانى

فمتى اللقاء ودونه من قومه | أأنباء معركة وأسد طعان
نقلوا الرماح وما أظن أكفه | خلقت لغير ذوابل المران
وتقلدوا بيض السيوف فما ترى | فى الحى غير مهند وسنان
ولئن صددت فمن مراقبة العدا | ما الصد عن ملل ولا سلوان
يا ساكنى نعمان أين زماننا | بطويلع يا ساكنى نعمان

(طويلع موضع بنجد وقيل ماء لبنى تميم وهضبة بمكة) وله من اخرى (من الكامل) :

كم قلت اياك العقيق فانه | ضريت جآذره بصيد اسوده
وأردت صيد مها الحجاز فلم يسا | عدك القضاء فرحت بعض صيوده

وله من اخرى (من الكامل) :

اجيراننا ان الدموع التى جرت | رخاصا على أيدى النوى لغوالى
أقيموا على الوادى ولو عمر ساعة | كلوث ازار أو كحل عقال
فكم ثم لى من وقفة لو شريتها | بنفسى لم أغبن فكيف بمالى

وله من اخرى (من الكامل) :

قسما بما ضمت عليه شفاههم | من قرقف فى لؤلؤ مكنون
ان شارف الحادى العذيب لأقضين | نحبى ومن لى ان تبر يمينى
لو لم يكن آثار ليلى والهوى | بتلاعه ما رحت كالمجنون

وكان سبب عمل هذه القصيدة ان ابن المعلم المذكور (والأبله وابن التعاويذى) المذكورين قبله لما وقفوا على قصيدة صردر المقدم ذكره فى حرف العين التى اولها (من الكامل) : (١) .

أكذا يجازى ود كل قرين | ام هذه شيم الظباء العين
قصوا علىّ حديث من قتل الهوى | ان التأسى روح كل حزين
ولئن كتمتم مشفقين فقدوتى | بمصارع (العذرىّ) و (المجنون)

---

(١) (قالها صردر مادحا بها عبد الملك ابا نصر محمد بن منصور بن محمد الكندرى =

وهي من نخب القصائد أعجبتهم فعمل ابن المعلم من وزنها هذه القصيدة وعمل ابن التعاويذى من وزنها قصيدة أبدع منها وأرسلها الى السلطان صلاح الدين الايوبى ـ رحمه الله تعالى ـ وهو بالشام يمدحه بها وأولها (من الكامل) :

ان كان دينك فى الصبابة دينى   فقف المطىّ برملتى يبرين

وقد ذكرناها فى غير هذا الموضع تجدها فى الكتاب .

وعمل الأبله قصيدة اخرى ، وأحسن الكل قصيدة ابن التعاويذى .

وحكى عن ابن المعلم المذكور انه قال كنت ببغداد فاجتزت يوما بالموضع الذى يجلس فيه أبو الفرج ابن الجوزى للوعظ فرأيت الخلق مزدحمين فسألت بعضهم عن سبب الزحام فقال هذا ابن الجوزى الواعظ جالس ولم أكن علمت بجلوسه فزاحمت وتقدمت حتى شاهدته وسمعت كلامه وهو يعظ حتى قال مستشهدا على بعض اشاراته ولقد أحسن ابن المعلم حيث يقول (من البسيط) :

يزداد فى مسمعى تكرار ذكركم   طيبا ويحسن فى عينى تكرره

فعجبت من اتفاق حضورى واستشهاده بهذا البيت من شعرى ولم يعلم بحضورى لا هو ولا غيره من الحاضرين . وهذا البيت من جملة قصيدة له مشهورة .

وفى وقعة الجمل على البصرة قبل مباشرة الحرب : ارسل على بن ابى طالب (رضى الله عنه) ابن عمه عبدالله بن العباس ـ رضى الله عنهما ـ الى

= وزير طغرلبك عندوصوله الى العراق فى محرم سنة خمس وخمسين بعد الاربعمائة . « ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ديوان صردر ط . دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٣٤ م » . والعذرى عروة بن حزام عاشق عفراء بنت عمه المنسوب الى بنى عذرة . والمجنون قيس بن الملوح عاشق ليلى) .

طلحة والزبير ـ رضى الله عنهما ـ برسالة يكفهما عن الشروع فى القتال ثم قال له :ـ

لا تلقين طلحة فانك ان تلقه تجده كالثور عاقصا انفه : يركب الصعب ويقول : هو الذلول ولكن الق الزبير فانه ألين عريكة منه وقل له يقول لك ابن خالك : عرفتنى بالحجاز وأنكرتنى بالعراق فما عدا مما بدا ؟ وعلى ـ رضى الله عنه ـ أول من نطق بهذه الكلمة • فأخذ ابن المعلم المذكور هذا الكلام وقال :

منحوه بالجذع السلام واعرضوا بالغور عنه فما عدا مما بدا

وهذا البيت من جملة قصيدة طويلة • ورسالة نقلها فى كتاب نهج البلاغة • ولابن المعلم فى اثناء قصيدة ايضا (من البسيط) :

يوهى قوى جلدى من لا ابوح به ويستبيح دمى من لا اسميه
قسما فما فى لسانى ما يعاتبه ضعفا بلى فى فؤادى ما يقاسيه

ولا حاجة الى الاطالة بذكر فرائده مع شهرة ديوانه وكثرة وجوده بأيدى الناس وكانت ولادته فى ليلة سابع عشر جمادى الآخرة سنة احدى وخمسمائة وتوفى رابع رجب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة بالهرث رحمه الله تعالى •

والهرث ـ بضم الهاء وسكون الراء وبعدها ثاء مثلثة ـ وهى قرية من أعمال نهر جعفر بينها وبين واسط نحو عشرة فراسخ وكانت وطنه ومسكنه الى أن توفى بها رحمه الله تعالى(١) •

---

(١) وفيات الاعيان لابن خلكان (ج ٤ ص ٩٨ ، ٩٩ ١٠٠ ، ١٠١) من الطبعة الجديدة الاخيرة طبعة مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة سنة ١٩٤٨ م مطبعة السعادة ٠

نظرات فى شعر التعاويذى

(فى المدح)

فى الادب العربى العراقى اسفار زاهرة مؤنقة بنفيس الادب وجميل الشعر وممتع النثر ومطرب النظم • وفى تاريخه سير ادباء وشعراء حركوا العالم العربى بآثارهم واطربوا الدهر وابناءه واعجبوهم بكرم الادب وسليمه ومبتكره وعميمه • ولكن تلكم الاسفار والآثار واولئكم النثار والشعراء غطى عليهم سوء الدراسة الادبية واهملهم عمى التقليد واغفلتهم غفلة الاستقصاء • والناس مولعون فى دراسة الشعراء وغيرهم من الادباء بالاحتذاء على من سبقهم واللصوق بآرائهم والاكتفاء بمباحثهم ويغرمون بترديد ما قرأوا وما سمعوا مع بعض التغيير والتطوير ذهابا مع الراحة واسترسالا الى الدعة وتفاديا من الاجتهاد • فأبو نؤاس وابن المعتز وابن الرومى وبشار ومسلم ابن الوليد والعباس بن الاحنف وغيرهم ممن سبقهم كامرىء القيس ولبيد وعبيد وممن تاخر عنهم كالمتنبى وصفى الدين الحلى هم الذين تطور بساحات شـــعرهم الاقلام وتطير بمزايا ادبهم اجنحة الافهام • ولايكـاد الباحثون يجاوزونهم الى غيرهم من فحول الشعراء الذين بالعالم العربى حاجة الى الاطلاع على نتاجهم الادبى • ومن هؤلاء الشعراء المقتدرين المبرزين أمين الدين فخر الكتاب ابو الفتح محمد بن عبيد الله المعروف بسبط ابن التعاويذى والتعاويذ جمع تعويذة وهى الحرز ويعرف اليوم بالدعاء • هذا الشاعر الفخم القصيد العذب النشيد كان من نسل الموالى الاتراك مثل ابن سريج المغنى وزياد الاعجم وغيرهما ممن لا يأتى عليهم الاحصاء • وقد نبغ فى القـــرن السادس للهجرة بثقافته الاسلامية العربية ومبادئه العراقية البغدادية وادبـه العربى الصريح فصار شاعر عصره ونسيج وحده وصار فى القصيد الفحل الذى لايقرع أنفه ولا يحلأ من موارده الادب العذب • وعاصره شباب من

الشعراء بالاضافة اليه وشيوخ واتراب فلم يقاربوه في جزالة الالفاظ وعذوبتها ودقة المعاني وخصبها وجمال الاسلوب وطلاوته ورنين الموسيقى اللفظية وحلاوتها • وبديوانه – وقد طبعه المستشرق مرغليوث – شاهد عدل يشهد بأنه من اعظم شعراء القرن السادس وقوامه ٤٩٠ صفحة •

ومما وفق سبط التعاويذي للاجادة والتحسين والسبق والارتفاع نهوض الدولة العباسية في زمانه ورجعتها الى عزها المكين وسلطانها القاهر واشتمالها على الادب والادباء ورفع مراتبهم فالعروبة الحقة الصادقة لاتسمو بغير الادب العربي حتى في اتعس اطوارها فكيف في عهد الخليفة الهمام اسد بني العباس الناصر لدين الله الذي جعل لديوان الخلافة شعراء اختارهم وقيدت اسماؤهم فعرفوا بشعراء الديوان • منهم أمين الدين فخر الكتاب سبط ابن الشعاويذي المذكور وكانوا يحضرون في الاعياد والمآتم وايام الفتوح الى الديوان المذكور فينشدون قصائدهم بحسب مراتبهم وكانت تجرى لهم الجرايات وتدر عليهم الرواتب حتى ان هذا الشاعر عمي في سنة ٥٧٩ هـ وبقي راتبه يجرى عليه ثم التمس ان ينقل باسم اولاده فلما نقل كتب الى الامام الناصر لدين الله بقصيدة يلتمس بها ان يحدد له راتب آخر مدة حياته وذكر فيها كثرة عياله ونهمهم في الاكل حتى انهم لايمضغون الطعام يقول في اولها :–

خليفة الله انت بالدين والد — نيا وأمر الاسلام مضطلع
انت لما سنه الائمة اعلا — م الهدى متقف ومتبع
قد عدم العدم في زمانك والجو — ر معا والخلاف والبدع
فالناس في العدل والسياسة والا — حسان والشرع كلهم شرع[1]

---

(١) ديوان ابى الفتح محمد بن عبيد الله المعروف بسبط بن التعاويذى طبعه المستشرق مرغليوث وهى طبعة متقنة ولصاحب الديوان فيه خطبة مدرجة فى مطلعه مر ذكرها ونشرها فى مطلع الكتاب أما القصيدة المشار اليها فهى ص ٢٧٢ رقم ١٨٧ •

فانعم عليه أمير المؤمنين بالراتب وكانوا يقصدون بالراتب على ما حققه أحد الكتاب ـ حاجات المعيشة من طعام ولباس ـ ولذلك نجد فى آثار هذا الشاعر القدير شكايات منظومة فمرة يشكو من سمرة الطحين ورداءته فيقول مخاطبا فخر الدين مسعود بن جابر صاحب المخزن :ـ

مولاى فخر الدين انت الى الندى ... عجل وغيرك محجم متباطى
حاشاك ترضى ان تكون جرايتى ... كجراية البواب والنفاط
سوداء مثل الليل سعر قفيزها ... ما بين طسوج الى قيراط
اخنث (١) علي الحادثات وافرطت ... فى الرداءة (٢) ايما افراط
قد كدرت جسمى المضىء وغيرت ... طبعى السليم وعفنت اخلاطى
فتول تدبيرى فقد انهيت ما ... اشكوه من مرضى الى بقراط

ومرة يشكو من شويكة قصاب المخزن لانه اغار على غنمه التى أعطيها والابيات فى الديوان (٣) وهذا مطلعها :ـ

شويكة قصابكم قد اغار ... على غنم لى يحتاشها

ومن قصائده الغر المستحسنة مدى الدهر قصيدته النونية الفخمة التى مدح بها الخليفة المستضىء بأمر الله وذكر ذهاب الدولة الفاطمية منها وعود الخطبة والسكة فيها الى بنى العباس وفتح بلاد اليمن وهلاك خارجي خرج بها سمى نفسه المهدى وذلك فى سنة ٥٧١ هـ ولم تذكر هذه القصيدة فى الديوان بل ذكرت فى مصادر اخرى (٤) ومنها قوله :ـ

قل للسحاب اذا مرتـ ... ـه يد الجنائب فارجحن
عج باللوى فاسمح بدمـ ... ـعك للمعاهد والدمن

---

(١) فى الديوان وردت «عليه» ص ٤٨٧ رقم ٣٢٣ ·
(٢) وقد وردت فى الديوان «فيها الغداة» فى الصفحة المذكورة نفسها ·
(٣) الديوان ص ٤٨٧ رقم ٣٢٢
(٤) افادنيها الاستاذ البحاثة الدكتور مصطفى جواد ·

يا منزل الانس الجميـ   ـبع وملعب الظبى[1] الاغن
سـكنت بـك الآرام مـن   بعـد الاحبـة والسـكن
اين استقلت بالحبيـ   ـب ركابه ومتى ظعن ؟
شـوقى الى زمـن الحمى   سقى الغوادى من زمـن
ولقـد عهدتك والزمـا   ن بشملنا بك ما فطن
شـوق المغرب شـردتـ   ـه يد البعاد عن الوطن
وثـراك ما اغبـرت مسـا   رحه وماؤك ما اجن
وظباؤك الاتـراب لـى   وطـن وتربـك لى وطـن
لام العـذول ومـا درى   وجـدى وبلبالى بمـن
وجدى بمن فضح القضيـ   ـب واخجل الرشأ الاغن
ما ضر من هـو فتنتـى   لو كان يرحـم مـن فتن
دمعـى طليـق فـى محبتـ   ـه وقلبـى مرتهـن
يامحنتـى اودى الصـدود   لعاشـق بك ممتحـن
غادرتـه وقفـا عـلى العبرا   ت بعـدك والحـزن
كلـف الفـؤاد معـذبـا   بين الاقـامـة والظعـن
عطفـا عـلى قـرح الجفـو   ن بعـيد عهـد بالوسـن
لاتبخلـى فالبخـل يـذ   هب بهجة الوجـه الحسن

وشعره كله مضروب على هذا الغرار السليم المستقيم العذب الرنان المملوء من جميل الاقوال والالحان ومنها يقول :ـ

ولرب ليـل بـت فيـ   ـه صريـع باطيـة ودن
اختال مـن مـرح واسـحـ   ـب فضل ثوبى[2] والردن

---

(١) او الحى فى الوفيات
(٢) او ذيلى فى الوفيات

مع مخطف لـدن القـــوا | م اذا انثنى رخص البــدن
لكننى كفـرت ليلـــــــ | ـــة زرته عنى وعــــن
بمدائحــى للمســـــتضى | ء ابى محمد الحســـن
المســتقر من الخــــلا | فة فى الشـواهق والقنـــن
ياجاريا فى العــــدل من | سنن النبى على ســـنن
ياجامعـا خلـق النبـــو | ة والخلافـة فـى قـــرن
دانت لهيبتك الممـــــا | لك والمعاقــل والمـــدن
بالمشـــرفيات الصـــوا | رم والمثقفـة اللـــــدن
واتتك اســـلاب الملـــو | ك مــن الصعيد الى عـــدن
ســـلب الدعى بأرض مصـ | ـــر والمضلل فى اليمـــن
مما اقتنـاه ذورعيـــــ | ـــن فى القديم وذو يـــزن
وشـــفيت منهم بالظبـــا | تلـك الضغائن والاحـــن
لم تغن عنهـــم حـين رعـ | تهم الحصون ولا الجنـــن
أمســت ســـباياهم تقـــا | د اذلة قـود البــــــدن
غادرت عرض بلادهـــم | غرض النوائب والمحـــن
فى كل يـوم من جيوشـــك | غارة فيهـــا تشــــن
واعدت ســـر الاوليـــا | ء المؤمنين بهـــا علـــن
ورحضت مـا بقتــــه آ | ثـار الخـوارج مـــن درن
فكـــأن دعوتهـــم عـــلى | تلك المنابر لـم تكـــن

قال ابن خلكان فى الوفيات وهى طويلة فنقتصر منها على هذا القدر ففيه كفاية (ترجمة صلاح الدين الايوبى)

وقال المستشرق مرغلبوث مادحا ديوانه فى العبارات التالية من مقدمة ديوانه :ــ

« وكم فى هذا الديوان من مدحه رافعة للقدر وارجوزة شارحـة

للصدور ومن اهجية جارحة للاعراض وشكاية مصيبة للاغراض ومرثية مبكية للعيون وقطعة مختلفة الفنون • فان القصائد كأنها مرايا تظهر فيها اسرار القلوب وخفايا الخطوب وتكاد ان تعيد الاموات وتجعلهم ذوى حياة وتظهر من غبر وسلف نصب عين من خلف • • • الخ » •

ثم يقول ايضا : ولا يخفى ان الممدوحين فى هذا الديوان اكثرهم كبير الشأن منهم الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب الذى اشرب محبته القلوب فضرب به المثل فى مكارم الخلق عند أهل الغرب والشرق • ومنهم القاضى الفاضل عبد الرحيم المشهود له بالذوق السليم ومن الائمة والوزراء والقضاة من اطنبت فى وصفه الرواة فورد على فضله برهان واخبرت عنه وفيات الاعيان •

وكذلك المهجوون ليسوا بمن تستخفهم العيون وما ارفع قدر من قصده شاعرنا بمدح او قدح او عتاب او كتاب » (١)

وقد طبع الديوان فى مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩٠٣ (١٣٢١ هـ) طبعة جميلة متقنة مشكلة مما يجعل الديوان سهل القراءة والاطلاع والمطالعة • ولصاحب الديوان سبط ابن التعاويذى خطبة بليغة يشرح فيها اهداف شاعريته وعبقريته فى جميع مواقف الشعر من غزل ومدح وقدح واستعطاف ورثاء وفلسفة وبيان وقد اشرنا اليها فى الحاشية سابقا •

اما ما قاله هذا الشاعر فى المدح فيكاد يكون بلا حصر وكله فى مدح الخلفاء والأمراء والوزراء غير انه لا يخلو من الهجاء المقذع وخاصة رجال الحكم الذين يشطون عن قسطاس العدل وجادة الصواب ومن اولى قصائده فى المدح قصيدة يمدح فيها الخليفة المستضىء بالله وهى مطلع ديوانه :ـ

خجلت من عطائك الانواء   وتجلت بنورك الظلماء
واستجابت لك الممالك اذعا   نا وفيها على سواك اباء

(١) ديوان التعاويذى المقدمة ص ٤ ، ٥

ثم يقول فيها :ـ

انتم عترة النبى وانتم ... وارثوه وآله الرحماء
ما اعتلت هاشم ولا شرفت ... مكة لولاكم ولا البطحاء
انتم القائمون لله بالامر ... وانتم فى خلقه الامناء
انتم فى الدنيا هداة وفى الاخر ... ى لمن ضل سعيه شفعاء (١)

وهى قصيدة طويلة تشتمل ابياتها على سبعة وثمانين بيتا ٠

وقال يمدحه وقد أبل من مرضه فى قصيدة مطلعها :ـ

سحاب الجود هامى الودق ساكب ... وظل الامن ممتد الجوانب
وعود الفضل فينان وورد ... المكارم والندى عذب المشارب

ثم يقول :ـ

ليهن الدين والدنيا جميعا ... واهل الارض من ماش وراكب
سلامة من زناد الجود وار ... بصحتها ونجم العدل ثاقب
فيا كهف الارامل واليتامى ... ويا بحر العطايا والرغائب
ويا نجما يضيء لكل سار ... وصوب حيا يجود لكل طالب
وملجأ كل ملهوف طريد ... اذا ضاقت على الناس المذاهب (٢)

وقال يمدح الامام المستضيء بامر الله ايضا ويذكر ما اتاح الله به من النصر على قايماز ومن معه من الاتراك فى النوبة التى شغبوا فيها ببغداد فى سنة ٥٧٠ هـ فى ذى الحجة وهذا مطلعها :ـ

لك النهى بعد الله فى الخلق والامر ... وفى يدك المبسوطة النفع والضرر
وطاعتك الايمان بالله والهدى ... وعصيانك الالحاد فى الدين والكفر
ولولاك ماصحت عقيدة مؤمن ... تقى ولم يقبل دعاء ولا نذر

---

(١) ديوان التعاويذى ص ١ ، ٣
(٢) الديوان المذكور ص ١٦ و ١٧ رقم ١٠

ثم يقول ايضا :ـ

ومن نطقت آي الكتاب بفضله فما حده ان يبلغ النظم والنثر

ومنها :ـ

ولما ابى الاعـــداء الا تمردا ابى الله الا ان يكون لك النصر [1]

وعدد ابياتها ستة وستون بيتا كلها من بديع القول وجليل المعنى ٠

وقال يمدحه ويذكر الدار المستجدة التى انشأها بالدار المعروفـــة بالرواشين وكان يعمل بها فى كل سنة فى مستهل رجب وليمة يحضرها ارباب الدولـة والامراء والقضاة والشـهود والاماثل المدرسون والفقهـــاء ومشايخ الربط والصوفية واهل الدين وارباب الفضل والمشهورون من التجار ويخلع عليهم بحسب احوالهم ويبرز لهم الجوائز فى آخر الليل عليهـــا اسماؤهم ويطلق فى هذه الوليمة مال وافر :ـ

غـــاداك من بحر الرواعد مسبل وسقتك اخلاف الغيوم الحفـــل

ومنهـــا :ـ

قوم بحبل ولائهم يتمسك الــــــ جانى غـدا وبحبهـم يتوســــل

عن جودهم رويت احاديث النوى وبفضلهم نطق الكتاب المنـــــزل

ثم منها :ـ

ان كنت تنكر مأثرات قديمهـــــم فاســـأل بها « يا ايها المزمـــــل»

شـــرفا بنى العباس شـــاد بنـــاءه لكـم فاعلاه النبى المرســــــل

ماطاولتكم فى الفخـــار قبيلــــة الا ومجدكـم اتم واطـــــــول

شـرفتم بطحـــاء مكة فاغتـــدت بكم يعظم قدرهـــا ويبجـــــل

انتم مصابيح الهـدى والنـــاس فى طرق الجهالـة حائر ومضــــلل

(١) الديوان المذكور ص ١٧٣ و ١٧٤ رقم ١٠٧

ومنها ايضا :ـ

وبمدحـه ميزان اعمـــالى اذا خفت موازين القيامة تثقـــــل
كن لى بطرفك راعيا يامن لــــــه طرف برعى العالمين موكــل (١)

وهى قصيدة طويلة عدد ابياتها ثمانون بيتا .

ثم قال يهنئه بعيد الفطر المبارك لسنة ٥٧٢ هـ وهذا مطلع القصيدة :ـ

ملكت قلبى فى الحكم فاحتكمى أفديك من مالك ومن حكـم

الى ان يقول :ـ

ان يد المستضىء اسمح بالاعـــ طاء يوم الندى من الديـــــم
خليفة الله وارث البرد والخـ اتم والسـيف مالك الامـــــم
معيد شمل الاسلام ملتئمـــــا وكان لولاه غير ملتئـــــم (٢)

وعدد ابياتها ثمانية واربعون بيتا .وقال ايضا يهنئه بدار اخرى استجدها فى سنة ٥٧٤ هـ :ـ

لولاك ياخير من يمشى على قدم خاب الرجاء وماتت سنة الكرم
يامن رأينا عيانا من مكارمـــــه ما حدث الناس عن كعب وعن هرم

الى ان يقول :ـ

بنيت دارا تضى بالسعد طالعهـا قامت لهيبتهـا الدنيا على قـدم
سمت على كل دار رفعة وعلت علو همة بانيهـا عـلى الهمـــم
تعنو الكواكب اجلالا لعزتهـــا وتستكين لها الافلاك من عظم (٣)

ثم يقول مهنئا اياه فى دار اخرى مستجدة فى سنة ٥٦٨ وهذا مطالعها :ـ

---

(١) الديوان ص ٣٢٦ و ٢٨ و ٢٩ رقم ٢١٦
(٢) الديوان ص ٣٧٤ و ٧٥ رقم ٢٤٤ (٣) الديوان ص ٣٧٧ رقم ٣٤٥

احق دار وأولى ان نهنيهــــا دار على السعد قد شيدت مبانيها
لها الهناء وللدنيا بملككــــم يامن بهم تفخر الدنيا ومن فيها
وهل يهنا بدار حلهـا ملـك دانت له الارض قاصيها ودانيها
حللتموها فحل الجود ساحتهـا وجاش بحر العطايا فى نواحيها

الى ان يقول :ـ

بالمستضىء امير المؤمنين علت اركانها وسمت مجدا مراميهـا
خليفة الله فى الدنيا وسائسهـا بحسن سيرته فيها وراعيهـا
خير البريـة ماشيهـا وراكبهـا نعم وحاضرها طرا وباديهـا (١)

ومن آخر الابيات التى يختم بها مدح الخليفة المستضىء بالله هذه وقد قيلت فى رجب من سنة ٥٧٤ هـ :ـ

أولعت بالغدر فى ايمانهـا ووفت بالوعد فى هجرانهـا
انجزت ماوعدت من نأيهـا ليتها دامت على ليانهـا
غادة فى ثغرها مشمولـة حرم الرى على ظمآنهـا

ومنها :ـ

خلها ياحادى العيس علـى رسلها تمرح فى أرسانهـا
تحمل الاقمار فى افلاكهـا وغصون البان فى كثبانهـا

ومنها أيضا :ـ

انتم السادات من اجوادهـا والكماة الحمس من فرسانها
انتم للناس اعلام هـدى يلتجى السارى الى نيرانهـا
انتم فى الحشر ذخر يوم لا ينفع النفس سوى ايمانهـا (٢)

وعدد ابياتها ثلاثة وثمانون بيتا كلها بيان وبديع . اما ماقاله فى مدح

---

(١) الديوان ص ٤٥٢ و ٥٣ رقم ٢٩١
(٢) الديوان ص ٤٤٤ و ٤٥ و ٤٦ رقم ٢٨٣

ابيه المستنجد بالله فيغنى عن الوصف وهذا مطلع قصيدة ابياتها تسعة وثلاثون بيتا يهنئه بالدار التى انشأها بالريحانيين فقال :ـ

تهن بها اشرف الارض دارا جمعت العلاء لها والفخارا
والبستها هيبة من علاك وملأت النواظر منها وقارا

الى أن يقول :ـ

امام تبلج وجه الزمان بوجه خلافته واستنارا

ثم يقول :ـ

واصبح بالله مستنجدا فخوله بسطة واقتدارا
كريم المغارس من هاشم يجير العدى ويقبل العثارا (١)

وقال يمدحه فى قصيدة اخرى ويهنئه :ـ

رب الزمان اجل قد راً ان يهنى بالزمان
لكنها العادات فى رفع المدائح والتهانى
ملك تدين لامره الثقلان من انس وجان (٢)

اما فى مدح الامام الهمام الخليفة الناصر لدين الله بن المستضىء بالله فقد اجاد كل الاجادة لانه كان ولى نعمته كما اسلفنا فانفرد بقصائد من غرر قصائده فى مدحه والثناء على حكمه وعدله فقد قال يهنئه فى عيد الفطر المبارك من سنة ٥٨٣ هـ :ـ

عصر الشباب تصرمت اوقاته وتبسمت عن فجرها ليلاته
اودى بجدته المشيب فاخلقت اثوابه واسترجعت عاراته

---

(٢) الديوان ص ١٧٧ و ٧٨ رقم ١٠٨
(٣) الديوان ص ٤١٦ و ٤١٧ رقم ٢٦٨

ومنها يقول :ـ

اوضحتم بآل عباس لنـــــــا   نهج الهدى حتى انجلت شبهاته
ايدتم الدين الحنيف فاصبحت   مجموعة بسيوفكم اشتاتــــه
اعززتموه فما يلين قتــــاده   ودعمتموه فما تلين قناتـــه
رفعت ببيض نصالكم اعـواده   وتحصنت باســـودكم غاباته

ثم يقول :ـ

والمسجد البيت الحرام فانتـم   جيرانــه وقديمكــم ســاداته
طفتم به فمسحتم اركانـــه   وحطيمه فتأكدت حرماتـــه

وكذلك يقول :ـ

فلينصرن الله دينا انتـــــم   انصاره من دونه وحماتـــه
وليطوين الارض من اقطارها   ولواكم منشورة عذباتـــــه
فأصخ امير المؤمنين لشـــاعر   سارت بمدحك فى البلاد رواته[١]

وهى طويلة عدد ابياتها يربو على التسعين :

وفى قصيدة اخرى يمدح الخليفة الناصر ايضا ويتوجع عقب الحادثة التى نزلت ببصره وهى سنة ٥٧٩ هـ كما اسلفنا ومطلعها :ـ

عسى الدهر يوما بالبخيلة يسمح   فتصحب آمال حران وتسـمح
تناءت بليلى الدار وهى قريبـــة   وما خلتهـا تناى بليلى فتنـــزح

ثم يقول منها :ـ

عزيز عليها ان ترانى جاثمـــا   ومالى فى الارض البسيطة مسرح
أظل حبيسا فى قرارة مـــنزل   رهين أسى أمسى عليه وأصبح
مقامى فيه مظلم الجو قاتــــم   ومسعاى ضنك وهو فيحان أفيح

---

(١) الديوان ص ٦٣ و ٦٦ و ٦٧ رقم ٤٤

اقاد به قود الجنيبة مسمحا   وماكنت لولا غدرة الدهر أسمح
كاني ميت لاضريح لجنبه   وما كل ميت لا اباك يضرح

ومنها يقول ايضا :ـ

الى الناصرى المستضيء رمت بنا   ركائب آمال من السير طلح
ولما أحلتنى الامانى ببابه   تدفق رزق كان بالامس يرشح
واسفر وجه الحظ جذلان باسما   وعهدى به وهو العبوس المكلح (١)

وهى طويلة ايضا • ثم قال ليمدحه فى عيد النحر من سنة ٥٨١ ه حيث يقول منها :ـ

فقل لملوك الارض دينوا لامره   ولا تتولوا حائرين عن القصد
ولا تضمروا عصيان أمر امامكم   مخالفة عنه فعصيانه يردى
اطيعوه من حر وعبد فأنه   خليفة مبعوث الى الحر والعبد (٢)

وهى تشتمل على خمسين بيتا • ثم يمدحه ايضا فى قصيدة اخرى عصماء تتكون من سبعة وسبعين بيتا وهذا مطلعها :ـ

مدحك لا يستطيعه البشر   أنى وقد أنزلت به السور

ومنها يقول :ـ

سست الرعايا بسيرة لم يسر   فى الناس الا بمثلها عمر (٣)

ثم يغالى فى مدحه كثيرا حتى انه وضعه فى مقام الانبياء • وفى مدحه وتهنئته بختان ولديه ابى نصر وابى جعفر فى سنة ٥٧٨ه وهذا مطلع القصيدة والبيتان اللذان يتلوانه :ـ

---

(١) الديوان ص ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ رقم ٥٧
(٢) كذلك ص ١٥٠ رقم ٩٨
(٣) كذلك ص ١٥٨ رقم ١٠٣

ختان جرى بالنجح واليمن طائره | موارده محمودة ومصادره
قضت بتباشير الصدور صدوره | ونيل المنى أعجازه وأواخره
بطالع سعد لايغيب نجومه | وزائد حظ لاتغب بشائره

ثم يستمر فى وصف هذا اليوم السعيد وعظمته الى ان يقول :ـ

هم أمراء المسلمين عليهم | اذا ريع سرب الملك تثنى خناصره
وهم عدد الاسلام ان عن حادث | كفوه وهم اعضاده وذخائره
بهاليل من آل النبى تأشبت | عناصرهم فى خندف وعناصره

الى ان يقول :ـ

يطيعهم الدهر المطاع قضاؤه | وترهبهم احداثه ودوائره

ثم يختم هذه القصيدة العصماء بقوله :ـ

هو الناصر الدين الحنيف بسيفه | وآرائه والله بالغيب ناصره
فحزت على ابناء دهرى بمدحه | وعظم قدرى اننى اليوم شاعره
اصوغ له حلى المديح ولم تكن | لتحسن الا فى علاه جواهره
فلا زالت الاقدار تجرى بأمره | وتدفع من حوبائه ما يحاذره (١)

وابدع ما جادت قريحة هذا الشاعر بالمدح مدحه الناصر لدين الله أمير المؤمنين عند جلوسه على عرش الخلافة فى اواخر سنة **٥٧٥ هـ** من قصيدة تحتوى على اثنين وخمسين بيتا حيث يقول فى المطلع :ـ

طاف يسعى بها على الجلاس | كقضيب الاراكة المياس

ثم يقول :ـ

كيف لايفضل السواد وقد أضحى | شعارا على بني العباس
أمناء الله الكرام واهل الجـ | ـود والحلم والتقى والبأس

---

(١) الديوان ص ١٧١ رقم ١٠٦ و ١٧٢ و ١٧٣

علماء الدين الحنيف واعـــلا م الهدى والضراغم الاشراس
ايد الله دينه بجبـــــــــال منهـم شمخ الهضاب رواسـي

الى أن يقول :ـ

ورأينا برد النبى على منــــــــ كب طود من الائمة رأســـى

ثم يعدد اعماله فى الكر والحرب واصلاح حال الرعية بقوله :ـ

يا مبيد العدى ويا قاتل المحــــ ــل نداه وطارد الافـــلاس
حجة الله انت والسبب المـــ ـــدود مابينه وبين النـــاس
انت أحييت رمة العدل والجـــ ـــود وأنشرتها من الارمـــاس
وارحت الزوراء من جور مــزو رعن الخير فاجر مكـــاس (١)

ومن لطيف ما يذكر هنا ما قاله لحرم الخليفة المستضىء بالله برسم كان له عليهـــا :ـ

اى فقير بعطاياك يـــــــا خير نســاء الخلق لم ينعشـــ
واى دار لك بالجود والاكـــر ام للعافين لم تفـــــرش
انت التى جدد احسانهـــــا أنسا لربع الكرم الموحشـــ
مذ كفت الايام عن ظلمهــــا كفك لم تفتك ولم تبطشـــ
ومذ وردنا بحر احسانك الــ زاخر لم نظمأ ولم نعطشـ
جودى برسم انا من خوف تض جيعك فيه جد مستوحشـــ
فلى عيال لايريدون مـــن فاكهة الدنيا سـوى المشمشـــ
تعجبهم جرد اماميــــــة مثل وجوه الغيد لم تخمشـــ
بقيت مارق نسـيم الصبـــى وراقت الخمرة للمنتشــــى (٢)

ثم يرجع فيقول فى مدح الامام الناصر لدين الله ويسأله استخدام

---

(١) الديوان ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ رقم ١٥٣
(٢) كذلك ص ٢٤٥ رقم ١٦١

ولده الاصغر فى جملة حجاب الديوان العزيز بمعيشة عينها له وهى من الاراجيز اللطيفة يقول فى مطلعها :ـ

خليفة اللـه الـــــــذى وعـــوده لا تخلــــف
وبا اماما اعجـــــــزت صفانـــه من يصـــــف
ما عنـده لســــائل رد ولا توقـــــــــف

ثم يقول مادحا :ـ

ان ابا العباس عـــــــد ل فـى القضـاء منصــف
وانـه اكرم مــــــــن داس الثرى واشـــــرف
وان مدحي فيـــــــه لا يدخلـه التكلـــــــف

ثم ياتى الى بيت القصيد فيقول :ـ

فاغتنموا مدحى فأنـــــى زائر منصـــــــرف
قد شبت فى خدمتكـــــم ولى بـــذاك الشـــرف
والعبد كىء شــــامط يخشـى عليـه التلـــف
وليس بعد الشـــيب الا ميتة أو خــــــرف
وخلفه عائلـــــــــة اغراضهـم تختلـــف
قد الزموه كلفــــــا واين منـــه الكلـــف
وفيـه مع مغـــــارم يحملهـا تعقـــــف
تأنف من مـــدح الليـا م نفســه وتعــــزف
مـا هو مثـل غـــيره مـــدروز مقيّـــف
يمتدح الكنـاف اســـ فافا ولا يستنكـــف
فانظـر اليـه نظـــرة وقـد ابل المدنـــف
فحالــه يصلحهـــا تدبـــيرك الملطـــف
وقد نشـا للكى يـــا مولى الانـام مخلـــف

قد الف القفصة وهـــــــــ ... و حولهـــــا يرفـــرف
يشعفني حبـــــــا ومـا ... زال الصغير يشـــعـــف
ومالـــــه بعـــدى مو ... روث ولا مخلـــــف
وليس لى مـــلك ولا ... دار عليـــه توقـــف
وادمعى من فـــرط اشـ ... ـفاقي عليـــه تـــذرف
وهو وقد بلوتـــــــه ... مهـــذب مثقـــــف
مـا فيـــه لاكبـــر ولا ... تيـه ولا تعجـــــرف
قـــد اينعت اثمـــاره ... وعن قليـل تقطـــف
وهمــه الخدمة في الـــد ... يـوان وانتصـــــرف
فاغرســه لى فى خدمـــة ... يســمو بها ويشـــرف
يعلو بهـا بين الانـــــام ... قـــدره ويعـــرف
مادام ريان القضيـــــب ... عـــوده منعطـــف
وبعـد شـــــهرين اذا ... مادار فيــه العلـــف
واقبل العيد الـــــذى ... تنفق فيــــه العـــرف
تراه فى الموكـــب وهـو ... كاللـــواء مشـــرف
كانه فى الهيئـة الســـو ... داء بـــدر مســـدف (١)

ثم يختم القصيدة بابيات الدعاء للخليفة المذكور •

ومن مدائحه للخليفة الامام الناصر لدين الله ايضا فى عيد الفطر لسنة ٥٨٠ ﻫ قوله فى مطلع قصيدة ابياتها تربو على السبعين بيتا حيث يخاطبه فى ابيات من الغزل :ـ

لو ان قلبك مثل قلبى مغرم ... لم يثن عطفك ما تقول اللــوم
لكن عدتك صبابتى فاطعتهـم ... شتان خال قلبــه ومتـــيم
عودى مريضا فى يديك شفاؤه ... اشفى وانت بما يكابد اعلـم

(١) الديوان ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ رقم ١٩١

او فاحسمى شكواه من داء الهوى   ان كان داء هواك مما يحسم

فيستمر فى هذا النوع من التغزل والتوسل الى ان يأتى الى قوله :ـ

قرم باعباء الخلافة ناهض   صب بتدبير اعمالك قيم

ثم يقول :ـ

فاسلم امير المؤمنين فاننا   بك ما سلمت من المخاوف نسلم[1]

وكذلك يقول مادحا ومهنئا بعيد الفطر للسنة التى تبعتها فى هذا النوع من التخيّل :ـ

سقاك سار من الوسمى هتان   ولا رقت العوادى فيك اجفان

يادار لهوى واطرابى وملعب اتـ   رابى وللهو والاطراب اوطان

ويقول ايضا :ـ

واذ جميلة تولينى الجميل وعنـ   ـد الغانيات وراء الحسن احسان

ثم يسير على هذا المنوال بقوله :ـ

وما عسى يدرك المشتاق من وطر   اذا بكى الربع والاحباب قد بانوا

وهو يقول ايضا ٠

لله كم قمرت بجوك اقـ   ـمار وكم غازلتنى فيك غزلان

حتى يصل الى قوله وهو ابدع ما يأتى بوصفه الشاعر لخليفة تولى الخلافة وهو شاب ظريف فيقول فيه :ـ

فى خده وثناياه ومقلته   وفى عذاريه للمعشوق بستان

شقائق وأقاح نبته خضل   ونرجس عبق غض وريحان

ما زال يمزج كاسى من مراشفه   بقهوة انا منها الدهر سكران[2]

وبهذه الطريقة يجود بقصيدة من سبعة وسبعين بيتا فياله من معين فياض لاينضب ماؤه ولا يجف نبعه ٠

وانحصر مدحه للخلفاء فى ثلاثة هم الاب وهو المستنجد بالله والابن

---

(١) الديوان ص ٣٧٠ ، ٣٧٣ رقم ٢٤٣

(٢) الديوان ص ٤١٢ ، ٤١٣ رقم ٢٦٧

وهو المستضيء بامر الله والحفيد وهو الامام الناصر لدين الله والى هنا ننتهي من مدحه للخلفاء وقبل ختام فصل المدح لابد لنا من ذكر شيء في مدحه للوزراء وارباب الدولة الذين كانت لهم المنزلة العليا في الدولة كما كان لهم الامر والنهي والحل والربط في اغلب الاحيان • ونبدأ في مدحه لاولهم وهو الوزير عضد الدين ابو الفرج هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء قال يمدحه معتذرا وذلك في سنة ٥٧١ هـ •

ابثكم انى مشـــرق بكم صـــب ... وأن فؤادى للأسى بعدكم نهب
تناســـيتم عهدى كأنى مذنـــب ... وما كان لى لولا سلامكم ذنب
وقد كنت ارجو ان تكونوا على النـــوى كما كنتم ايام يجمعنا القرب

ثم يصف القصر ومن فيه من الجوارى الحسان فيقول :ـ

وبالقصر من بغداد خود اذا رنت ... لواحظها لم ينج من كيدهـا قلب

وهكذا يستمر في تغزله بالخود حتى يأتي الى قوله :ـ

اذا قلت ياللماء حبك قاتلـــــــى ... تقول وكم من عاشق قتل الحب
وان قلت قلبى فى يديك ضريبة ... تقول واين المستطيب له الضرب
رويدك ان المال غاد ورائـــح ... ومن شيم الدهر العطيةوالسلب(١)

وهكذا يسير في قصيدة قوامها خمسة وسبعون بيتا من اسمى ما قيل في المدح وتعداد المناقب •

ثم يمدحه فى الذكرى السنوية لتولية الوزارة بقصيدة هذا مطلعها :ـ

كذا كل يوم دولة تتجـــدد ... وملك على رغم الاعادى مخلد
وجد على ظهر المجرة صاعد ... ومجد على هام النجوم موطد
ولازال للعافين فى كل موسم ... وقوف على ابوابكم وتـــردد

الى ان يقول :ـ

غدت بكم بغداد دار كرامة ... طريق الندى للناس فيها معبد

---

(١) الديوان ص ٣٠ و ٣١ و ٣٢ رقم ١٤

ويقول ايضا :ـ

وكم للوزير ابن المظفر من يد   الى اهلها بيضاء والدهر اسـود

ثم يقول :ـ

وزير اتى الدنيا بعين تجـــرب   يرى ان كسب الحمد اجدى واعود

وهكذا يختم القصيدة بهذين البيتين :ـ

وعمت يداك الارض عدلا ونائلا   فلا الظلم فى الدنيا ولا العدم يوجد

سعدت بعام انت كوكب سعده   ولا زالت الايام تشقى وتسعد (١)

ثم تراه يرتجل ابياتا عندما خرج لملاقاته حيث خرج الوزير فى صحبة الخليفة الى نهر ملك (٢) وعند رجوعه قال مرتجلا :ـ

---

(١) الديوان ص ١١٨ و ١١٩ رقم ٧٧

(٢) جاء في معجم البلدان لياقوت الحموى في مادة (نهر الملك) مانصه:ـ كورة واسعة ببغداد بعد نهر عيسى يقال انه يشتمل على ثلثمائـة وستين قرية على عدد ايام السنة قيل ان اول من حفره سليمان بن داود عليهما السلام وقيل انه حفره الاسكندر لما خرب السواد وكذلك الصراة ٠٠٠ وقال ابو بكر احمد بن علي حفر نهر الملك اقفور شاه بن بلاش وهو الذى قتله اردشير بن بابك وقام مقامه وكان آخر ملوك النبط ملك مائتى سنة ٠ ج٨ ص ٣٤٦ مطبعة السعادة سنة ١٩٠٦ ٠

وجاء فى كتاب (بلدان الخلافة الشرقية) من تأليف غى ٠ لسترنج وترجمة الاستاذين بشير فرنسيس وكوركيس عواد من مطبوعات المجمع العلمى العراقى مطبعة الرابطة سنة ١٩٥٤ ص ٩٣ ، ٩٤ ما نصه :ـ « أما النهر الثالث الذى يحمل من الفرات الى دجلة فكان نهر الملك واوله عند قرية الفلوجة اسفل من فوهة نهر صرصر بخمسة فراسخ ومصبه فى دجلة أسفل من المدائن بثلاثة فراسخ ٠ وكان نهر الملك معروفا منذ الازمنة القديمة فقد ذكره اليونان باسم نهر ملخا (Malcha) ٠٠٠٠٠ ثم يذكر خبر ياقوت ٠٠ ثم يقول وكانت على ضفافه مدينة يقال لها نهر الملك عليه فيها جسر من سفن يعبر عليه طريق الكوفة وهى على سبعة اميال جنوبا مـن صرصر ومدينة نهر الملك كانت على ماذكر ابن حوقل « اكبر من صرصر عامرة باهلها وهى اكثر نخلا وزرعا وثمرا وشجرا منها » وزاد المستوفى على ذلك ان قد كان فى كورتها نيف وثلاثمائة قرية ٠ ٠ ثم علق فى الحاشية ان ياقوت سبق فذكر هذا الخبر الاخير وقد سبق المستوفى بنحو مائتى سنة كما اوردنا خبر ياقوت نحن هنا ٠

بعلو جدك يسعد الدهـــر والى فخارك ينتهى الفخـــر
اقبلت والاقبال فى قـــرن وقدمت يقدم جيشـك النصر
وتوحشت بغداد لاعدمـت بك انسها وتجهم القصـــر
لا تحتقر امد الفراق لهـــا فلساعة هى عندها شـــهر
أتلام ان ابدت كآبتهـــا ارض يحل بغيرها القطـــر (١)

ومن مدائحه له ايضا قوله يهنئه بعوده الى الوزارة وما من الله به من الظفر بخصومه من الاتراك والأدلة عليهم وانتزاحهم من منازلهم منهزمين الى الشام فى سنة ٥٧٠ ﻫ فى مطلع قصيدة :ـ

الدست من لألاء وجهك مشرق وعلى الوزارة من جلالك رونق
ما ان رأت كفوا لها حتى رأت سود البنود على لوائـك تخفق

ثم يقول :ـ

ردت اليك فاصلها بك ثابـت عالى البناء وفرعها بك مـورق

ويقول ايضا :ـ

آل المظفـر والســـيادة فيكم خلق وغيركـم بهـــا يتخلق

وكذلك يقول :ـ

فالدين مذ اضحى الوزير محمد عضدا له طلق الاسرة مؤنـق
اضحى بك الاسلام وهو محصن فعليه سور من سطاك وخنـدق
عاجلت اهل البغى حين تجمعوا ورأيتهم بالرأى كيف تفرقـوا

وعلى هذا الغرار يسرد قصيدة الى ان يختم مفتخرا بمحجلاته البليغة فيقول:ـ

فانصت لمدح فيك صيغ كانه الـ ـدر الفريد وما عداه ملفـق (٢)

ثم يمدح عماد الدين ابن رئيس الرؤساء فى سنة ٥٨٠ ﻫ فى قصيدة طويلة نقتطف منها هذه الابيات التى تبدأ بهذا المطلع الجميل والبيت الذى يليه :ـ

حث كؤوس الـــراح واشـرب عـلى الاقاحى
وناد فـى ندمانهـــا حي عــلى الفـــلاح

---

(١) الديوان ص ٢٠٥ رقم ١١٦
(٢) الديوان ص ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٢٩٨ رقم ١٩٩

ثم يقول :ـ

تخال فى كاساتها كواكب الصباح
وعاطنى على وجو ه الخرد الملاح

وهكذا يسير بقصيده نشوان فلا يصحو الا عند الابيات التالية :ـ

هم اكرم الناس وانـ ـداهم بطون راح
معرفة انسابهم فى الكرم الصراح (١)

ثم يستمر بالمدح والاستعطاف لاصلاح حاله وفقره وهو الشاعر الفحل الذى لا يضاهى ولا يبارى بين ابناء عصره .

وقال يمدح عماد الدين بن رئيس الرؤساء ويهنئه بمولود ولد له فى هذه السنة وعلى الغالب انها سنة (٥٥٠ هـ) .

قم بين اكسار البيوت ونـاد قد طرقت ام العلى بجـواد
جاءت على عقم به ليث الشرى طود الحجى جم الندى والناد

حتى يخاطبه بهذه الابيات :ـ

فاسعد عماد الدين مغتطبا بميـ ـمون القدوم مبارك الميلاد
فكأنه قد مد عن كثب الـى العلياء كف مدرب معتـاد

ويختم قصيده بهذا البيت :ـ

حتى ترى فيه نجيبا ما رأى آباؤك الكرماء فى الاولاد (٢)

وهو عماد الدين ابو نصر علي بن رئيس الرؤساء وقد نظم قصيدة فى مدحه ذاكرا البستان الذى انشأه بداره بقراح نصر القشورى وذلك فى سنة ٥٥٧ هـ مطلعها .

لم يبق فيك لمشتاق اذا وقفـا الا ادكار رسوم تبعث الاسـفا
ونظرة ربما ارسـلت رائدهـا والطرف ينكر من معناك ماعرفا

---

(١) الديوان ص ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ رقم ٦٠
(٢) كذلك ص ١٣١ و ١٣٢ رقم ٨١

ثم يصف البستان بهذه الابيات :ـ

ياصاح قم فوجوه اللهـو سافرة ... وناظر الهم بالافراح قد طرفـا
كسا الربيع ثراها من خمائلـه ... ربطا والقى على كثبانها قطفـا
والغيم باك وثغر النور مبتسـم ... وطائر البان فى الاغصان قد هتفا
والثغر ريان لدن العطف قد عقدت ... لآلىء الطل من اوراقه شـنفـا

وعلى هذا المنوال يسترسل بابيات عديدة فريدة الى ان يقول :ـ

يامن يلوم عليا فى مواهبـه ... هيهات حاولت منه غير ما الفـا
فهل يلام عباب البحران زخرت ... امواجه ومهب الريح ان عصفـا

ويخاطبه تارة بعلي وتارة بابى نصر حيث يقول :ـ

كم رد عنى سهام الدهر طائشة ... ولم ازل لمرامى صرفه هدفـا
وكم دعوت ابا نصر لحادثـة ... جلت فما خار عن نصرى ولا صدفا
احلنى من جميل الرأى منزلـة ... غدوت منها لظهر النجم مرتدفـا
تبدو له عورة منى فيسترهـا ... وان دعوت به فى غمة كشـفا

ويوشك ان يختم قصيده بهذين البيتين :ـ

فاسمع دعاء ولى بات مبتهـلا ... فيه وظل على الاخلاص معتكفا
مدحا ملأت به قلب الحسود جوى ... كما ملأت بطون الكتب والصحفا (١)

ويختم مدحه بقصيدة تربو على الاربعين بيتا يبدأها بمطلع الغزل فيقول

ليهنك ان عينى ما تنـام ... وانى فيـك صب مسـتهام
وان القلب بعدك ما اسـتقرت ... نوافره ولا برد الغـرام

ويقول ايضا :ـ

ذكرت بها زمان هوى ووصـل ... جني للصبى فيه غـرام
يقيم مواسـم اللذات فيـه ... وجوه من بني حسن وسـام
نشـدتك ياحمامات المصـلى ... متى رفعت عن الخيف الخيـام

(١) الديوان ص ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ رقم ١٩٥ ٠

وهل زالت مع الاظعـــان عنها　　بدور لأيزايلها التمـــــام

ومنها يقول :ـ

لها شيم يفوح لها اريـــــج　　كما انفتقت من الروض الكمـام

تشد اليه اكوار المطايـــــا　　كأن فناءه البلد الحـــــرام

ويختم مدحه بهذه الابيات مغاليا فى ذلك فيقول :ـ

اقام نداك للاداب ســـــوقـا　　وكانت عند غيرك لا تقـــام

فخذ منى الثناء بقـدر وسـعى　　فقدر علاك شـىء لايـــرام

ثناء فيك لم يمدح قديمـــــا　　بجودته الوليد ولا هشـام (١)

وعلى الغرار الذى مدح به عماد الدين بن رئيس الرؤساء يمدح ابا الفتوح عز الدين بن عبد الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء ايضا والده ووالد الوزير عضد الدين فى سنة ٥٤٧ هـ والشاعر فى عهد شبابه يومئذ فيقول فى قصيدة تربو ابياتها على الاربعين :ـ

قم قبل اســـفار الصبـــاح　　قم فاكس راحك كأس راح

قم ياانديم فناد فـــــــى　　الندمان حي عـلى الفـلاح

فالعيب ان تبـــــــدو　　تباشير الصبـاح وانت صـاح

وهكذا يصوغ له من الدرر العجيبة الى ان يقول :ـ

مخضـرة اكنافـــــــه　　والعام مغبر النواحـــــى

هش الى الاحســــان ذو　　طرب اليـه وارتيـــاح

امسى وليس له الى غــــ　　ـــير المكارم من صيـــاح

ثم يستمر فى وصفه ووصف مكارمه حتى يصل الى قوله :ـ

فاليك عز الدين شـــــا　　ردة من العرب الفصـــاح

عذراء لم تســـمح لغـير　　بني المظفر فى نكـــاح

---

(١) الديوان ص ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٣٩١ رقم ٢٥٠

ثم تراه يشكو الزمان ويلوذ بهم فيقول : ـ

وبهم اروض مصاعـــب الا ... يام من بعد الجمــــاح
وهم الامان من الـــزما ... ن وحسن رأيهم سـلاحي
ويح الزمـان الام يســـ ... ـفر لي عن الوجه الوقـاح
زمن اساله ويأبـــى ... صرفه الا كفاحـــى (١)

ومن ابدع مدائحه له في هذه القصيدة العصماء المشتملة على اكثر من اربعين بيت قوله :ـ

الام اكتم فضلا ليس ينكـتم ... وكم اذود القوافي وهي تزدحم
وكم اداري الليالى وهي عاتبة ... وكم تعبس ايامي وابتســم
ما للحوادث تصميني باسهمها ... رميا ولكنها تصمي ولا تصـم
لكل يوم خليل لا افارقـــه ... وعزمة من حبيب داره أمـم
ياقلب مالك لاتسلو الغـرام ولا ... ينسيك عهد الهوى بعد ولا قدم

ثم يأتي الى قوله :ـ

عج بالمطي على الزوراء تلق بها ... مبارك الوجه في عرنينـه شـمم
مؤيد العزم من آل المظفر محمـ ... ـود الخلائق ترمى عنده الذمم
رحب الذراع طويل الباع لاحرج ... يوما اذا سئل الجدوى ولاسـئم
بكل حي له آثار مكرمــة ... وكل ارض بها من جوده علـم
تصمي قلوب العدى بالرعب سطوته ... وتقشعر اذا سمي لها الصـمم
ماضي العزيمة لاتثنيه عن أرب ... سمر العوالى ولا الهندية الحذم (٢)

وقال يمدح القاضي الفاضل ابا علي عبد الرحيم بن علي ويشعره بالحادثة التي نزلت ببصره وفيها المدح والشكوى معا من كارثة العمى التى حلت به

(١) الديوان ص ٨٩ و ٩٠ و ٩١ رقم ٦١
(٢) كذلك ص ٣٩١ و ٣٩٢ رقم ٢٥١

والممدوح ممن ذكرهم بالمدح شارح الديوان المستشرق مرغليوث في مقدمته في اول صفحة من صفحات الديوان قال ابن التعاويذي في مطلعها وابيات منها :ـ

مرت بجمع ليلة النفر تجمع بين الاثم والاجر
ادماء غراء هضيم الحشا واضحة اللبات والنحر

(واللبات جمع لبة وهي موضع القلادة من الصدر)

مرت تهادى بين اترابها كالنجم بين الانجم الزهر

ثم يقول :ـ

لم احظ منها بسوى نظرة خالستها من جانب الحذر
اومت بتسليم وجاراتها يرميننا بالنظر الشزر

وكذلك يقول :ـ

وليلة بات سميرى بها بيضاء تحمى بالقنا السمر

ثم يزداد تغزلا بالممدوح فيقول :ـ

باتت تعاطيني جناريقة رقت فاغنتني عن الخمر

الى ان يقول مخاطبا اياها :ـ

يا حلوة الريق برود اللمى روض الصبا باسمة الثغر
اما كفاك البين لي قاتلا حتى شفعت البين بالهجر

ثم ياتي الى الشكوى التي اكلمت فؤاده واقعدته منعزلا بذهاب بصره فيقول شاكيا :ـ

مالي ارى الناس وحالي على خلاف احوالهم يجري
دهري مامور ومستعبد والناس في نهي وفي امر
ولليالي دول بينهم تنقل من زيد الى عمرو

تجول من بؤس الى نعمـــة طورا ومن عسر الى يســـر
فكم نبيه قد رأيناه بالامســ وضيعــــا خامل الذكـــر
وكم فقير بات ذا عســـرة اصبح وهو الموســـر المثرى
ورب هاو في حضيض الثرى طار به الجد مع النســـر
تختلف الايام في اهلهـــا مثل اختلاف المـد والجـزر
وما ارى لى بينهم دولـــة ترفع من شأنى ومن قدرى
كانني لســت من الناس فـى شيء ولا دهرهم دهـــرى
وما لانسانيتي شـــاهـــد عندى ســوى أنى في خسر
اعيش في الدنيا على حالـــة واحـــدة اصحبهـا عمـرى
فليت شعرى يازمانى متـــى اخرج من دائرة الشـــعر

ثم يستمر معبرا عن هذه الشكوى حتى يصل الى قوله :ــ

كانني يعقوب في الحزن بل ايوب في البأســاء والضـر
اسيرهم لا ارى فاديـــا يفك من قبضتـه اســـرى
حبيس بيت مفردا مســلما فيه الى الاحـــزان والفكـر
تضيق عن خطوى اقطـــاره وهو رحيب واســع القطـــر
كانني في قعره جاثمـــا ميت وما الحـــد في قبـر
ناء عن الاحياء في بـــرزخ منقطع عن بينهم ذكـــرى
ليل حجاب لا ارى فجـره يا من رأى ليلا بلا فجـــر
لارفعن اليوم حـــالى الـــى ذى امرة ينظر في أمـــرى
اشكو فيشكيني نـــداه وان شـــكرته أطربه شـــكري
اهدى اليه مثل اخلاقـــه الحسنى ثناء أرج النشـــر
حبائر اجهـزت اعلاقهـــا الى الاجـل الفاضـــل الحبر
ابى علـي وابنـه واخـــي السماح والاحســـان والبر
عبـــد الرحيـم الغر آباؤه مولى الندى والنعم الغـــر

ثم يصعد الى اوج المدح فيه فيقول :ـ

باهت على الالقاب اسـمـاؤه　　تكبـرا منـه على الكبـر
يقطر ماء البشر من وجهـه　　لاخير في وجه بلا بشـر
احسانه يتبـع احسـانه　　تتابـع القطر عـلى القطـر
لا مثل من معروفه فلتـة　　والجود منـه بيضة العقـر

ثم يذكر ادبه وقوته على الكتابة في المراسلات والرسائل التي كان يوجهها الى الاقطار الاسلامية اوانذاك فيقول :ـ

وكاتب ما فتئت كتبـه　　طلائعـا للفتـح والنصر
تنوب يـوم الروع اقلامـه　　عن قضب الهنديـة البتـر

أما في الكرم والجود فيجود بهذه الابيات الجميلة التي تستحق ان تكون بمثابة مضرب الامثال في كرم حاتم وامثاله من الكرماء الاجواد فيقول :ـ

يمم حمى عبد الرحيم الذى　　يقتـل اعسـارك باليسر
احلل به واسرح مطاياك في　　منبت روض المجد والفخر
وقل له يا افضل النـاس ان　　افاض في نظـم وفي نثـر

ثم يشيد بطهارة مولده لعدله في الحكم فيقول :ـ

والعدل في حكم دليل علـى　　طهـارة المولـد والنجر

ثم يعترف له بالفضل ولابي خالد في واسط كذلك فيقول في هذا البيت:ـ

ملكت رقي وابو خالـد (١)　　في واسـط بعد على المجـر

ثم يخاطبه بقوله في هذين البيتين اللذين نختتم القصيدة بهما :ـ

ابا علي انـت جانـى ثمـار　　الفضل والجانـى عـلى الوقر
لا يضحى عن ظل اياديك مـن　　بـات الى ظلـك ذافقـر

(١) في النسخة المخطوطة المبوبة « ابو غالب » على ما ذكره المستشرق مرغليوث شارح الديوان وطابعه ·

هذا وعدد ابيات هذه القصيدة العصماء مائة واربعة وثلاثون بيتا وهى اطول القصائد فى مدحه [١] .

ومما يجدر ذكره انه مدح صلاح الدين ابا المظفر يوسف بن ايوب بقصيدة تشتمل على ثمانية وستين بيتا انفذها اليه الى دمشق على يد رسوله ابن ابى المها فى ٥٧٠ هـ وبعرض فى آخرها بالثناء على الرسول ويذكر هزيمة الافرنج فى تلك السنة وهذا مطلعها :ـ

قلبى فـى حبـك معمـــــود وحظ عينى منـك تســـهيد
ما لديونـى فيـك ممطولـــة أقضى ولا تقضى المواعيـــد

ثم يقول فيها :ـ

ياعاذلى فى الحب والصـب لا يردعـه لوم وتفنيــــــــد

وهكذا يسير فى النظم متغزلا حتى يقول :ـ

ومن اعاجيب الهــــوى أنه يطلب قتلـى وهـو مـودود
وليلـــة بت ســـميرى بهـا وناظرى بالنجم معقـــــود
يدير لى من لحظـه اكؤسـا مـا نتجتهـــن العناقيـــد

ويمدحه بقوله :ـ

ولا ارى الايـام مذمومـــة ويوسف السلطان محمـــود
الملك العادل فى حكمــــــه فهو من الامـلاك معـــدود
وكيف نخشى جور ايامنــــا فى عصره والجور مفقـــود

ويرفعه الى أعلى عليين فى هذا القول : ـ

تكـــاد ان تعبـد افعالـــــه لو كان فى العالـــم معبـود
عدل وجود وكذا الملـك لا ينميه الا العـــــدل والجـود

---

(١) الديوان ص (١٩٠ ـ ١٩٦) رقم ١١٣

له من الله اذا ما ارتـــأى وقـال توفيق وتسـديـد [1]

وقال في مدح جلال الدين ابى المظفر هبة اللـــه بن محمد بن البخارى سنة ٥٧٨ هـ :ـ[2]

حرام على الاجفان ان ترد الغمضا وقد آنست من جو كاظمة رمضا
بدا كالصفيح الهندوانى لمعـــه وعاد كليلا لاتجس له نبضـــا
فذكرنى عهد الاحبة باللـــوى وشوط صبى افنيت ميدانه ركضا

ثم يستمر في تغزله بقوله :ـ

رضيت بقتلي في هواه وليتـــه وقد رضيت نفسى به قاتلا يرضى

ويقول أيضا :ـ

فارشـفني من ريقه بابليـــــة والثمنى من ثغره زهرا غضـــا

ثم ياتي الى وصفه بالجود والكرم والوفاء فيقول :ـ

اذا جئته تبغي المودة والقـــرى رأيت الوفي الحر والكرم المحضا
وقى عرضه من ان يذال بما له ولا خير في مال اذا لم يق العرضا
وقام لتدبير الوزارة موقفـــا زليلا لمن رام الوقوف به دحضا[3]

وهى تربو على الاربعين بيتا ولو يتسع المجال لسردتها باسرها لان ابياتها من الدرر الحسان • كما انه يمدحه بقصيدة اخرى وهو ينوب في الوزارة يومئذ سنة ٥٧٧ هـ مطلعها :ـ

لو انصفت ذات النصيـــــف عطفت على الجلد الضعيـف [4]

ونختم باب المدح بمدحه لحماد بن نصر وقيل ان المدوح منصور بن

---

(١) الديوان ص ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ الرقم ٧٤
(٢) لعله جلال الدين ابو المظفر عبيد الله وزير الناصر لدين الله المـار الذكر في بحث عصر ابن التعاويذى
(٣) كذلك ص ٢٥١ و ٢٥٢ رقم ١٦٩ •
(٤) الديوان ص ٢٨٨ الرقم ١٩٤

نصر بن العطار [1] الذي يقول فيه :ـ

اری الایام صیغتها تحـــول ... وما لهواك من قلبی نصـــول
وحب لاتغیره اللیــــــالی ... محال ان یغیره العـــذول
بنفسی من وهبت لها رقادی ... فلیلی بعـــد فرقتهـا طویل
وما بخلت علي بیوم وصـل ... ولکن الزمان بهـا بخیـــل [2]

ثم یندفع متغزلا متحرقا فیلوم الدهر تارة واخری یحن الی المکان والزمان الماضیین فیجود بخمسة وسبعین بیتا من هذه اللامیة • وقد مدح غیر هؤلاء من الامراء والوزراء ولکننا خوفا من الاطالة فی باب المدح نکتفی بهذا القدر مع الاشارة الی مطلع قصیدة عصماء من خمسة وخمسین بیتا یمدح بها الوزیر عون الدین ابا المظفر یحیی بن محمد بن هبیرة المشهور:ـ

سقاها الحیا من أربـــع وطلول ... حکت دنفی من بعدهم ونحولی [3]

الی آخر القصیدة • وفی مسك الختام فی المدح ناتی بشیء من قصیدة غراء عصماء یمدح بها الخلیفة المستضیء بالله وهی محجلة رائعة فیها من الغزل ما یسبی ویغری قال فیها (من مجزؤ الکامل) :ـ

(وهی فی الدیوان ص ٤٧١ـ٤٧٥ رقم ٣٠٣)

اهلا بطلعــة غــــادة ... فضح الدجـی بضیائهـــا
سمح الزمان [4] بوصلها ... فدنت علی عدوائهــــــا

---

(١) وهو الوزیر ظهیر الدین ابی بکر منصور بن القاسم نصر بن العطار : کان تاجرا فی ابتداء امره ثم مازج المتصرفین ونفق علی المستضیء فاستوزره وکان ثقیل الوطأة علی الرعیة وکانت العامة تبغضه فبقی الی ان مات المستضیء وولی الناصر لدین الله وهو آخر وزراء المستضیء • اما آخر حیاته ومصیره فقد فصلناهما فی بحث الناصر لدین اللـه الخلیفة العباسی فی بحوثنا السابقة • (الفخری لابن طباطبا المذکور آنفاص ٢٨٤)

(٢) الدیوان ص ٣٣٩ رقم ٢٢١

(٣) کذلك ص ٣٤٤ رقم ٢٢٢

(٤) فی الدیوان «الخیال»

باتت تعاطيني المـــــــدا م وكنت من اكفائهـــــا
فسكرت من الحاظهـــــا وغنيت من صهبائهـــــا
بيضاء قتلى دابهـــــــا فى نأيهـــا وثوائهـــــا
فاذا رنت[١] بجفونهـــا واذا نأت بجفائهـــــــا
لاتلتقـــي ابدا مـــوا عدهـا بيـوم وفائهـــا
الشمس من ضراتهـــا والبدر من رقبائهـــــا
والصبح فوق لثامهـــا والليل تحت ردائهـــــا
مضريـة تنمـــى اذا ا تسبت الى حمرائهـــا
باتت واطـراف الرمـــا ح تجول حول خبائهـــا
فالموت دون فراقهـــــا والمـــوت دون لقائهـــا
ولقد مررت بربعهـــــا بعـد النوى وفنائهـــــا
والعين في الاطـلال سـا لبة[٢] عـــلى اطلائهـــا
فوقفت انشد في مطـــا لعهـــا بدور ســـمائها
وبكيت حتى كـدت اعط ـــف باتني جرعائهــــا
يا موحش العين التـــي أنست بطول بكائهـــــا
غادرت بين جوانحـــي نفســـا تموت بدائهـــا
تشـتاق عيني ان تـــرا ك وانت من سودائهــــا
واذا[٣] بخلت بنظـــرة ســـمحت بجمة مائهـــا
فكأنهـــا كف الخليـــ ـــفة اسبلت بعطائهـــا[٤]

وهي طويلة في سبعة وخمسين بيتا لو لا خوف الاسهاب لجئنا على كلها •

وبهذا القدر نختم غرر المديح في شعر التعاويذى ولنسمعه يقول :ـ

(١) فى الديوان « دنت »
(٢) فى الديوان «ساكنة»
(٣) فى الديوان «فاذا»
(٤) الديوان ص ٤٧١ ـ ٤٧٣ رقم ٣٠٣

في الهجو

كان التعاويذي مجيدا في الهجو كما كان في المدح فهو ذو النفس الابية التي لاتقبل الضيم والعسف والازدراء ولم يقتصر بهجوه على الشخص الذي يهجوه وانما يهجو كل ما يلامس ذلك الشخص من أمور وما يلابسه من اوضاع فيها • فهو يغضب على الوزير شرف الدين ابي جعفر محمد بن ابي الفتح المعروف بابن البلدي (١) وزير المستنجد بالله الخليفة العباسي فيهجو الوزير ويهجو بغداد معه فيقول :ـ

ياقاصدا بغداد جز عن بلدة	للجور فيها زخرة وعباب
ان كنت طالب حاجة فارجع فقد	سدت على الراجي بها الابواب
ليست وما بعد الزمان كعهدها	ايام يعمر ربعها الطلاب
ويحلها السروات من ساداتها	والجلة الرؤساء والكتاب
والدهر في اولى حداثته ولا	يام فيها نضرة وشباب
والفضل في سوق الكرام يباع بالـ	ـغالي من الاثمان والآداب
بادت واهلوها معا فبيوتهم	ببقاء مولانا الوزير خراب
وارتهم الاجداث احياء تهـ	ـال جنادل من فوقها وتراب
فهم خلود في محابسهم يصـ	ـب عليهم بعد العذاب عذاب
لايرتجي منها ايابهم وهل	يرجى لسكان القبور اياب
والناس قد قامت قيامتهم ولا	انساب بينهم ولا اسباب

---

(١) جاء في كتاب الفخري لابن طباطبا ص٢٣٢ ما ياتي :ـ (كان قبل الوزارة ناظرا بواسط فابان في مدة ولايته عليها عن قوة وجلادة وارتفاعات نامية ومحمول دارة فعظمت منزلته عند المستنجد وكوتب عن الخليفة الى واسط بما يقضي ان يكون وزيره وتأكد الحال في ذلك فحكم الوزير وهو بواسط ووقع وكاتب ملوك الاطراف وهو بواسط ثم اصعد الى بغداد فخرج الموكب لتلقيه وفيه جميع اعيان الدولة ٠٠٠الخ كما سلف وفصلنا ذلك في عصر ابن التعاويذي) •

والمرء يسلمه وابوه وعرسه ويخونه القرباء والاصحاب
لاشافع تغنى شفاعته ولا جان له مما جناه متاب
شهدوا معادهم فعاد مصدقا من كان قبل ببعثه يرتاب
حشر وميزان وعرض جرائد وصحائف منشورة وحساب
وبها زبانية تبث على الورى وسلاسل ومقامع وعذاب
ما فاتهم من كل ما وعدوا به في الحشر الا راحم وهاب (١)

وقال يهجو شاعرا وهو ابن المعلم الواسطى الذى سبق ان افردنا له ترجمة ضافية فى كتابنا هذا :ــ

يا ابن المعلم ما لدائك فى الحماقة من معالج
يا حائكا ادمى انامل كفه كف الصهارج
ان لم تكن بزر اليهود فانت من نسل الخوارج
فأصخ لسفح فى هجائك قد ملأت به المدارج
يرميك شيطان القوا فى من لوافحك بمارج (٢)
يحلو هجاؤك لى وانت امرّ من حب الايارج (٣)

ثم يهجو ابن عروة فيقول :ــ

وجه حميد ان تأملته اقبح خلق الله ديباجه
وجه قليل الخير ما فيه للسراجى مكان لقضاء حاجه
مشوه فى وسطه منخر اوسع من تنور زجاجة
مستثقل الروح له راحة الى طبيخ الزيت محتاجه
ينسمر الدينار فيها كما ينسمر المسمار فى الساجه

(١) الديوان ص ٤٧ و ٤٨ رقم ٢٤
(٢) المارج ــ الشعلة ذات اللهب الشديد ٠
(٣) ــ الايارج ــ نبت حبة شديدة المرارة ٠ الديوان ص ٧٥ رقم ٥٢ ٠

تشـقى اذا حاولت يومـا بغــ ـــير الفأس والمبزغ اخراجه[1]
يـا رب لاتجعـــل لحـــر الى نذل لئيــم ابـدا حاجــه [2]

ويهجو ابن الحصين فى ابيات نختار منها هذه الابيات :ـ

الا يا ابن الحصين جمعت نفسـا مذممـــة الى خلــق قبيـــح

ثم يقــول :ـ

هجمت على حمى مال مصـــون بذمــة مســـتحل مســـتبيح
على مال تجمــع مـــن جـــواد ســـخي الراحتين ومن شحيح
وكـــم غادرت بالوزراء لمـــا نويـت الغـــدر من قلب قريح

ويقول ايضا :ـ

تعد الغـدر دأبا فى الوضى الجـ ـميل فكيف فى الجهـم القبيح
لقـد اصبحت اكذب من سجاح فليتك كنت ذا خلـق صحيـــح
اغـرت علي مغير بالقوافـــى وجوزت استماحة مســتميـــح
وبعـت دريس عرضك مستهينا بـه ونجوت بالثمـن الربيـــح
ولم تنظـر لنفســك فى صلاح ولا أرعيت سـمعك للنصيح [3]

وتراه يعود فيهجو الوزير ابا جعفر ابن البلدى الذى مر ذكره سابقـا لحكمه المشين فى تقلده الوزارة ايام المستنجد بالله فيقول فى مطلع كهذا :ـ

ما ســـمع الناس ولا ابصـــروا ألأم نفســا من ابـي جعفـــر
وزير ســـوء قيض الله لـــــ ـــلامة منـه شـــر مستوزر

ويقول فيه ايضا وهو من شديد الهجاء :ـ

محكـم لو انصـف الدهر فى ا لاحكـام لم ينـه ولم يأمـــر
يبدو لراجيـه عـلى وجهـــه غلظة ليث بالشـــرى مخـدر

(١) المبزغ آلة الحجام لشق اللحم والشرط
(٢) الديوان ص ٧٧ رقم ٥٥
(٣) كذلك ص ٩٦ و ٩٧ رقم ٦٤ .

لـو انهـــا بالارض ما اخصبت ... او بالسحلب الجون لم يمطـر
ناهـــيك من وجـه لـه عابس ... كأنــــه ســـقل عـلى بيــدر
ليس بـه مـاء حيــــاء فلـــو ... عصرتـه بالســهم لم يقطـــر

الى ان يقول :ــ

انظـــر متى شئت الى قبحـــه ... واغن عن المنظــــر بالمخبـــر
لو عرض الناظر عـن ذلـــك ... الوجه عمى العينـين لم يخسر
يفـوح نتن العرض منـه ولـو ... ضمختـــه بالمسك والعنبـــر
كانـــه شـــلو قتيـل اتـــت ... له ثلاث وهو لم يقـــــبر (١)

وقد هجا ابن الزريش هجاء مرا نتحاشى هنا عن ايراد المزرى الفاحش منه انه يقول فى ابيات اهونها هذه :ــ

يا ابـن الزريشـي مازريشـــ ... قل لى ومـن جـدك الزريشى
وانت مثـل اليهـود خبثـا ... خلقـت مـن ريبـة وفحش
احقـر من بقـــة واجفـــى ... خلائقـــا مـن حمار وحشـــى
مجتمع فيـك كـل شـــؤم ... وكـــل لـؤم وكل غشـــ
غـير لبيب ولا اريـــــب ... ولا مليـــح الكـــلام هشـــ

ويقول ايضا :ــ

يصـــبح للناس منـــه وجـــه ... كأنـــه وجـــه مردقشـــى
ما فيــــه خـير ولا حيـــــاء ... فـلا يغـــدى ولا يعشـــى
وجـــه يقـــول الذى يـراه ... ما احســـن الدود فيه يمشـــى (٢)

الى آخر ما هنالك من ابيات تدل على قوة الهجو يسلق بها السنة حدادا

(١) الديوان ص ٢١٨ رقم ١٢٩
(٢) الديوان ص ٢٤٦ رقم ١٦٢

لمن يتصدى له او يؤذيه ثم ونراه يهجو بخيلا قدم له شمعة فيقول فيه :ـ

وباخــل قــدم لى شــمعة وحالــه أحــرق من حالهــا
فما جرت مـن عينهـا دمعـة الا ومـن عينيـه امثالهـــا [١]

وقال يهجو جبته ايضا بعد ان خلقت :ـ

جبـة طال عمرها فغـدت تصـ ـلح ان يســمع الحديث عليها
كلمـا قلت فرج اللـه منهـا احوجت خســة الزمان اليها[٢]

ثم قال يشكو اهل زمانه ويهجوهم لمرارة عيشه فيقول :ـ

يارب كيف بلوتــنى بعصابة ما فيــهم فضــل ولا افضــال
متنافرى الأوصـاف يصدق فيهـ ـم الهاجي وتكذب فيهم الامال
غطى الثـراء على عيوبهـم وكم من سوءة غطى عليها المـــال
جبنــاء ما استنجدتهم لملمــة لؤماء ما اسـتجديتهم بخــال
فوجوههم عـود عـلى اموالهـم واكفهـــم من دونهـا اقفــال
هم في الرخاء اذا ظفـرت بنعمة آل وهم عنـد الشدائـد آل [٣]

وقبل ختامنا لبحث الهجو فى شعره نذكر شيئا من العتاب الذى لايخلو ديوان شاعر من الشعراء منه تقريبا لانه مدعاة للافصاح عن مكنون الخواطر فيقول فى معاتبة انسان داينه دينا فمطله •

الا قل لشمس الدولة ابن محمد ولاتحتشم وابلغه ما انا ذاكـــر
افي كــل يوم تلتقينــى بعلــة وعــذر اما ضاقت عليك المعــاذر

---

(١) الديوان ص ٤٨٩ رقم ٣٢٨
(٢) كذلك ص ٤٨٩ رقم ٣٢٩
(٣) كذلك ص ٣٥٦ رقم ٢٢٨ ولابد من ملاحظة الجناس فى كلمة (آل الثانية

ثم يقول :ـ

اما للمواعيــد المشومة منتهى ... لديك ولا للمطل عنـدك آخر ؟
وهبنى أخرت التقاضى لعلــة ... اما لك من تلقاء نفسك زاجر ؟

ويقول ايضا :ـ

وليس بعـار للكريـم مبيتــه ... على سغب والعرض ابيض طاهر
ولكن عـارا ان يقــال مخيب ... لسؤاله او ناكث العهـــد غادر

ثم يختم بهذا البيت البديع :ـ

واعلم ان العتب عندك ضائــع ... ولكنه للنفس مســل وعاذر (١)

ويعاتب اهل بغداد بهذين البيتين فيقول :ـ

يا اهل بغداد مالى بين اظهركم ... كانني مسـجد بالكرخ مهجور
مخلأ من عطاياكــم على ظمــأ ... تهدى الثياب لغيرى والدنانير (٢)

وقال فى بخيل اهداه حملا ضعيفا :ـ

وباخـــل جـــاد على بخلــه ... محتفـلا فى عمـــره مـــره
اهـدى الينـا حمـــلا يابســا ... مارويت من دمـــه الشـــفره
فخلتـــــه حــــين تأملتــه ... صبا مشــــوقا من بنى عذره (٣)

ومما قاله وفيه شيء من الهجو ابيات فى امرىء كرهه حين تولى ولاية لايستحقها نجتزيء منها هذه الابيات فقط •

خلوا ملامى فــى هجـاء امريء ... يصلح بعـــد الذبـح للخـــل

---

(١) الديوان ص ٢١٥ و ٢١٦ رقم ١٢٤
(٢) كذلك ص ٢١٧ رقم ١٢٧ •
(٣) كذلك ص ٢١٧ رقم ١٢٨

ويقول :ـ

قولوا لـه يا اجهـل الناس اذ | أفاض فـي جـد وفي هـزل
قد عبد العجـل فـلا غرو أن | يعولوا منك عـلى عجـل
ولاية تهت بهـا بعـد في الـ | قوة لـم تخـرج الى الفعـل
قلـدت منهـا يوم قلدتهـا | نيابـة غمـدا بـلا نصـل
فهي وما انت بـاهل لهـا | في غير اوطان ولا اهـل [١]

وفي هذا النوع من اللوم والهجو يقول في بنى اسامة الذين كانوا مـن اسياد تلك الحقبة من الزمن ٠

ابنى اسـامة كـم تـدوم | مواتاة الزمان لكـم وكـم تملي
لاكان دهـر عشـتم زمنـا | فيـه ولاة العقـد والحـل
لا تنكـروا يقظـات دهركم | كم يسـتمر بكم على الجهل
سـدتم بـلا حلم ولا كـرم | فيكـم ولا ادب ولا عقـل
وفضلتم اهـل الـزمان بعـدو | اكم ولستم من ذوى الفضـل
فعلمت حـين رأيت شـأنكم | يعلو بلا حسب ولا اصـل
ان الزمـان يعيـد فكرتـه | فيكـم فيسلك منهج العدل
فيخـر من كثب بنـاؤكـم | وكذاك ما يبنـى عـلى الرمل [٢]

ولما وقعت الحادثة التى نزلت ببصره تألم كثيرا فاخذ يعاتب من تأخر عن زيارته من محبيه فيعاتب ابن الدوامي بذلك فيقول في مطلع :ـ

الا من لمسـجون بغير جنـاية | يعـد من الموتى وما حان يومه
يروعـه عنـد الصباح انتبـاهه | وطوبى له لو طال وامتد نومه
جفاه بـلا ذنب اتاه صـديقه | واسلمه للهم والحزن قـومه

(١) الديوان ص ٣٥٥ و ٣٥٦ رقم ٢٢٧ ٠
(٢) كذلك ص ٣٥٦ و ٣٥٧ رقم ٢٢٩ ٠

ومنها يقول ايضا :ـ

فيا ابن الدوامى الذى جودكفه   عميم وفى بحـــر المكارم عومه
وليك ضامته الليالى وقـد يرى   حراما على الايام والدهر ضيمه
فزر عائدا من يوم لقــياك عيده   فقدطالمن تلكالوظيفةصومه(١)

ونختم بحث العتاب في شعره بما قال يعاتب فخر الدين محمد بن المختار العلوى نقيب مشهد الكوفة وكان وعده بوعد ولم ينجزه واتفق عقيب وعده اياه عزل الوزير •

ياسـمى النبى يا ابن عـلى   قاتل الشـرك والبتول الطهـور
أنت تسـمو على البرية طرا   بمحل عـال وبيت كـبير
عنكم يؤخـذ الوفاء ومنكـم   يجتدى الناس كل خـير وخير
كيف اخلفتنى ومـا الخلف للمـ   ـيعاد من عادة الموالى الصـدور

ثم يقول :ـ

انت وليتنيه منـك ابتـداء   غـير مسـتكره ولامجبـور
ولقـد كـان لائقابك ان تحمـ   ـل ضعفيه عند عـزل الوزير
وتغسـلت واكتحلت ثـلاثا   وطبخت الحبـوب فـى عاشور
وطويت الاحزان فيـه ولم أبـ   ـد سرورا في يوم عيد الغدير
فاخو الفضل من يساعد فى الشـ   ـدةلا فى الرخاء والميسـور
اى عذر ينوب عنـك ومـا   تارك وجـه الصواب بالمعـذور
ومتى ما استمر خلفـك بالوعد   ولـم تعتـذر عـن التأخـير
صرت مـن جملـة النواصب لا   آكل غير الجـري والجـرجير
وتبدلت مـن مبيتي فـى مشهد   موسـى بجامـع المنصـور
وتطهـرت مـن انـاء   يهودي وفضلتـه على الخنزيـر

(١) الديوان ص ٣٩٦ رقم ٢٥٣

ورآني اهـل التشيّع في الكـر	خ بتاسـومة[1] وذيل قصير
زائرا قبر مصعب بعـد ماكنـ	ت أوالى دفن[2] قبر[3] النذور
وتخيرت أن يكون الزبيدي[4]	رفيقى فى العرض يوم النشور
وترانى فى الحشر فاطمة الطهـ	ـر وكفـى فـى كفـه المبتـور
وتكون المسؤول عن مؤمن ألـ	قيته انت فى سـواء السعير[5]

ويحسن ان يكون بعد العتاب الشكوى وهى نتيجة المرارة والشدة اللتين يبتلى بهما كل حساس مفكر فطين فيشكو دهره تارة واخرى اهل زمانه ٠

---

(١) نوع من النعال الخفيفة ومنها المكعبة (راجع قاموس الملابس عنـد العرب لدوزى ص ١٠٤

Dictionnaire detaille des Noms des Vetements Ches les Arabes.

وكذلك راجع القاموس المكمل لدوزى ص ١٣٨ ـ ١٣٩ ج (١)

Dozy's Supplement Vol. I (P. 138 - 139)

(٢) صحيحها (دفين) مماشاة للمعنى والوزن ٠

(٣) صحيحها قبر النذور : (جاء فى ص ١٠٨ و ٣٢٠ من كتاب دليـل خارطة بغداد قديما وحديثا من مطبوعات المجمع العلمى العراقى من تأليف الدكتورين مصطفى جواد واحمد سوسة ما خلاصته : ان قبر النذور هو مجموعة قبور منها قبر عبيد الله العلوى وقبر ام رابعـة ورابعة العدوية العباسية وهو اليوم فى الاعظمية ٠ وقد سماه الخطيب البغدادى (قبر النذور) لكثرة ما كان الناس ينذرون له ٠ وذكره ياقوت الحموى فى معجم البلدان كما ذكره ايضا ابن الدبيثى صاحب تاريخ بغـداد) ٠

(٤) افادنا الدكتور مصطفى جواد صاحب التعاليق الكثيرة على ديوان ابن التعاويذى طبعة مرغليوث بان الصحيح الذى يقصده الشاعر (الزبيرى) ويعنى به مصعب بن الزبير ايضا ٠

(٥) الديوان ص ٢١٤ ، ٢١٥ رقم ١٢٣ ٠

في الشكوى

قال التعاويذي مسترفدا عضد الدين ابن رئيس الرؤساء شاكيا قلة معيشته وكان عضد الدين يخاطب يومئذ بمجد الدين :ـ

أيا مولاى مجد الدين يامن … اليه ومنه بثى واشتكائى
دعوتك مستجيرا من زمانى … بجود يديك فأصغ الى دعائى
اتنسانى وانت كفيل رزقى … وعندك ان مرضت شفاء دائى

ثم يخاطبه قائلا :ـ

فيا مولاى هل حدثت عنى … بانى من ملائكة السماء
وان وظائف التسبيح قوتى … وما احيا عليه من الدعاء
وانى قد غنيت عن الطعام … الذى هو من ضرورات البقاء
وهل فى الناس لو انصفت خلق … يعيش كما اعيش من الهواء
فلا فى جملة الاحرار ادعى … ولا بين العبيد ولا الاماء
ولا أقصى كما تقصى الاعادى … ولا ادنى دنو الاولياء
فلا يجرون ذكرى فى رسوم … الصلات ولا دساتير العطاء

الى ان يقول :ـ

الم يملأ بسيط الارض مدحى … واقطار السماء لكم دعائى
الم انظم لكم درر المعانى … الم انسج لكم حلل الثناء
وهل احد يقوم لكم مقامى … ويغنى فى مديحكم غنائى
متى تجنى يدى ثمر امتداح … سقيت غروسه ماء الولاء
ولولا خسة الايام كانت … تباع علوق شعرى بالغلاء
امالى فيكم الا عناء … مضاف للشقاء الى غناء
واثقال اهدا بهن ظهرى … لقد عرضت نفسى للبلاء
سعيت الى الغنى وجهدت نفسى … فلم احصل على غير العناء

فزالت راحة الفقــــراء عنى   ولــم اظفر بعيش الاغنيـاء[١]

وقال يشكو من نفر صاحبهم وكان يرسل اليهم فى كل عيد بطبق فيـه ذراعا جدى وفروج مع رغف من الخبز يحملها خادم هرم اسود رخـو الساقين مفلوج •

يارب اشكو اليك من نفـر   وفاهم لى بالغـــدر ممزوج
عـم اقاصى البلاد جـورهم   كأنهـم فى الفســاد يأجوج
هم داء قلبى وانت اقــدر ان   امسـي وصدرى الحران مثلوج
في كـل عيد لى منهـم طبــق   فيـه ذراعا جـدي وفـرّوج
مـع رغـف اشبهت وجوههم   السـود عليهـا يبس وتكريــج
يحملـه خـادم لهـم هــرم   اسود رخو الساقين مفلـوج[٢]

وكتب الى عضد الدين ابن الوزير ابن رئيس الرؤساء من الحلة حين ارسله يتولى اقطاعه بمعاملة العكبة يشعره بان اللصوص قد دخلوا داره فى بغداد ويستنهضه فى استعادتها وتطلب معاقبة الجانى فقال :ـ

ياعضـــد الدين انت معتمـدى   سمعت شيئا قد فت فى عضدى
سمعت ان اللصوص قد دخلوا   دارى فعاثوا فيما حوته يــدى
وفرغوا عيبتى فمـــا تركـــوا   شـيئا أواري بلبســـه جســدى
وقـــد تعجبت كيف يقصدنى   دهرى لســـوء وانت بالرصد
فأســـمع حديثى فأنه حــدث   لم يجر يوما قبلى على احــد

ثم يقول :ـ

وكـل شــيء كنت احســبه   اخذ ثيابى مادار فــى خلدى

ويقول اخيرا :ـ

فانهض الى نصرتى فأنت فتـــى   مابات جـــار له بمضطهـد[٣]

---

(١) الديوان ص ١٣ و ١٤ رقم ٥
(٢) كذلك ص ٧٥ رقم ٥١
(٣) كذلك ص ١٤٤ و ١٤٥ رقم ٩٣

وقال ايضا يشكو الى عماد الدين من رد البواب له من مجلس الوزير ولقب البواب الستري :ـ

ياعمـــاد الــدين يا مـــن هـــو فـي اللأواء ذخـــري
مـــاتـــرى ماذا عـلى عبـــ ـــدك فـــي دارك يجـــرى
هتـــك الستري فـــي بابـ ـــكم بـــالرد ســـترى
كلمـــا رمـــت دخـــولا دفـــع الكشخان صـــدرى
كيـــف لا تضعـــف نفســـى كيف لا ينفـــد صـــبرى

ثم يقول :ـ

لـــم يـــدر فـــي خلدى قـ ـــط ولا جـــال بـــفكرى
اننى امنـــع عن ابـــوابـــ ـــكم آخـــر عمـــري(١)

وبهذا القدر نكتفي في بحث الشكوى خوف الاطالة والملل فنورد شيئا مما قاله في الزهد والمواعظ :ـ

ياخاطب الدنيـــا واحداثهـــا منـــه ومن امثـــالـــه ســاخره
هيهات ان يدفع عنك الـــردى ما شـــــدت من ابنية فاخره
يلهـــو بهـــا بعدك مســـتمتع وفـــي الثـــرى اعظمك الناخره
يا حسن ما شـــيدت من منزل لو كان يغنى عنك فيالآخره(٢)

وقال وفيه شيء من النصح :ـ

خـــذ من شـــبابك وانتهـــز ايـــام صحتـــك الفـــرص
تشـــري المـآثم مغليـــا وتبيـــع دينـــك مـــرتخص
او ماتـــرى ظل الشـــبيبة عن عـــذارك قـــد قلص
اعرض عن الدنيـــا المشـــو بـــة بالنـــوائب والغصص
كـــم جرعت ابنـــاءهـــا من فتكهـــا بهـــم النغص
واعلـــم اذا مـــا زدت مـــا لا ان عمـــرك قـــد نقص

(١) الديوان ص ٢١٦ و ٢١٧ رقم ١٢٦
(٢) كذلك ص ٢١٣ رقم ١٢١

وغـدا تراه فـي يـد الـور اث مقتسـما حصص
وانظر لطـائر نفسك المحـ بوس فى هـذا القفص
حتى تـراه من المخـاو ف والمكـاره قـد خلص[1]

ومماقلله في الوعظ الابيات الفريدة ذات العبر والتأمل في مصير المرء في دنياه.

سـل عن الماضين ان نطقت عنهـم الاجـداث والبرك
اى دار للبـلا نزلـوا او سـبيل للردى سـلكوا
ملكوا الدنيا فمـا دفـع المـوت وما حـازوا ومـا ملكوا
فتكت منهـم نـوائبهـا برجـال طـالما فتكـوا
ضحـكوا حنيا فعـاد اسـى وبكـاء ذلـك الضحـك
وبـرتهـا للزمان يـد ما عليهـا فـى دم درك
يا اخـا الخمسـين باهـرها وهـو فى دنيـاه منهمـك
بـات مغـرورا تمـدّ لـه من حبالات الردى شـبك
لاهيـا والعمـر منتهـب بيـد الايـام منهتـك
قف قليلا قـد بلغت مـدى للمنـايـا فيـه معتـرك[2]

ولم يكن باع التعاويذى قصيرا فى الوصف فانه أجاد كل الاجادة فيه وها هو يصف روضة فيقول فيها :ـ

وروضـة غناء باكـرتها والشمس قـد جاوزت الحوتا
سـرى بريلها نسـيم الصبا يحمل نشـر المسك مفتوتا
وفتـح الزهـر بهـا ناظـرا اضحى عـلى الافاق مبهوتا
ورد ما اسـتودعها تربهـا من لؤلـؤ القطـر يواقيتا[3]

ثم نراه يصف الخمر وصفا مسكرا من يقرأه أو يسمعه فيقول :ـ

أدر كأس المـدام علي صرفـا ولا تفسـد كؤوسك بالمزاج

---

(١) الديوان ص ٢٤٨ رقم ١٦٧
(٢) كذلك ص ٣٢٠ و ٣٢١ رقم ٢١٢
(٣) كذلك ص ٧٠ رقم ٤٧

فقد حان الصبوح وحن قلبي | الى عذراء ترقص في الزجاج
ودونك فاقتبس بالرطل منها | سنا يغنيك عن ضوء السراج
فهذا الديك من طرب ينادي | ويخطر بين اكليل وتاج
ودعني والصلاة اذا تدانت | فليس على خراب من خراج [1]

ويصف مجلس دار فيقول :ـ

نزلت بساحة اهلك الأفراح | يادار ما عقب المساء صباح
وبقيتم ياعامري اوطانها | فهي الجسوم وانتم الارواح
دار اقام بها السرور فماله | عن اهلها عمر الزمان براح
جمعت لبانيها الفضائل كلها | فلها غدو نحوها ورواح
اضحت له فلك السرور بروجها | ندماؤها ونجومها الاقداح [2]

وقال يصف يوما دجنا ويستدعى صديقه ابا الحسين علي بن اسماعيل الجوهرى ليقضى معه ذلك النهار للانس والتسلية :ـ

لدينا يا ابن اسماعيل قدر | تفور وقهوة صرف تدور
وندمان كبستان نضير | بعيد ان يكون له نظير
ومحسنة الغناء اذا تغنت | حسبت الارض من طرب تسير
ونحن اذا على اوفى سرور | وان وافيتنا كمل السرور
فبادر بالسرور على اقتبال الـ | ـنهار فيومنا يوم مطير
وقد حجبت سراج الأفق فيه | بدجن دونها منه ستور
ووجه الجو اربد مكفهر | ووجه الارض مبتسم نضير
وبينهما مقارعة وحرب | لنا منها السلامة والحبور
اذا ما الرعد زمجر خلت أسدا | غضابا في السحاب لها زئير

(١) الديوان ص ٧٦ و ٧٧ رقم ٥٤
(٢) كذلك ص ٩٨ رقم ٦٧

فان سـلت صوارمها الغوادى | افاض عليها جوشنها الغـدير
واعطاف الغصون لها نشـاط | وانفاس النسـيم لهـا فتور
وازهار الرياض لهـا عيون | محدقـة الى الآفاق صـور
وخد الورد قـد اضحى نظيما | عليه لؤلؤ الطـل النثـير
فلا تفسد صبوح اخيك فيـه | فأنت بكل مكرمة جـديـر
وانى يـا اباحسن مشـير | عليك بمـا على نفسى أشـير
تمتع من شبابك واغتنمـه | فعمر نضـارة الدنيا قصـير
ولا تترك وراءك يـوم لهو | فلا تدرى الام غـدا تصير (١)

وقد حضر مع جماعة فى بستان جعفر الرقاص بالجانب الغربى فلما خرج كتب على حائط بركة فيه ثلاثة عشر بيتا اشهرها هذه :ـ

بسـتان جعفـر مثلـه | فى ظـرفـه وشـمائله
والبركـة الفيحاء تخـ | جل من نـداه ونائلـه
فيـه الانـابيب التى | تنهـل مثل اناملـه

ثم يقول :ـ

والمـاء كالحيّـات بـ | ـين مروره وجـداولـه

وكذلك يقول :ـ

والـروض قـد جاءتـك ا | نفـاس الصـبا برسائلـه
والغصـن كالنشـوان يعـ | ـثر فى فضـول غلائلـه(٢)

ومما قاله فى الوصف والحث على الشرب واغتنام فرص الصبابة والشباب :ـ

قـم فاغتنـم غفلـة الزمـان | مادمـت فيـه علـى امـان
مادام عـود الشـباب غضـا | ترغب فـى وصـلك الغوانـى

---

(١) الديوان ص ٢٣٠ و ٢٣١ رقم ١٤١
(٢) كذلك ص ٣٦٩ رقم ٢٤٢

تفتض عـذراء بنت كـــــرم انحلها المكث فـي الدنـان
تضحك في كأسـها سرورا اذا بكت اعين القنانـي
مارقصت في الكـؤوس الا نقطها المزج بالجمـان
حتى تراهـا منا عقـالا لليـد والرجل واللسـان(١)

وها هو ذا يصف الدهر ونوائبه وتقلباته من حال الى حال من (المنسرح) فيقول :ـ

اصبر لدهـر قـد ناب وارتقب كم في مطاوى الايـام من عجب
كم شـدة ايستك من فـرح يعقبها والرخـاء عن كثب
فالق بهزل جـد الامـور ولا تحفـل بكرّ الاحداث والنوب
فربمـا كانت السـلامـة مستفادة مـن فطنـة التعب(٢)

ومما قاله في الوعظ هذه الابيات الثلاثة وفيها من ذكرى الشباب مافيها :

يا واثقـا من عمـره بشـبيبة وثقت يـداك باضعف الاسباب
ضيّعت ما يجدى عليـك بقـاؤه وحفظت ما هـو مؤذن بذهاب
المـال يضـبط في يديك حسابه والعمـر تنفقه بغير حساب(٣)

وقال يصف حاليه في الشباب والمشيب من (الوافر) :ـ

اسـفت وقد نضت علـي الليالى جديـدا من شـباب مستعـار
فكان يقيـم عنـدى في زمـان الصبى لون الشـبيبة في عذارى
ولـم اكره بياض الشـيب الا لان العيب يظهـر بالنهـار(٤)

ومن خلال المدح ايضا يصف الخمرة متغزلا بها على سبيل الاتيان من الغزل والتشبيب في باب المدح كذلك مما سيرد ذكره في باب الحب والغزل

(١) الديوان ص ٤٤٣ رقم ٢٨١
(٢) كذلك ص ٤٧ رقم ٢٣
(٣) كذلك ص ٤٣ رقم ١٧
(٤) كذلك ص ٤٨١ رقم ٣١٢

فانظره وهو يقول ستة عشر بيتا من خمسة وثلاثين بيتا فى وصف الراح ومانفعله الخمرة فى الرؤوس فى مدح عماد الدين ابن رئيس الرؤساء فى سنة ٥٨٠ هـ . :ـ

حث كؤوس الـراح — واشرب على الاقاحي
وعاص فى النشوة — كل لائم ولاح
وناد فى ندمانها — حي على الفلاح
واجعلها قبل انجـ — ـلاء غرة الصباح
مشمولة تلعب — بالعقول والارواح
تكاد من مزاجها — ترقص فى الاقداح
يبيت رحل القوم — فيها عيق النواحي
تخال فى كاساتها — كواكب الصباح
وعاطني على وجو — ه الخرد الملاح
حتى تراني لين — العطف على جماحي
مواصلا فى شرب — بها الغداة بالرواح
قد يئس العاذل ان — يطمع فى الصلاح
من كف مشهوق القوا — م مخطف الوشاح
معربد المقلة نشوان — الجفون صاح
يمزج كأس الراح من — رضابه براح
ليس على عاشقه — فى الحب من جناح
أحبه حب عماد — الدين للسماح(١)

وبعد ختامنا للوصف الذى اجاد فيه شاعرنا نأتى الى مواقفه الجليلة فى الرثاء حيث رثى رجالا جدراء بالرثاء نظرا لما احدثوه من فراغ وخلفوه من اثار . .

---

(١) الديوان ص ٨٦ ، ٨٧ رقم ٦٠

الرثـــاء

من المستحسن المفضل ان نبدأ بالرثاء بمن رثى من اهله واقربائه لان في هذا نتجسم عواطفه وتسمو الى العلياء في الافصاح والتعبير عمن كان اقرب الناس اليه كأخيه وحفيده وجده وغيرهم ممن لايستوعب المجال الاتيان به واول من رثى حفيدا له اى ابن ابنه وقد مات صغيرا فقال :ـ

يا بأبـي المختلس المســـتلب	عن لـه سـهم حمـام غرب
وانتزعتـه للمنايـا يـــد	مغتالـة مـن حجـر أم وأب
أفديـه من ريحانة غضـة	عاد هشـيما عودهـا المحتطب
ياقوتـة أذهب جريـا لهـا	الموت فعـادت كقضيب الذهـب
كأنـه الورد اتى زائـــرا	ثم انقضت ايامـه عن كثـب
اشـرق كالنجـم مضيئا فمـا	ملأت عينـي منـه حتـى غرب

ثم يخاطبه بقوله :ـ

ابـا علـي فرقت شـملنـا	حوادث الدهـر وصرف النوب
ابـا علـي كنت ارجـوك أن	تكشـف عن قلب ابيك الكرب
ابـا علـي كنت لى مؤنسـا	فخالستنى فيك ايدى الريـب

وهكذا يستمر على مخاطبته حتى يصل الى هذا البيت :ـ

ابقيت من بعـدك لى حسـرة	تفنى الليالى دونهـا والحقب

ثم يخاطب الدنيا وطالبها فيقول :ـ

يا طالب الراحـة اخطاتهـا	مالك من دنيـاك الا التعـب
اي دم ما طـاح فى حبهـا	وايما حبـل لهـا ما انقضـب
ما للفتـى فيهـا نصيب اذا	فكر فى يوميـه غير النصـب
فهى توخانـا بارزائهـا	والموت من بعد لنا فـى الطلب[1]

---

(١) الديوان ص ٥٨ و ٥٩ رقم ٣٦

وقال يرثي اخاه : ـ

رمتني الليـــالى من مصابك يا اخي ... بقاصمة من ريبهن المـدوخ
اخي ضامني فيك الزمان وريبـــــه ... فما لك لا تحمي حمـــاك وتنتخي
اخي لا تدعني للخطـــــوب ذرية ... وكنت اذا استصرخت ياتيك مصرخي
اخي غير جفني بعدك الطاعم الكرى ... اخي غير عيشي بعدك الناعم الشرخ
ثويت ولا ذرعي بفقــدك واســـع ... رحيب ولا روعي عليــك بمفرخ

ثم يقول :ـ

فيـــا عين اما يفن جمتك البــــكا ... فسحي دما ان أعوزالدمع وانضخي
علي ذي يد كالغيث فى المـحل ثرة ... ووجـــه كضوء الصبح أبلج أبلخ
طوت ظلم الاجـداث منه خلائقـــا ... اذا نشرت فى النـــاس قالوا بخ بخ

ويختم الرثاء فى هذه الابيات :ـ

مضى طـــــاهر الاردان غير مدنس ... بعـــاب من الدنيــــا ولا متلطخ
تضـــوع ســـجاياه فتقسم أنـــه ... تضمخ مسكا وهو غير مضـــــمخ
فمـا اختلسته من يدى كف ضيغم ... ولا اختطفتـــه كف اقتم افســخ
ولكن هو الموت الذى حال بيننـــا ... برغمى فاضحى وهو منه ببرزخ(١)

وقال يرثي جده لامه الشيخ الزاهد العارف ابا محمد بن المبارك بـن التعاويذي وكان قد كفله صغيرا ونشأ في حجره وعرف به وغلب عليه نسبه وكانت وفاته في سنة ٥٥٣ هـ ودفن فى مقابر الشونيزية :ـ

لكل ما طــــال به الدهر أمــــد ... لا والدا يبقـــي الردى ولا ولـــد
يا راقـــدا تســـره احلامـــه ... رقدت والحمـــام عنك ما رقـــد

(١) الديوان ص ١٠٤ ، ١٠٥ رقم ٧٢

لا تكذبن ان الحياة عارة ... وايما عارية لا تسترد
والدهر ذو غوائل لا تتقي ... احداثه والموت بعد بالرصد
اين الملوك الصيد ما اغناهم ... ما جمعوه من عديد وعدد
اوردهم ساقي الحمام موردا ... سواء الجلة فيه والنقد
ويح الليالي كل يوم صاحبا ... تنزح عنا وحبيبا تبتعد

ثم يقول :ـ

والدهر لم تفطن لنا صروفه ... بعد واشراك المنايا لم تمد
يا حادي الاظعان في آثاركم ... مهجة مسلوب العزاء والجلد
فاجأه يوم الفراق بغتة ... لم يتأهب للنوى ولا استعد

ويقول ايضا :ـ

لا ألفت بعدكم العين الكرى ... ولا خلا بعدكم العيش النكد
يا بأبي النائي البعيد شخصه ... ولا نأى مزاره وما بعد
ضلت طريق الصبر بعد فقده ... لا وجد الصبر وانت المفتقد
مد اليك حادث الدهر يدا ... ليس عليها قود ولا أود
يا ساكن اللحد الذي افردني ... من لاعج الشوق بمثل ما انفرد
ان كنت في ثوب العلى فانني ... بعدك في ثوب نحول وكمد
يا موحش الارض علي فقده ... حتى كأن ليس على الارض أحد
أوحدتني وفي الرجال كثرة ... يا قلة الجار وقلة العدد
كنت اذا جار الزمان عضدي ... فاليوم لا جارحة ولا عضد
اسلمتني الى الخطوب وانبرت ... بعدك (روحي) في اديمي وبعد

وعلى هذا النسق من الرثاء يجود بعواطفه المحزنة الجياشة بحب من كفله ورباه الى ان يأتي الى قوله :ـ

ما لك لا ترق لي من زفرة ... تلفت اثناء الفؤاد والكبد

مـــا لك لا تـرأب احـــوالى ولا تصلح آراؤك منهــــا ما فســـد
ما لك لا تــــرحم ذل مـــــوقفي وكنت احنـــــا والد على ولـــد
غادرتني مضـــللا لا اهتــــــــدى نهـــج السبيل واجدا ما لا اجـــد
قعدت عن نصري وعهدى بـك لا ادعوك الا قمت مشبوح العضـــــد

ثم يظل يندبه حتى يأتى الى قوله :ـ

يا موردى العـــذب النمير مـــاؤه اوردتنى بعـــدك اوشال الثمـــد
تلك الدموع الحـــــائرات ما رقت عـلى البعـــــاد والغليل ما بـــرد
يا لك من رزيـــــة اسـرف ريب الدهر فى الرزء بها وما اقتصـــد
رزيـــــة لو يعرف الصـــخر الاسى ذاب بهـــا أو القطـار لجمـــد

ثم يجله ويعظمه بقوله :ـ

كيف خبا النجم فغـــار ضـــوؤه كيف هوت هضاب قدس وأحـــد
ما غاب فى الترب ولـــكن كوكب رقى الى جـــو السماء وصـــعد
بكت مصابيـــح الدجى لعـــائد تهب فى طلابــــه اذا ركـــد

ويختم الرثاء بهذا البيت الجميل داعيا له بجنات النعيم فيقول :ـ

أبرزت الحـــــور الى لقــــائه وأزلفت لديـــه جنـــات الخلد
سقى الغمام تربـــة جاورهــــا منه وقـــار كأهاضيب أحـــد[١]

ويرثى ابنة صغيرة له :ـ

اى نار ضـــــرمت فى كبـــدى ومصاب قـــل عنــــه جلـــدى
ويـــد ناضلنى الدهـــر بهـــا ضعفت من ردهـــا عنـــك يـدى
ان غـــدا محتكما فيك البـــلى فالضنا محتـــكم فى جســـدى

---

(١) الديوان ص ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ رقم ٨٣

ثم يقول :ـ

اى صـون وجمـال وتقـى ... وحيـاء جمعت فـى ملحـد
بابـي غائبـة عن ناظـرى ... في الثرى حاضـرة في خلـدى
لاطيلن مـدى الغم على ... صاحب العمر القصير الامـد[1]

ثم يأتى بعد هذا دور الاصدقاء ممن كانوا له مشـاركين فى السراء والضراء فكيف لايفى بحقهم وهم صفوة الزمان بالنسبة اليه فقال على لسان صديق له يرثى ولدا صغيرا له :ـ

فى كل يوم منـك يا دهـر ... فيمن أحـب رزيئـة نـكر
صـدعت فـؤادى منك نائبـة ... من دونهـا ما صدع الصـخر
وغدرت حتى صـار يهجـرنى ... من لم يكن خلقـا له الهـجر
وسـلبتنى من ليس لى جلـد ... فيـه يساعدنـى ولا صـبر

ثـم يقـول :ـ

واطـول حزنى بعـد مختلس ... ما طـال فى الدنيـا له عمـر
قد كنت اذخره لحـادثة ... فاليوم لا سـند ولا ذخـر
لئن انطـوت عنـا محـاسنه ... فلأدمعي فـى طيهـا نشـر

وهو يقول ايضا :ـ

بخـلت علي الحـادثات بـه ... وبمثلـه لا يسـمح الدهـر
وغـدت قفـار الترب آهـلة ... بجمـاله وديارنا قفـر

ثـم يقـول :ـ

يا مـوحش الدنيـا لغيبتـه ... أوحـدتنى واقاربى كثـر
لا عار فى جزعـى عليـك ولا ... فى الصبر منذ ثويت لى عـذر
ان تمس بالبيـداء منفـردا ... رهن البـلى فلك الحشا قبـر

---

(١) الديوان ص ١٣٨ رقم ٨٤

ويقول كذلك :ـ

ضاق الفضاء الرحب بعدك واسود النهار واظلم البدر
وعشت عن الميل الغصون ولا ضحك الربيع ولا بكى القطر
وسقتك انواء الغمام وان بخلت فان مدامعي غزر (١)

وقال يرثي الجهة الشريفة سلجوقي خاتون ابنة السلطان قليج ارسلان بن مسعود (٢) بقصيدة تربو ابياتها على الخمسة والاربعين :ـ

---

(١) الديوان ص ٢١٠ و ٢١١ رقم ١١٩

(٢) من حوادث سنة ٥٧٥هـ : ان حربا نشبت بين عسكر صلاح الدين الايوبي وعسكر قلج ارسلان وهو الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان صاحب بلاد قونية واقصرا واسبابها مشروحة في حوادث هذه السنة نضرب صفحا عنها لبعدها عن موضوعنا ٠

ومن حوادث سنة ٥٨٤ هـ وفاة سلجوقة خاتون بنت قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان زوجة الخليفة الناصر لدين الله وكانت قبله زوجة نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب الحصن فلما توفي عنها تزوجها الخليفة ووجد الخليفة وجدا عظيما ظهر للناس كلهم وبنى على قبرها تربة بالجانب الغربي والى جانب التربة رباطه المشهور بالرملة ٠

وفي ص ٢٠٨ من كتاب خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك لعبد الرحمن سنبط قنيتو الاربلي سنة ١٨٨٥م ورد ذكر سلجوقي خاتون بنت السلطان قلج ارسلان بن مسعود ملك الروم ٠

من حوادث سنة ٥٨٦ هـ : ان جيوش ملك الالمان (في الحروب الصليبية طبعا) سارت على ارض بلاد الاسلام وهي مملكة الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن قتلمش بن سلجوق بعد عبورها خليج القسطنطينية ٠٠٠ الى آخر الخبر ٠

وفي سنة ٥٨٨ هـ : في منتصف شعبان توفي الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن قتلمش بن سلجوق السلجوقي بمدينة قونية وكان له من البلاد قونية واعمالها واقصرا وسيواس وملطية وغير ذلك من البلاد وكانت مدة ملكه نحو تسع وعشرين سنة وكان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدل وافر وغزوات كثيرة الى بلاد الروم فلما كبر فرق بلاده على اولاده فاستضعفوه ولم يلتفتوا اليه وحجر عليه ولده قطب الدين وكان قلج قد استناب في مدينة ملكه رجلا يعرف باختيار الدين حسن فلما غلب قطب الدين على الامر قتل حسنا ثم اخذ والده وسار به الى قيسارية ليأخذها من اخيه الذي سلمها اليه ابوه فحصرها مدة فوجد والده قلج ارسلان فرصة =

قفوا تعجبوا من سوء حالى ومن ضرى — فمن زفرة ترقى ومن دمعة تجرى
وقد كنت قبل اليوم جلدا وانمــــا — احال الهوى ماكنت تعهد من صبرى
رمتنى يـــد الايام فيمن أحبــه — بسهم فراق جاء من حيث لا ادرى
لقد ملــكتنى فيكم اليوم حــيرة — وما زلت من قبل النوى مالكا امرى
سأبكى مدى عمرى اسى وصبابــة — بكم وقليل ان بكيت لــكم عمرى

ثم يقول فيها :

وكيف اداوى القلب عنــكم بسلوة — وفى مذهبى ان السلو اخو العــذر
جعلتـــكم ذخرى لايام شـــدتى — ولم ادر ان الدهــر يسلبنى ذخرى
وقالوا انقضاء الدهر للحـــزن غاية — وحزنى ممتد لديكم مـــع الدهر

وكذلك يقول :ـ

بنفسى غريب الاهل والدار لا يرى — له فاديا يفـــديه من رائـــع الامر
اذا ذكر الاوطان فاضت دموعـــه — فارسلها فوق الترائب والنحـــر

ويخاطب قبرها قائلا :ـ

فيا قبر ما بين الصـــراة ودجلـــة — الى نهر عيسى جادك الغيث من قبـــر
وصابت ثراك غـــدوة وعشـــية — غواد من الرضوان هاميـــة القطر
فلله ما استودعت يا قبـــر من لقى — ومن كرم عـــد ومن نائل غمـــر
ثوى بك من لو جاوز النجم قــدره — لزادت به الافلاك فخرا الى فخـــر

= فهرب ودخل قيسارية وحده فلما علم قطب الدين ذلك عاد الى قونية واقصرا فملكها ولم يزل قلج ارسلان يتحـــول من ولد الى ولد وكل منهم يتبرم به حتى مضى الى ولده غياث الدين كيخسرو صاحب مدينة برغلوا فلمـــا رآه فرح به وخدمه وجمع العساكر وسار هو معه الى قونية فملكهـــا وسار الى اقصرا ومعه والده قلج ارسلان فحصرها فمرض ابوه فعاد به الى قونيـــة فتوفى بها ودفن هناك •

الكامل لابن الاثير طبعة ليدن ج ١١ ص ١٣٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٧١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ج١٢ ص ٢ ، ٣٠، ٣١، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٢٥٣ ، ٣١٢ للمراجعة المفصلة •

الى ان يقول :ـ

فيـــا لك من قبر بردت مضاجعهـــا وقلبت ابناء القلوب على الجمـــر
نمر عليــــه خاشـــعين كأنـنـــا مررنا على الركن المقبـــل والحجر
لنا دعــــوة من حوله مستجابـــة فكل الليالى عنـــده ليلة القـــدر
عليك ســــلام الله كل عشـــية يكر على اعقابهـــا مطلع الفجـــر

ثم يستمر فى رثائها فيقول :ـ

رثينـــاك يا خير النساء تعهـــدا ومثلك لا يرثـــى بنظم ولا نثـــر
تحجبت من مرأى العيـــون جلالة وعزا فمن خدر نقلت الى خـــدر

ويقول اخيرا :ـ

وصبرا امـــير المؤمنين لرزئهـــا وان جل ذا الرزء العظيم عن الصبر [١]

وقال يرثى جلال الدين ابا المظفر هبة الله بن محمد البخارى [٢] بقصيدة تزيد ابياتها على الخمسة والسبعين :ـ

اتظننى ما عشـــــت انعـــم بالا هيهـــات ظل العيش بعـــدك زالا
غادرتنى غرض النـــوائب التقـــي منهـــا بصدرى اسهما ونصـــالا
وحـــدى على أن الرجـــال كثيرة حـــولى ومـــا كل الرجال رجالا

---

(١) الديوان ص ٢٢٢ و ٢٢٣ ، ٢٢٤ رقم ١٣٨

(٢) جاء فى كتاب الفخرى لابن طباطبا بعنوان (وزارة جلال الدين ابي المظفر عبيد الله) ص ٢٨٦ من طبعة مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩٢٣ مانصه بالحرف الواحد :ـ

« كان في ابتداء امره احد الشهود العدلين ثم تقلبت به الاحوال حتى بلغ الوزارة وارسله الناصر لدين الله صحبة عسكر كثيف الى محاربـــة السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل السلجوقى . فالتقيا فكانت الغلبة لعسكر السلطان وانهزم عسكر الخليفة وثبت الوزير فأسر ومكث مدة فى الاسر ثم اطلق فوصل الى بغداد متخفيا ولم تطل مدته بعد ذلك » . قلت ولعل عبيد الله تحريف هبة الله ولقبه البخارى . وسنأتى الى تغزل الشاعر التعاويذى به عند مدحه اياه حيث ناب فى الوزارة سنة ٥٧٦ هـ .

ثم يخاطبه قائلا :ـ

فلو اطلعت علــي يا ابن محمــد لعلمت أني منك أســوأ حــالا
مــا لى وللسراء بعــد معــاشر صدقوا هــوى فتقــاربوا آجــالا

ويقول مخاطبا اياه :ـ

قد كنت اطرد كل هــول باسمه حتى ركبت بموته الاهــوالا
اردى جــلال الدين خطب طال ما اردى الملــوك ودوخ الاقيــالا
خطب يزيل عن الفرائس أسدها ويزل عن هضباتهــا الاوعــالا

ويخاطبه معددا فضائله الى ان يأتى الى قوله :ـ

من للغريب نبــت به اوطــانه فاصاب اهــلا من نــداه وآلا
من لليتــامى والارامل ملجــأ تأوي اليــه وعصــمة ومــآلا
اودى ابو الفقــراء فليبــكوا أبا من جوده كانوا عليــه عيــالا
أأبا المظفر كنت لى من عســرتى مالا ومن جور الخطــوب مــآلا
ما زلت عونا فى الحــوادث لى اذا ضعفت يمــين ان تعين شــمالا

وكله من الرثاء الجميل الجيد الذى كنا نرغب فى ايراده وسرده هنـا لولا خوف الاطالة ثم يختم بهذه الابيات :ـ

لا يفخرن الشامتــون فانمــا الد نيا تحيــل صروفهــا الاحوالا
مكــارة غرارة غــدارة بعولهــا تستبدل الابــدالا
يا من يكلفهــا الوفــاء بذمــة كلفت دنياك الغــدور محــالا
لا تخــدعن بثــروة وشبيبــة وارقب لايام الســرور زوالا(١)

وممن رثاهم ايضا زوجة عماد الدين وهى ابنة عمــه تاج الدين ابى على بن المظفر(٢) بقصيدة تزيد ابياتها على الخمسة والثلاثين قال فى مطلعها:ـ

---

(١) الديوان ص ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٤ رقم ٢٢٤ من الكامل لابن الاثير طبعة ليدن ج ١١ ص ٢٩٢ حــوادث سنة ٥٧٢ هـ .

وفى سنة ٥٧٢ هـ توفى تاج الدين ابو على الحسن عبــد الله المظفر ابن رئيس الرؤساء اخو الوزير عضد الدين وزير الخليفة المستضىء بالله =

هي الايام صحتهـــا ســـقام | وغاية من يعيش بهـــا الحمـــام
اذا وصلت فليس لهـــا وفـــاء | وان عهـــدت فليس لهـــا ذمام
رضعناها وتفطمنـــا المنـــايا | بها ولـــكل مرتضـــع فطـــام

ثم يقول فيها :ـ

قفوا قبـــل الوداع تروا نحـــولا | جنـــاه علي محبـــكم الغـــرام
فلا تثقـــوا بان أبقـــى فان الـ | بقـــاء علي بعـــدكم حـــرام

ويصفها هذا الوصف البديع بقوله :ـ

وكنت النـــجم جـــدبه أفـــول | وشمس الارض واراها الظلام(١)

ولنختم الرثاء برثاء الحسين بن على (رض) فى قصيدة تحتوى على خمسة وسبعين بيتا وهذا مطلعها :ـ

أرقت للمـــع برق حاجـــري | تألق كاليمـــانى المشرفـــي

= العباسى ٠
وفى مصدر آخر هذا الخبر :ـ
تاج الدين ابو على الحسن بن عبدالله بن المظفر اخو عضدالدين الوزير الكريم المطلق والحليم الموفق والصاحب المصحب والمفدى للكرام المقيت ٠
ولى فى الوزير وفيه مدائح ـ وهذا قول العمـــاد صاحب الخريدة ـ أكثرت فى الكتاب نظمى وخرجت عما هو رسمى ٠
وتاج الدين [هذا] جواد بنى المظفر ورئيس بيت رئيس الرؤساء وشيمته اصفى من زلال الماء وقرائحه فى نظم ابيات غير ابيـــات ٠ واكثر ما رأيت ميله الى اللغز والمعمى والاحاجى ٠ وسأورد من ذلك ما اتذكره وانا على ما سلف منه فى حقى من العارفة (والعارفة : العطية والمعروف) اعرف له واشكره٠ (خريدة العصر وجريدة العصر لعماد الدين الاصبهانى الكاتب ص ١٧٧ من الجزء الاول للقسم العراقى تحقيق الاستاذ محمدبهجت الاثرى والدكتور جميل سعيد من مطبوعات المجمع العلمى العراقى مطبعة المجمـع سنة ١٩٥٥ م ٠
(١) الديوان ص ٣٩٤ و ٣٩٥ رقم ٢٥٢

ومنها يقول :ـ

وقفت على الديار فما اصاخت معالمها لمحترق بكيّ

ثم يقول :ـ

ولو اكرمت دمعك يا شؤوني بكيت على الامام الفاطمي
على المقتول ظمآنا فجودي على الظمآن بالجفن الوري
على نجم الهدى السارى ونجم العلوم وذروة الشرف العلي

وكذلك يقول :ـ

على اندى الانام يدا ووجها وارجحهم وقارا فى الندي
وخير العالمين ابا واما وأطهرهم ثرى عرق زكي

وهكذا يستمر قائلا :ـ

ويوم الطف قام ليوم بدر بأخذ الثأر من آل النبي
فثنوا بالامام اما كفاهم ضلالا ما جنوه على الوصي
رموه عن قلوب قاسيات باطراف الاسنة والقسي

وهى قصيدة عصماء عدد ابياتها خمسة وسبعون يصف الواقعة وصفا دقيقا يفتت الأكباد معددا مستعرضا معظم الحوادث التى جرت قبل تلك الواقعة وبعدها ثم يوشك ان يختم القصيدة بهذه الابيات :ـ

لطيبة والبقيع وكربلاء وسامرى وفيد والغريّ
وزوراء العراق وارض طوس سقاها الغيث من بلد قصي
فحيا الله من وارته تلك القباب البيض من خير نقي
وأسبل صوب رحمته دراكا عليها بالغدو وبالعشي(١)

---

(١) الديوان ٤٥٦ و ٤٥٧ ، ٤٥٨ و ٤٦٠ رقم ٢٩٣

ويحسن بنا ان نختم هـذه الدراسة فى ديوان التعاويذى بما قاله فى الحب والغزل وهما عصارة عـواطف الشاعر فى الذكريات والحنين الى من احب ومن هوى فى صبابته وشبابه وكهولته وقد جعلت هـذا الفصل فصل الختام لتبقى اطيب الذكريات فى فؤادالقـارىء عن هذا الشاعر الفحـل البارع فى صوغ القوافى كيفمـا يريد وانى شاء ومتى اراد فاقرأ منـه ما يقول :ـ

فى الحب والغزل

لو لان قلبـك فـى الهـوى لرثيت لى من لوعـة الحـب
لكن قسوت فمـا رثيـت لذى كمد ولا تحنـو عـلى صبّ
يا من أواصـله عـلى ملـل فيـه ويهجرنى بلا ذنـب
يذكي ضرام الشوق فى كبـدى ويـذودنى عن ريقـه العـذب
كن كيف شئت فمـا اميـل الى عـذل ولا اصـغى الى عتـب
هيهـات اطمـع فى السلو وقد اخـذ الهـوى بمجامع القلب(١)

ثم قال فى الصبر على الحبيب :ـ

ان شئت ان تلثم ثغـرا كالدرر اطيب من نشر الرياض فى السحر
وتجتلى غرة وجـه كالقمـر لو انصف العـاذل فيه لعـذر
فاصبر على طول البـكاء والسهر مثل اصطبارى واحتمـالى للابر
فقل من يظفـر الا من صـبر أما سمعت الصبر عقبـاه الظفر(٢)

وهذه ارجوزة جميلة يعدد فيها احواله فى الانس والشرب والهوى والغرام ذات واحد وثمانين بيتا نقتطف منها بعض الابيات :ـ

---

(١) الديوان ص ٥٢ رقم ٣١
(٢) الديوان ص ٢٢١ رقم ١٣٥

حييت يا دار الهوى من دار ولا عدتك السحب السواري
مثقلة كالابل العشار باكية بأدمع غزار

فيستمر بوصفها ومن فيها الى ان يأتي الى قوله فى وصف الخمر ومعاقرتها :ـ

اعقر فيها الهم بالعقار اشربها بجذوة من نار
ترمي من الحباب بالشرار حمراء او صفراء كالدينار
كأنها ذوب النظار الجاري رقت فما تدرك بالابصار
تخالها كأنها المدار رياض برق فى الظلام ساري
بات بها الاسمر من سماري مطرز الخدين بالعذار
يدير لحظا مرهف الغرار ذا كحل فى الطرف واحمرار
وهيف فى الخصر واختصار وقامة قامت بها اعذاري
ريقته كالعسل المشار وردفه اثقل من اوزاري
يقل من حماله اصطباري ودمية قصيرة الزنار

الى حيث يأتي الى حسنائه فيقول فيها متغزلا :ـ

مشبعة الخلخال والسوار كأنها بدر السماء الساري
جلت عن المحاق والسرار تشرق من مطالع الازرار
علقتها فى حانة الخمار خلعت فى الحب بها عذاري
ما لاخي الصبوة والوقار ولم ازل منهتك الاستار(١)

وهكذا يسير على هذا المنوال واصفا الخمر والمجالس الخمرية والانس فى تلك الدار وبستانها الجميل والحديقة الغناء والجدول المنساب العذب كل هذا فى قصيدة عدد ابياتها يزيد على الثمانين بيتا ولم نأت بها كلها خوف الاسهاب فليرجع اليها فى الديوان •

---

(١) الديوان ص ٢٢٥ و ٢٢٦ رقم ١٤٠

ولم يكن تغزله مقصورا على الحسان فقط وانما تغزل فى كبار رجال الدولة من قبيل الافصاح عن العواطف والتفانى فى المديح فيقول متغزلا فى مدح عماد الدين بن المظفر ابن رئيس الرؤساء :ـ

عـد نصحـا ملامـي العـذال — فمحال عنها السلو محـال
اين منى السـلو لا اين رعـى — العهد كلا كلاهما لا ينال
نم خليا وخلنـى فبقلبـى — فى الهوى لا بقلبك البلبال
لا تعدد دنوهـا قد تسـاوى الهـ — جر عندى فى حبها والوصال
كفلت أننى اذوب نحـولا — فى هواها الخصور والاكفال
وحبيب الاعراض حلو التجلى — فيـه تيـه معشـق ودلال

ثم يقول :ـ

عبدتنى له وما كنت عبـدا — صحة فى جفونه واعتـلال
جار جورّيـه ومال عـلى ضعفى — فـى الحب قـده الميـال
حار طرفى منـه أبدر سـماء — هو ام خـوط بانة ام غزال
زارنى موهنـا تنم وشـا — حاه عليه ويكتم الخلخـال
يتهادى تيهـا كما خطرت — غب قطار على غدير شمال
اعجلتنى اناتـه حين اسرى — واستخفت حلمى خطـاه الثقـال
بت اشكو اليـه غلة صـدرى — وبفيـه لو شـاء عـذب زلال
فحنا عاطفـا مقيـلا وكانت — عثرة الحب عنـده لا تقـال
وسقانى من كفـه وثنـايا — ه ومن طرفه وفيه الخيال
قهوة فى جفونه نشوة منهـا وفيهـا — من خـده جريال
يا بعيد المثال غادرنى الشـو — ق وفى فيك تضـرب الامثـال
قد اقر الملاح بالفضل طوعا — لك والحسن شاهد والجمـال
عهدة فى يديك منهـا بان صـر — ت امـيرا عليهـم اسـجال[1]

(۱) الديوان ص ٣٤٧ و ٣٤٨ رقم ٢٢٣

ثم يقول فى مكان آخر :ـ

قولا لمن ابدى بلا بسبب   حزنى وقطع بالجفا حبلى
اوردتنى ورد السقام فلم   خلأتنى عن بارد الوصل

ويختم بهذه الابيات قائلا :ـ

يا صاحبى فى كل نائبة   ومشاركى فى الكثر والقل
ناشدتك الود الصريح اذا   وسدت فى جدث من الرمل
ونويت بالبيداء منفردا   نأيا عن الخلطاء والاهل
فأذل على قبرى الدموع وقل   هذا صريع الاعين النجل(١)

وقال ايضا :ـ

يا من يهز قوامه   سكر الشباب فينثني
ارحم فديتك من له   جسد بحبك قد ضني
انظر الي بعين را   ض فى المحبة محسن
القلب رهن فى يديك   وقد ملكت فأحسن
ما لى شريتك غاليا   وزهدت فيّ فبعتنى
اطمعتنى حتى اذا   علق الفؤاد هجرتنى
ورغبت فى وصلى فحيـ   ن رغبت فيك مللتنى
يا من جعلت فداءه   ما هكذا عاهدتنى
كم لذت معتصما   بصبرى فى هواك فردنى
وطلبت من قلبى السـ   ـلو فقال ليس بممكن

ولم يقتصر بغزله فى الحسان فحسب بل فى بنت الكرم فيقول هذه الابيات :ـ

قم فاغتنم غفلة الزمان   ما دمت منه على امان

---

(١) الديوان ص ٣٦٣ رقم ٢٣٨

وله هذان البيتان الجميلان :ـ

فدا عيون على الزوراء راقدة طرف على بابل لا يعرف الوسنا
يكاد يقضي وما حانت منيته شوقا اذا ذكر الاحباب والوطنا(١)

وكتب بهذه القصيدة الى عماد الدين محمد بن حامد بن اخي العزيز وهو العماد الاصفهاني صاحب الخريدة يستهديه فروة وقد سبق الكلام عنها في اول كتابنا هذا • وفي مطلع هذه القصيدة والابيات التي تليها من الغزل ما يأخذ بمجامع القلوب قال :ـ

بأبي من ذبت في الحب له شوقا وصبوه
كلما زاد جفاء زاد من قلبي حظوه
شقوتي ما تنقضي في حبه والحب شقوه
بحت شجوا فيه والمحزون لا يكتم شجوه
لو اجاب الله في المعشوق للعاشق دعوه
لسألت الله ان ينصفني من حب علوه
ملكت قلبي وقد كان من الحب بنجوه
يا مليح الدل زد جورا على الحب وقسوه
لي بمن مات بداء العشق في حبك أسوه
لا اتاح الله لي وصلك ان اضمرت سلوه
وأما والثغر يصبيني لمى فيه وحوه(٢)
واجتماع سمح الوصل به منك وخلوه
تمزج القهوة لي من ريقك العذب بقهوه

---

(١) الديوان ص ٤٤٢ و٤٤٣ رقم ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١

(٢) الحوة او الحوه هي سواد الى الخضرة او حمرة الى السواد فهو احوى ومؤنثها حواء وجمعها حو (المنجد) •

ثم يأتي الى مدحه بقوله :ـ

قسما ان عماد الدين في الاجواد قدوه
جمع السودد اخلاقا ونفسا وأبوه
وسما من مجده البا ذخ في ارفع ذروه(١)

وهكذا يسير في هذا المدح بقصيدة عدد ابياتها احد وخمسون بيتا من هذا المنوال البديع • ثم يفتتح مدحه لعماد الدين ابن رئيس الرؤساء بأبيات من الغزل تشفي غليل كل متيم يشكو الضنا والفراق فيخصص احدا وعشرين بيتا من تسعة واربعين بيتا في هذا الغزل المستملح المحبوب نورد هذه الابيات الغزلية لبلاغتها وحسن نظمها قال :ـ

حتام مطلك يا ظلوم ما آن ان يقضي الغريم
ان كان وصلك ما يرا م فان وجدي ما يريم
من بات ذا قلب سليم من جوى فانا السليم
ما لي اذا رمت السلو تلوم القلب المليم
واذا كتمت السر با ح بسره دمع نموم
عيني وقلبي في الهوى عون عليّ فمن ألوم
يا من له قد يقوم بغدر عاشقه قويم
ان غبت عن عيني الغداة فانت في قلبي مقيم
وسألت عن حالي وانت بما بليت به عليم
يا عاذلا في ظهر نا جية كما ذعر الظليم
البان من نجد وجد فلي وجد بساكنه قديم
واسأل مغاني الحي بعدي هل تغيرت الرسوم
سقيا لايام الغميم ومن به طاب الغميم

(١) الديوان ص ٤٥٣ و٤٥٤ رقم ٢٩٢

وعلى النقـــا امـــا مرر ت بذى النقـا ظبى رخيم
قلبـــى له مرعـــى وللظبـــى الكناســـة والصـــريم
عجبـــا لـــه يشتاقـــه قلبى ومسكنـــه الصـــميم
لله رونقـــــه وقـــــد مالت الى الغرب النجـــوم
وقلادة الجـــوزاء عقـــد فـــى ترائبـــه نظيـــم
والروض يصـــقله النـــدى وهنـــا ويرقطـــــه النسـيم
وقد انتشى خـــوط الاراكـــة والحمـــام له نديـــم
والزهر يضحك فى خما ئله اذا بكت الغيـــوم

ثم يبدأ بالمدح فى هذا المطلع البديع حيث يقول :ـ

هو منزل الاحســـان لا نزلت بساحته الهموم(١)

وعلى هذا النسج يتغزل فى مدح القاضى الفاضـــل عبد الرحيم بن البيسانى ويسأله عرض قصيدته التى كان اول مدحه صـلاح الدين وذلك فى سنة ٥٧٠هـ قال متغزلا فى مطلعها وعدة ابيات منها :ـ

أمط اللثـــام عن العـــذار السائل ليقوم عذرى فيك عند عـــواذلى
واغمد لحاظك قد فللن تجـــلدى واكفف لهامك قد اصبن مقـــاتلى
لا تجمع الشوق المبرح والقـــلى والبين لى احـــد الثلثـــة قاتلى
يكفيك ما تذكيـــه بين جوانحـــى لهـــواك نار لواعجـــى وبلابلى
وهنـــاك أنى لا ادين صبابـــة لهوى ســـواك ولا ألين لعـــاذل
بت لاهيـــا جذلا بحسنك اننـــى مذ بنت فى شغل بحزنى شـــاغل
فاعطف على جلد كعهدك فى النوى واه وجسم مثل خصرك ناحـــل
ويلاه من هيف بقـــدك ضامنـــى تلفى ومن كفل بوجـــدى كافل
وبنفسى الغضبان لا يرضـــيه غير دمى وما فـــى صفكـــه من طـــائل

(١) الديوان ص ٣٨٦ و٣٨٧ رقم ٢٤٩

تصمى نبـال جفونه قلبـي ولا | شلت وان اصمت يمـين النـابل
ويهز قدا كالقناة لحاظـه | لمحبه منهـا مكان العـامل
عانقته ابكـي ويبسم ثغره | كالبرق أومض في غمام هـاطل
فألين في الشكوى لقاس قلبـه | وأجد في وصف الغرام الهـازل

حتى يقول :ـ

يا ليتـه وجفت خلائقه اقتـدى | بخلائق القاضي الاجل الفاضل(١)

وفي مدح مجد الدين ابى الفضل هبـة الله بن الصاحب فـي سنة ٥٧٧هـ من (الطويل) من الغزل ما يعـد من ابدع ما جاد به الغزليـون المتغزلون اذ يفتتح قصيده بهذا البيت والابيات التى تليه قال :ـ

ليهنك أنى في حبـالك عانـي | وانك منـي اعز مكـان
وأني ضعيف في هواك تجـلدي | على انني جلـد على الحـدثان
حمول لاعباء الملمـات كـاهلي | وما لي بمـا حملتنيـه يـدان
ملكت ابيا من قيـادي ولم يكن | ليصحب الا فـي يديك عنـاني
نأيت فحرمت الجفون عن الـكرى | واغريت دمـع العين بالهمـلان
واعهـد قبل البين قلبي يطيعنـي | ولكنـه يوم الوداع عصـاني
وما زال مطبوعا على الصبر قلبـا | سواء بعـاد عنـده وتدانـي
فما باله يوم النوى صار منجـدا | مع الركب في اسر الصبابة عانـي
فليت طبيبـا امرضتني جفونـه | وفي يده منهـا الشفاء شـفاني
وليت غريمي في الهوى وهو واحد | تحرج من ليـانه فقضانـي

ثم يتطرق بعد هذا التغزل العنيف الى باب المدح فيقول :ـ

ولولا الهـوى يا آل خنساء لم تكن | لتملكني فيـكم خضيب بنـان
ولا بت في ابيـاتكم سائلا قرى | بغير القنـا او طالبـا لامان(٢)

---

(١) الديوان ص ٣٣٣ و٣٣٤ رقم ٢١٩
(٢) كذلك ص ٤١٧ و٤١٨ رقم ٢٦٩

وفى مدح الوزير عون الدين ابى المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة يوردابياتا من الغزل تنم عن آلام من الجوى فى الحب والشوق فهو يفوق مجنون ليلى فى هذا الميدان ويسبق جميل بثينة فى تباريح الغرام • قال فى مطلع وابيات من قصيدة عدد ابياتها خمسة وخمسون نصفها غزل والنصف الآخر مدح :ـ

سقاها الحيا من اربع وطلول ... حكت دنفى من بعدهم ونحولى
ضمنت لها اجفان عين قريحة ... من الدمع مدرار الشؤون همول
لئن حال رسم الدار عما عهدته ... فعهد الهوى فى القلب غير محيل
خليلى قد هاج الغرام وساقنى ... سنا بارق بالاجرعين كليل
ووكل طرفي بالسهاد تنظري ... قضاء ملّي بالديون مطول
اذا قلت قد انحلت جسمى صبابة ... تقول وهل حب بغير نحول
وان قلت دمعى بالاسى فيك شاهد ... تقول شهود الدمع غير عدول
فلا تعذلانى ان بكيت صبابة ... على ناقض عهد الوفاء ملول
فأبرح ما يمنى به الصب فى الهوى ... ملال حبيب او ملام عذول
ودون الكثيب الفرد بيض عقائل ... لعبن باهواء لنا وعقول
غداة التقت الحاظنا وقلوبنا ... فلم تخل الا عن دم وقتيل
الا حبذا وادى الاراك وقد وشت ... برياك ريحا شمأل وقبول(١)

---

(١) اراك : بالفتح وآخره كاف وهو وادى الاراك قرب مكة يتصل بغيقة قال نصر اراك فرع من دون ثافل قرب مكة • وقال الاصمعى اراك جبل لهذيل ... وذو اراك فى الاشعار ... وقد قالت امرأة من غطفان :ـ

اذا حنت الشقراء هاجت لى الهوى ... وذكرنى اهل الاراك حنينها
شكوت اليها نأي قومى وبعدهم ... وتشكو الي ان اصيب جنينها

وقيل هو موضع من نميرة فى موضع من عرفة يقال لذلك الموضع نمرة وقد ذكر فى موضعه ... وقيل هو من مواقف عرفة بعضه من جهة الشام وبعضه من جهة اليمن ... والاراك فى الاصل شجر معروف وهو ايضا شجر مجتمع يستظل به (معجم البلدان لياقوت الحموى ج (١) ص ١٦٩ من طبعة مصر)

وفي ابرديه كلما اعتلت الصبا ... شفاء فؤاد بالغرام عليل

ثم يبدأ بمخاطبته في بيت واحد حيث يعود الى بث غرامه وشكواه مما تراه ههنا فيقول :ـ

دعوت سلوا فيك غير مساعد ... وحاولت صبرا عنك غير جميل
تعرفت اسباب الهوى وحملته ... على كاهل للنائبات حمول
فلم احظ من حب الغواني بطائل ... سوى رعي ليل بالغرام طويل
اما تسأم الايام ظلمي فتنقضي ... حقود تراءت بيننا وذحول
تلقيت منها كل بؤس ونعمة ... وصاحبت في الحالين غير قليل
فلم يرتبط حبلي بغير مصارم ... ولا اعتلقت كفي بغير بخيل
اضمن شكواى القوافي تعلة ... وقد صنتها عن صاحب وخليل
مقيما وجرد الخيل ترقب نهضتي ... فشوس المطايا يقتضين رحيلي
وليس احتمالي للاذى ان غاية ... يقصر وخدى دونها وذميلي[(١)]
الى كم تمنيني الليالي بماجد ... رزين وقار الحلم غير عجول
اهز اختيالا في ذراه معاطفي ... واسحب تيها في ذراه ذيولي
لقد طال عهدي بالنوال وانني ... لصب الى تقبيل كف منيل

حتى يأتي الى التغني باوصاف الممدوح حيث يبدأ بقوله :ـ

وان ندى يحيي الوزير لكافل ... بها لي وعون الدين خير كفيل
هو المرء لا ينفك صدر ومادة ... لفصل القضايا او امام رعيل[(٢)]

ولنأت هنا الى تذلله في الحب واستسلامه لسلطان الهوى حيث يقول

---

(١) المنجد آخر طبعة ص ٢٣٧ و٩٨٦ ، ذمل ذملا وذميلا وذمولا وذملانا البعير سار سيرا لينا .
وخديخد وخدا ووخيدا ووخدانا البعير اسرع وصار يرمى بقوائمه كالنعام فهو واخد ووخود ووخاد .
(٢) الديوان ص ٣٤٤ و٣٤٥ رقم ٢٢٢

فى هذه الابيات من (الكامل) :ـ

لو لان قلبك فى الهوى لرثيت لى من لوعة الحب
لكن قسوت فما رثيت لذى كمد ولا تحنو على صب
يا من اواصله على ملل فيه ويهجرنى بلا ذنب
يذكى ضرام الشوق فى كبدى ويذودنى عن ريقه العذب
كن كيف شئت فما اميل الى عذل ولا اصغى الى عتب
هيهات اطمع فى السلو وقد اخذ الهوى بمجامع القلب
او ان انال على البعاد رضى من كان يسخط بى على القرب

وله هذه الابيات الثلاثة التى تتقد نارا وشوقا الى الحبيب حيث يقول فيها :ـ

يا هاجرى ظلما وما لى غير وجدى فيه ذنب
وهواك اقسم اننى كلف الى لقياك صب
لا كان يوم لا ارى فيه محاسن من احب

ومن شعره المرتجل ما قاله عند دخوله دير الثعالب(١) يوم عيد

---

(١) دير الثعالب : دير مشهور بينه وبين بغداد ميلان او اقل فى كورة نهر عيسى على صرصر رأيته انا وبالقرب منه قرية تسمى الحارثية ... وذكر الخالدى انه الدير الذى يلاصق قبر معروف الكرخى بغربى بغداد وقال هو عند باب الحديد وباب بنبرى وهذان البابان لم يعرفا اليوم والمشهور والمتعارف اليوم ما ذكرناه . وبين قبر معروف ودير الثعالب اكثر من ميل والى جانب قبر معروف دير آخر لا اعرف اسمه وبهذا الدير سميت المقبرة مقبرة باب الدير ... وقال فيه ابن الدهقان وهو ابو جعفر محمد بن عمر من ولد ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس :ـ

دير الثعالب مألف الضلال ومحل كل غزالة وغزال
كم ليلة احييتها ومنادمى فيها ابح مقطع الاوصال
سمح يجود بروحه فاذا مضى وقضى سمحت له وجدت بما لى
ومنعم دين ابن مريم دينه غنج يشوب مجونه بدلال
فسقيته وشربت فضلة كاسه فرويت من عذب المذاق زلال

(معجم البلدان لياقوت الحموى ج ٤ ص ١٢٩ من طبعة مصر) =

النصارى فرأى بعض صبيانهم :ـ

وغـــزال علقتـــه يـــوم ديـــر الثعـــالب
من ظبـــاء الصريم[1] يخطر في زى راهـــب
كالقضيب الرطيـــب يو هيـــه حمـــل الذوائب
شدّ زنـــاره فحـــل عقـــود المـــذاهب
ما رمـــى طرفـــه بسهم هـــوى غير صـــائب
بت من حبـــه عـــلى مثل شوك العقـــارب[2]

وفى مدح مجد الدين بن الصاحب يتشبب هذا التشبيب بالممـــدوح حتي يحسب القارىء بانه في ســـكر غرامى مع الشاعر فى قصيدة عـــدد ابياتها ستة واربعون بيتا يستخدم منها ثمانية عشر بيتا غزليا منها فهـا هو ذا يقول:ـ

ابثك وجدى لو اضحت بمعمـــود وكيف يرجى عطف صماء صيخود
لقد سئم العـــواد فيك شكايتـــى وما سئمت فيك العواذل تفنيـــدى

= وللمزيد من المعلومات عن هذا الدير المشهور راجع كتاب الديارات للشابشتى تحقيق الاستاذ البحـاثة كوركيس عواد مدير مكتبـــة الآثار العراقيـــة ص ١٦ و١٧ وكذلك الذيل رقم (٥) ص ٢١٩ و٢٢٠ و٢٢١ مطبعة المعارف بغـــداد سنة ١٩٥١ حيث يطول البحث ولا يتسع المجال للسرد والاسهاب • وذكره كذلك ابن فضل الله العمرى فى كتابه مسالك الابصار فى ممالك الامصار ج (١) ص ٢٧٧ طبعـــة دار الكتب المصـــرية وتحقيق احمد زكى باشا سنة ١٩٢٤ ولم يزد على ما ذكره ياقوت فـــى معجمه فى مادة دير الثعالب •

(١) المنجد آخر طبعة ص ٤٣٧ (الصريم) المقطوع • الليل او القطعة منه : الصبح • عود يعرض فى فم الجدى لئلا يرضع • الارض المحصـــود زرعها • الكدس المصروم من الزرع • صريما الليـــل : اوله وآخره • امر صريم : معتزم •

(٢) الديوان ص ٥٢ ، ٥٣ رقم ٣١ و٣٢ و٣٣

فان يذو عودى فى هواك فربمـــا علقتك فينان الصبى مورق العـــود
ليـــالى لم يخلـــق رداء شبيبتى ولم تخلف البيض الحسان مواعيدى
واذ انا من وصل الذى غير مضـمر اياسا وعن باب الهوى غير مطرود
فيا قلب ان تجزع لماض من الصبى حميد وعاد من هوى الخرد الغيـد
فليست لياليك الاولى برواجـــع عليك ولا عصـــر الشباب بمردود
وهل نافع قولى جـــوى وصبابـــة ليالى الهوى ان عادعصر الصبى عودى

ثم يبدأ يصف ليله الداجى المظلم وآلامه فيه من نار الهوى وحرقـة الجوى كأنه مجنون ليلى فى الحب والغرام والانين والهيام فيقول :ــ

وارقنى فى الليل ترجيـــع وادع من الورق فى فرع من البان مكدود
ينوح ولم يضمر غرامى ضلوعـــه ولا عاده فيمن كلفت به عيـــدى
ولا حكمت فى شمل الفته النـوى ولا قضت الايام فيها بتهـــديد
اقول وليلى قـــد اظل صباحـــه واجفان عينى قـــد كحلن بتسهيد
امن غدر من اهواه يا ليـــل هجرة خلقت لنا ام من غدائره الســـود
وليل بطىء النجم قصرت طـــوله بواردة الفرعـــين ناعمـــة رود
لهوت بهـــا حتى تجلى ظلامـــه تجول يدى بين القلائد والجيـــد
بمرتشف كالاقحـــوانة بارد ومعتنق كالخيزرانـــة أملود
اذا ما اظلتنى عناقيـــد فرعهـــا سقتنى بكأس الثغر ماء العناقيـــد

حتى يأتى الى ذكر الممدوح وهو فى خمائل الغزل يتعطر ويفـــوح حيث يقول :ــ

وباتت تعاطينى عقـــارا كانهـــا خلائق مجدالدين ذى البأس والجود(١)

ومن غزله العنيف انه يتغزل فى مدحه حتى فى الخلفـــاء العباسيين الذين عاصرهم وهو غزل عنيف فى قصيدة يمدح بها امير المؤمنين المستضىء

(١) الديوان ص ١٠٥ و١٠٦ رقم ٧٣

بالله فى سنة ٥٧٣هـ وقد اقترح عليه عمل هذا الوزن (من الكامل) قال :ـ

وانحن معسول المراشف كالبدر مصقول السوالف
يتظلم الخصر الضعيف اليه من ثقل الروادف
وسدته كفى وبا ت موسدى خدا وسالف
فلثمته حلو اللما وضممته لدن المعاطف
وغنيت عن كأس المدا م بما ادار من المراشف
وشكرت برح صبابتى فيه فانكر وهو عارف
ولقد اسفت على الصبى لو رد ماضي العيش آسف
لله ليلات خلت منه وايام سوالف
حيث الحبيب مساعد لى والزمان به مساعف
قم يا نديم مليا داعى الصبوح ولا تخالف
بادر فقد جشر[١] الصبا ح وغنت الورق الهواتف
او ما ترى هيف الغصون تميس فى خضر الملاحف
والنور يبسم ثغره طربا ودمع المزن واكف
والارض حالية الربى والجو مسكي المطارف

ثم يتغزل بالخمرة ايضا ضمن هذا التغزل العنيف حيث يقول :

فاستجلها كرخية بنت الشمامس والاساقف
حمراء صرفا لا يطو ف برحلها للهم طائف
كدم الغزال اذا بكى راووقها خلناه راعف
واعص العذول وبت لورد الخد باللحظات قاطف
واذا عكفت فلا تكن الا على الصهباء عاكف

حتى يأتى الى ذكر الممدوح بقوله :ـ

(١) جشر الصباح : انطلق

وامـــدح اماـــا دأبـــه مـــذ كان اسداء العوارف
المستضيء ومـــن لـــه ظـــل على الاســـلام وارف[1]

وقال غزلا في مدح شمس الدين محمـــد بن ابي المضـاء وقد ورد رسولا الى بغداد من جهة صلاح الدين يوسـف بن ايوب في سنة ٥٧٠ هـ وكان بينهما مودة وهي من بديع الرجز :ـ

بالقصر من بغـــداذ لابطياس[2] اهيف مثـــل الغصن الميـــاس
كالشمس مطبـــوع على الشماس يخجـــله ما بي من الوســـواس
ليس لجرحي فـــي هـــواه آس عـــداه بلبـــالي وما اقاســـي
يسكرني بلحظـه والـــكاس ســـقاك من معـــالم ادراس
وربع لهـــو باللوى طمـــاس كل ملث الودق ذي ارتجـــاس
ولا عـــدا يا ظبيـــة الـــكناس عهـــد هوى لست لهـــا بناس

(١) الديوان ص ٢٨١ و٢٨٢ رقم ١٩٢

(٢) بطياس : بكسر الباء وسكون الطاء وياء ٠ واهل حلب كالمجمعين على ان بطياس قرية من باب حلب بين النيرب وبابلى كان بهـــا قصر لعلى ابن عبد الملك بن صالح امير حلب وقد خربت القرية والقصـــر ٠٠ وقال الخالديان في كتاب الديرة الصالحية قرية قرب الرقة وعندها بطياس ودير زكي وقد ذكرته الشعراء ٠٠٠ قال ابو بكر الصنوبري :ـ

اني طربت الى زيتون بطيـــاس بالصالحيـــة ذات الورد والآس
من ينسى عهدهما يوما فلست له وان تطـــاولت الايام بالنـــاسي
يا موطنا كان من خير المواطن لي لمـــا خلوت به ما بين جلاسي
وقائل لي أفـــق يومـــا فقلت له منسكرة الحب او من سكرة الكاس
لا اشرب الكاس الا من يدي رشا مهفهف كقضيب البان ميـــاس
مورد الخـــد في قمص مـــوردة له من الآس اكليـــل على الراس
قل للذي لام فيه هل ترى خلفـا يا املح الروض بل يا املح الناس

وقال البحتري وهو يدل على انها بحلب :ـ

يا برق أسفر عن قويق فطرتـــي حلب فاعلى القصر من بطيـــاس
عن منبت الورد المعصفر صبغـه في كل ضاحيـــة ومجنى الآس
ارض اذا استوحشت ثم اتيتهـــا حشدت علي فاكثرت ايناسي =

ايام عـــود الدهر غـــير عاس[(١)] ما وخطت يد المشـــــيب راســـي

ثم يأتي الى وصف الحميا التى تغزل فيها عدة مرات باعتبارها خمرة لغزله العنيف فيقول :ـ

والدهر لم ينكث قـــوى امراسي وقهـــوة من خمـــر بنت راس
حمراء تجلـــو ظلم الاغبـــاس ربيبـــة القسيس والشماس
عانســـة تجـــلى على الشماس تروى احـــاديث ابى نـــواس
تدار فـــى باطيـــة وطـــاس مع رفقـــة اكـــارم اكيـــاس
في روضـــة مسكية الانفـــاس كانهـــا وجـــل عـــن قيـــاس

= وقال ايضا :ـ

نظرت وضمت جانبي التفـــاتة وما التفت المشـــتاق الا لينظرا
الى ارجواني من البرق كلمـــا تنمر علوي الســـحاب تعصفرا
يضيء غماما فوق بطياس واضحـا يبض وروضا تحت بطياس اخضرا

(معجم البلدان لياقوت الحموى ج (٢) ص ٢٢١ من طبعة مصر)

وجاء في مثل هذا القول مختصرا ابن عبـد الحق صاحب مراصـــد الاطلاع في معرفة الامكنة والبقاع (ص ٧٦) من الطبعة الحجرية في ايران سنة ١٣١٥ هـ . وذكر بطياس ابن فضـــــل الله العمرى صاحب مسالك الابصار في ممالك الامصار طبعة دار الكتب سنة ١٩٢٤ تحقيق احمد زكي باشا في البحث في اخبار (دير زكي) ج (١) ص ٢٦٦ نقلا ممـــا قاله الصنوبري وهو جزء من الابيات التي ذكرها ياقوت فيما ذكرناه في هـذه الحاشية الا هذا البيت الذى لم يذكر في الابيات التي اوردها ياقوت وهو :ـ

وصف الرياض كفاني ان اقيم على وصف الطلول فهل في ذلك من آسي

الا ان الصنوبري يذكرها في ابيات اخر وهي هذه :ـ

الصالحيـــة موطنـــي ابدا وبطيـــاس قـــراري
من فوق غـدران تفيض وبين انهـــار جـــواري
ومدامـــة بزلت فاشـــبه فتلهـــا فتل الســـوار
يا لائمي ما العـــار عـــا رك فامض عني العـــار عـــاري
لهفـــي على ملويـــة الاصـــداغ مسبلـــة الازار
قد فضضت باليـــاسمين وذهبـــت بالجلنـــار

(١) العاسي الجافي (القاسي) : المنجد ص ٥٢٨ من الطبعة الاخيرة .

حتى يأتي الى باب المدح فيقول مادحا بهذا البيت :ـ

اخلاق شمس الدين رب البـــاس ابن ابى المضاء خير النــاس(١)

وفى الصبر على الحبيب يقول هذه الابيات الاربعة :ـ

ان شئت ان تلثم ثغرا كـــــالدرر اطيب من نشر الرياض فى السحر
وتجتلي غرة وجـــه كالقمـــــر لو انصف العـــاذل فيه لعـــذر
فاصبر على طول البـــكاء والسهر مثل اصطبارى واحتمــــالى للابر
فقـــل من يظفر الا من صبـــر اما سمعت الصبر عقبـاه الظفر(٢)

ونقل شارح الديوان المستشرق مرغليوث ابياتا نسبت الى سبط ابن التعاويذى لم ترد فيما عند مرغليوث من نسخ ديوانه فنقلها واوردهـا عن كتابين آخرين هما المجلد الثانى من كتاب (الغيث المسجم) طبعة مصـــر سنة ١٣٠٥هـ • وهى اربعة ابيات كل بيتين منهـــا يدلان عن غرض غير الآخر • اما الكتاب الثانى فهو (سحر العيون) طبعة مصر سنة ١٢٧٦هـ • وهى اربعة ابيات كل بيتين منها يدلان عن غرض غير الآخر كذلك • نورد منها البيتين الآتيين لاتفاقهما وموضوعنا هذا قال :ـ

عينـــــاك قد دلتـــا عينى على اشياء لولاهمـــا ما كنت ارويهـــا
والعين تعلم من عيني محدثهـــــا ان كان من حزبها اومن اعاديها(٣)

وقال فى مدح جلال الدين ابى المظفر هبة الله بن محمد بن البخارى سنة ٥٧٦ هـ وهو يومئذ ينوب فى الوزارة هذه الابيات من الغزل الصريح الجميل وذلك فى قصيدة عدد ابياتها ثمانية واربعون بيتا قال :ـ

---

(١) الديوان ص ٤٨٥ رقم ٣٢٠
(٢) كذلك ص ٢٢١ رقم ١٣٥
(٣) كذلك ص ٤٩٠ وهى آخر صفحة منه دون ذكر رقم

آنسن في الفودين[١] وخط بياض | فرمينني بالصـــد والاعراض
وبخلن ان يسرى التي مسلمـــا | طيف الـــكرى فذهبن بالاغماض
اضمينني بلواحـــظ يوم النـــوى | صحت واجفـــان لهـــن مراض
من لى باسمر لا يبــل طعينــــه | فى جفنـــــه للفتك ابيض ماضي
اسخطت فيه العـــاذلات وليتـــه | تمنى باسخاط العـــواذل راضي
ابرى وانكس فى هـواه فكيف لى | بشفاء قلب فى الهـــوى ممراض
ان يمس طيع قيـــادة فلربمـــا | اعيت رياضـــته عـــلى الرواض
لله ايـــام بجيرتنـــــا الاولى | سلفت وليـــلات بهن مواضـــي
ايام لا ســـيف الملامـــة منتض | دونـــى ولا انا للشبيبة ناضي[٢]
ما سرنى بعد الشباب مودعـــا | خلف ولا عوض من الاعـــواض
ان فللت غربى الخطـــوب وبدلت | غـــدرا سواد غدائرى ببيـــاض
فلطالما خاطرت فى حب الدمـــى | وخطرت فى ثوب الصبا الفضفاض
ما للحسان قطعن بعد تواصـــل | حبلي وفيم سخطن بعـــد تراضي
سيان عنـــدى ما لبست قناعتى | ثوب الثراء وحلـــة الانفـــاض

حتى تراه يأتى الى ممدوحه جلال الدين المذكور فيقول هذه الابيات التى يشم منها التغزل ايضا :ـ

واذا جـــلال الدين راض نداه لى | حظى فانى عن زمانـــــى راضي
ما ضرنـــــى وبه تم مآربـــى | ما تكســـر الايام من اعراضـــي
بجميـــــل رأى ابى المظفر عادلى | مستقبلا زمن الشباب المـــاضي[٣]

---

(١) الفود : جانب الراس ممـــا يلى الاذنين الى الامام • الشعر الذى عليه • يقال بدا الشيب بفوديه • وخطه الشيب خالط سواد شعره ووخط خالط الشيب سواد شعره (راجع المنجد)

(٢) نضا ونضى الثوب عنه نزعه وخلعه •

(٣) الديوان ص ٢٤٨ و٢٤٩ رقم ١٦٨ •

ثم يمدحه بقصيدة اخرى سنة ٥٧٨ هـ . قوامها واحد واربعون بيتا منها خمسة عشر بيتا بادئا من مطلعها من الغزل العنيف ما يعجب القارىء ويلذ له فيقول :ــ

حرام على الاجفان ان ترد الغمضا وقد آنست من جو كاظمة ومضا
بدا كالصفيح الهندوانى لمعه وعاد كليلا لا تجس له نبضا
فذكرنى عهد الاحبة باللوى وشوط صبى افنيت ميدانه ركضا
قضى الكلف المحزون فى الحب حسرة ويأسا ودين المالكية ما يقضى
وقالوا اقتنع بالطيف يغشاك فى الكرى وكيف يزور الطيف من لم يذق غمضا
جوى صعدته زفرة البين فاعتلى ودمع مرته لوعة الحزن فارفضا
وفى الركب مجبول على الغدر قلبه أسر له حبا فيعلن لى بغضا
من الهيف اعدانى النحول بخصره وامرضنى تفتير اجفانه المرضى
تقلد يوم البين هندى صارم والحاظه مما تقلده امضى

ثم نراه يرضى بالقتل فى سبيل هواه وهى تضحية ما بعدها من تضحية فيقول :ــ

رضيت بقتلى فى هواه وليته وقد رضيت نفسى به قاتلا يرضى
عجبت له من زائر يركب الدجى الى وما كد المطى ولا انضى(١)
فارشفنى من ريقه بابلية والثمنى من ثغرة زهرا غضا
ونادمت منه دمية ورقيبة على حنق يدمي انامله عضا
سرى من اقاصى الشام يقطع طيفه الى مضجعى طول السماوة(٢) والعرضا

ثم يأتى الى ذكره ومدحه فيقول هذه الابيات وفيها تثبيت لقيامه بتدبير الوزارة مما يثبت ما قلناه فى ترجمته عن الفخرى لابن طباطبا

---

(١) انضى بمعنى اهزل اتعب .
(٢) السماوة رواق البيت .

واثبتناه في الحاشية من كونه تقلد الوزارة فصار من وزراء الخليفة الناصر لدين الله العباسي وكونه هو المقصود في عنوان (وزارة جلال الدين ابي المظفر عبيد الله ـ ولعله تحريف هبة لله ـ) من الكتاب المذكور آنفا :ـ

كما بات يسرى نائل ابن محمد ... الى طالبي معروفه يقطع الارضا
كريم المحيا لا يغص على القذى ... جفونا ولكن ان رأى هفوة اغضى
اذا جئته تبغي المودة والقرى ... رأيت الوفى الحر والكرم المحضا
وقى عرضه من ان يذال بماله ... ولا خير في مال اذا لم يق العرضا
وقام لتدبير الوزارة موقفا ... زليلا لمن رام الوقوف به دحضا[1]

وفي هذه الابيات الثلاثة من (الرمل) ما يفصح عن شدة عشقه وغرامه في محبوبه وهو تصوير يعجز عن الاتيان به معظم الشعراء فيقول:ـ

أتنكر قتلى بالحاظها ... وهذا دمي في جلابيبها
فلله ما ارتكبت من دمي ... وباءت[2] على ضعف تركيبها
فرفقا بذي صبوة في هواك ... ضعيف العزيمة مغلوبها[3]

وهذا لون جديد في الغزل من الوزن الخفيف يصف فيه حالات من هو متيم به فيناديه بهذا المطلع البديع ثم يبدأ بوصف شمائله وقوامه فيقول هذه الابيات الرائعة :ـ

يا قضيبا اذا انثنى ... وهلالا اذا أضا
لك طرف تعلم السيف من لحظه المضا
كل يوم يسل ظلما علينا وينتضي
يا مقيما على الصدو ... د اما تعرف الرضا

---

(١) الديوان ص ٢٥١ و٢٥٢ رقم ١٦٩ ٠
(٢) باء هنا بمعنى اقر ٠
(٣) الديوان ص ٤٧٧ رقم ٣٠٦ ٠

هل اری فی هـــواك يو ما من الوصـل ابيضـــا
بابي من يمسي ويصبـــح غضـــبان معرضـــا
عثرتـــي فيـــه ما تقـــا ل ودينـــي ما يقتضـــى
يـــا خليلـــي اذا مـــرر ت على بانـــة الغضـــا[1]
فابك عني حتى يعـــو د ثـــراه مروضـــا
واقترض لي دمعا فمـــا زلت للدمـــع مقرضـــا
وقل المدنف المقيم بتيماء[2] قد قضـــى

---

(١) الغضا : مقصور مفتوح وهو من شجر البادية يشبه الأثل الا انه لا يعظم عظمة الأثل وهو من اجوده وقودا وابقاه نارا · والغضا ارض فـــى ديار بني كلاب كان بها وقعة لهم · والغضا واد بنجد ·· وقال اعرابى :ـ

يقر بعيني ان ارى رملة الغضـــا اذا ظهرت يوما لعيني قلالهـــا
ولست وان حببت من يسكن الغضا باول راج حاجـــة لا ينالهـــا

وقال مالك بن الريب :ـ

الا ليت شعري هل ابيتن ليلـــة بجنب الغضا ازجي القلاص النواجيا
فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه وليت الغضا ماشى الركاب لياليـــا
وليت الغضا يوم ارتحلنا تقاصرت بطول الغضا حتى ارى من ورائيا
لقد كان في اهل الغضا لو دنا الغضا مزار ولكن الغضا ليس دانيـــا

(راجع معجم البلدان لياقوت الحموى ج ٦ ص ٢٩٥ مادة (الغضـــا) من طبعة مصر سنة ١٩٠٦ م) ·

(٢) تيماء : بالفتح والمد · بليد فـــى اطراف الشام بين الشام ووادى القرى على طريق حاج الشام ودمشق والابلق الفرد حصن السموأل بن عادياء اليهودى مشرف عليها فلذلك كان يقال لها تيمـــاء اليهودى ·· وقال ابن الازهرى المتيم المضلل ومنه قيل للفلاة تيماء لانهـــا يضل فيها ·· قال ابن الاعرابى ارض واسعه ·· وقال الاصمعى التيماء الارض التى لا ماء فيها ولا نحو ذلك ··· ولما بلغ اهل تيماء فى سنة تسع وطؤ النبى صلى الله عليـــه وسلم وادى القرى ارسلوا اليه وصالحوه على الجزية واقاموا ببلادهم وارضهم

خلفـــوه معلـــلا بالامانـــي ممرضـــا

آه من بـــارق على أيمـــن الغـــور اومضـــا

مذكر لي ومـــا نســيت ليـــالي بالأضـــا[1]

ثم يحن الى هذه الالحان والذكريات فيتمناها لو عادت اليـــه ولكن هيهات العود فايام المسرة والانس لا تعود ما لم تتجدد والتجدد فى العمـــر امر مستحيل لان ما فات هيهـــات ان يعود على المرء فيقول يائسا :ـ

يا زمانـــا ألذ مـــا كان عيشي به انقضـــى

غفـــل الدهر برهـــة فيـــه عنـــا واعرضـــا

ما قضينـــا لبـــانة النفس منـــه حتى قضـــى

بايديهم فلما اجلى عمر رضى الله عنه اليهود عن جزيرة العرب اجلاهم معهم ٠٠ قال الاعشى :ـ

ولا عاديا لم يمنـــع الموت مالـــه ... وورد بتيمـــــاء اليهودى أبلق

٠٠٠ وقال بعض الاعراب :ـ

الى الله اشكو لا الى النـــاس انني ... بتيمـــــاء اليهود غريب

،اني بتهبـــاب الرياح موكـــل ... طروب اذا هبت علـــي جنـــوب

وان هب علوي الرياح وجدتنـــي ... كأني لعلـــوي الرياح نســـيب

٠٠٠ وينسب اليها حسن بن اسماعيل التيماوى وهو مجهول ٠

(راجع ياقوت فى معجم البلدان ج ٢ ص ٤٤٢ من طبعة مصـــر سنة ١٩٠٦ مادة (تيماء) ٠

قلت ولم يرده الشاعر بعينه وانما ذكره تقليدا ٠

(١) الأضا : قال ياقوت فى معجم البلدان ج ١ ص ٢٧٩ طبعة مصـــر سنة ١٩٠٦ (الأضاة) بالفتح والمد : واد ٠

قلت ولم يرده الشاعر بعينه وانما ذكره تقليدا لكننا شرحنا هـــذا للفائدة ٠

عـد ففي القلب من بعـا دك عنـا جمر الغضـا[1]

وبرهانا لنا على يأسه من ايام الصبا والانس هذه الابيات الاربعة التى يقول فيها من (البسيط) :ـ

لم يبق لى فى هـوى الغـواني منـذ تقضى الصبى طماعـه
اعرض عنـى فكنت قدمـا فيهن ذا امرة مطاعـه
خلعت نفسى من التصـابي ما لأخي الشيب والخلاعـه
انكرن مني شيبـا وعـدما ولا بضاع ولا بضاعـه[2]

ثم نراه يشكو البعد فيبرح به الغرام فيشكو له حاله من ألم الفراق وحر الجوى ثم يشبه عيني حبيبه بانهما قاتلتان وانهما امضى من السيف فى القتل والقطع فيقول :ـ

يـا نازحـا ليس يـدنو وعاتبـا ليس يرضـى
امرت عينـي فغـاضت ومضجعـي فأقضـى
يا واحـدا وديونـي فـى حبـه ليس تقضـى
أرقـد هنيئـا فانـي ما ذقت بعـدك غمضـا
عطفـا على كبد فيك رضهـا الشوق رضـا
امرضتنـى بجفـون صحائح اللحـظ مرضى
أسـحر عينـك يا قا تلي ام السـيف امضـى

(1) الديوان ص ٢٥٥ و٢٥٦ رقم ١٧٢ .
(2) كذلك ص ٢٦٩ رقم ١٨٠ .

لله سـالف عيـش بالابرقين(١) تقضـى
ايام اركض طلق العنـان فى اللهو ركضـا
واجتنـي ورد خـد يعـود بالقطف غضـا
مضـى فاودع قلبـي جـوى وداء ممضـا(٢)

وله هذان البيتان فى وداع الحبيب وكيف يستسلم لفراقـه شأنه شأن

---

(١) الابرقان : هو تثنية الابرق ٠٠٠ واذا جاؤا بالابرقين في شعرهم هكذا مثنى فاكثر ما يريدون به ابرق حجر اليمامة وهو منزل على طريق مكة من البصرة بعد رميلة اللوى للقاصد مكة ومنها الى فلجـة ٠٠ وقال بعض الاعراب يذكرهما :ــ

اقول وفوق البحر نخشى سفينـة — تميل على الاعطـاف كل مميل
الا ايهـا الركب الذين دليلهـم — سهيل اليمانى دون كل دليـل
الموا باهـل الابرقين فسـلموا — فذاك لاهـل الابرقـين قليـل
باهلي أفـدي الابرقين وجـيرة — ساهجـرهم لا عن قلى فأطيـل
الا هل الى سرح الفت ظـلاله — وتكليم ليـلى ما حييت سـبيل

وقال الزمخشرى : الابرقان ماء لبنى جعفر٠٠وقال اعرابى من طي :ــ

فسـقيا لايام مضين من الصـبا — وعيش لنـا بالابرقين قصـير
وتكذيب ليلى الكاشـحين وسيرنا — لنجـد مطـايانا بغـير مسـير
واذ نلبس الحول اليمانى واذ لنـا — حمام يرى المـكروه كل غيـور
لما علا الشيب الشباب وبشـرت — ذوي الحلم اعـلا لمتى بقتـير
وخفت انقلاب الدهر ان يصدع العصا — وان تغـدر الايام كل غـدور
وقال الصبا دعني ادعك صريمـة — عذير الصبا من صاحب وعـذيري
رجعت الى الاولى وفكرت فى التـى — اليها او الاخرى يصير مصـيري
وليس امرؤ لاقـى بلاء ببـائس — من الله ان ينتـابه بجـدير

(راجع معجم البلدان لياقوت الحموى ج ١ ص ٧٥ و٧٦ مادة (الابرقان) طبعة مصر سنة (١٩٠٦م) قلت ولم يرد الشاعر بعينه وانما ذكره تقليـدا كما اسلفنا وقد مرت هذه اللفظة فى ص ٢٤ من كتابنا هـذا فاستدركنا هذا الشرح هنا ولم يرده الشاعر كذلك وانما ذكره تقليدا ايضا ٠

(٢) الديوان ص ٢٥٤ و٢٥٥ رقم ١٧١

الصبين[1] في العشق والوله والغرام وفيه من الجناس البديـــع ما يحس به القارىء قال :ــ

لم انس قولتهـــا يوم الوداع وقد ابدت انامل خلناهـــا اساريعا[2]
ان كان راعك حزن يوم فرقتنــا فلست اول صب بالأسى ريعــا[3]

وفي مدح مجد الدين ابن الصاحب في سنة ٥٨٣هـ ينظم قصيدة قوامها احد وخمسون بيتا يترنم بخمسةعشر بيتا منها متغزلا فيه اشدالغزل حيثيعبر عن ولهه به وغرامه بخصائله ومزاياه فيقول :ــ

ما كنت اول حافظ لمضيـــع والغــــدر من حسناء غير بديـــع
مــــاذا على الايــــام ايام الصـــبى لو انها سمحت لنـــا برجـــوع
وعلى الليــــالى لو تكر معيـــدة ما خرقت من شملنـــا المجموع
وعلى شموس في الخـدور غوارب لو اذنت بعـد النــوى بطلــوع
لم تبك يوم فراقــكم عيني دمــا الا وقد نزح البـــكاء دموعــي
ودعــت عيســـهم فيـــا لله مـــا صنعت بقلبى ساعـــة التوديـــع
بانوا بسكر اللحظ صاح قلبهـــا مما تحن جوانحـى وضلوعي
لحظ بهيدوى الصحيح فليتهـــا ابقت على قلب بهـــا مصــــدوع
قالت اتقنع ان ازورك في الـــكرى فتبيت في حكم المنـــام ضجيعي ؟
وابيك ما سمحت بطيف خيالهـــا الا وقد ملـــكت علّي هجـــوعي
يا سلم ان الحــــب اسلمنـــي الى شطين من وجـــد بكم وولـــوع
وهواك يا ذات اللما[4] المعسول غا درنـــي ابيت بليلـــة الملســـوع

(١) صبون وصبين : جمع صب حيث يقال رجل صب من جمع المذكر السالم ومؤنثه صبة وجمعها صبات وهو الوله العاشق المغرم (راجع المنجد آخر طبعة مادة « صب ») •
(٢) الأساريع : خطوط وطرائق في القوس ويقـــال « قـــوس ذات اساريع » راجع كذلك المنجد مادة « سرع » •
(٣) الديوان ص ٢٧١ رقم ١٨٥ •
(٤) اللما : وتكتب عادة (اللمى) ولعله تصحيف من اصل الديوان •

يا قارعا بالعذل سمعي بعدما علق الفؤاد دعوت غير سميع
انا في الغرام بها ومجد الدين في حب الندى للعذل غير مطيع

وهنا بيت القصيد حيث يبدأ بالمدح فيرفعه الى اعلى عليين في هذين البيتين حيث يستمر بالمدح بعدهما الى نهاية القصيدة فيقول :

ملك اناف على الملوك بسودد عال وبيت في الانام رفيع
فالعز تحت رواقه المرفوع والتأييد فوق سريره الموضوع[1]

الى آخر القصيدة من بليغ المدح والرفعة .

ثم يعود الى غزله البديع وولوعه الاخاذ فيتغزل ثانية بمدحه جلال الدين ابا المظفر هبة الله بن محمد بن البخاري وهو يومئذ ينوب في الوزارة في سنة ٥٧٧هـ . فافرد عشرين بيتا من ثلاثة وخمسين بيتا قال :ـ

لو انصفت ذات النصيف عطفت على الجلد الضعيف
وشفت عليلا نقعه بين الغلائل والشنوف[2]
لكنها يوم النوى بخلت بمنزور طفيف
بخلت بتسليم على المشتاق من خلل السجوف[3]
ولطالما ضنت بزو ر خيالها الساري المطيف
يا من رأى قضبان بان في الدمالج[4] والشنوف
خمص البطون رواجح الاكفال[5] من ميل وهيف

---

(١) الديوان ص ٢٧٤ رقم ١٨٨ .

(٢) الشنف : مصدر . وهو ما علق في الاذن او اعلاها من الحلي جمعها شنوف واشناف (المنجد مادة شنف) .

(٣) السجف وجمعها سجوف واسجاف ما بين السترين من فرجة او شق على الباب او الشباك ويقال للستر عموما (المنجد مادة سجف) .

(٤) الدملج وجمعها الدمالج والدملوج وجمعها دماليج حلي يلبس في المعصم ويقال القى عليه دماليجه اى ثقله (المنجد مادة دملج) .

(٥) الكفل من الدابة العجز او الردف وجمعها اكفال وقد استعملها الشاعر مجازا لغرضه (المنجد مادة كفل) .

برقت لقتـــل المستهـا م لها ســـوالف[1] كـــالسيوف
من كل سكرى القـــد ما ل بهـــا الصبى ميـــل النزيف
ميـــادة العطفـــين لـو جبلـــت على قلب عطـــوف
ولقد اطلت على رســـو م الـــدار بعـــدهم وقـــوفي
متلفتـــــا لورد ايـــام الصبى مـــد الصـــليف
مستجديا خلف الحيـــــا لمنـــازل الحي الخـــلوف
من مربع طمستـــه ايدي الرامسات[2] ومن مصـــيف
فسقاك يا دار الاحبـــة كـــــل هطـــــال وكوف
صخب الرواعـــد مستطير البرق لمـــاع خطـــوف

حيث يأتي الى ذكره فيدخل باب المدح بعد هذا التغزل فيقول :ـ

كضياء عزم ابي المظفر فى دجى الخطب المخـــوف
ذي النائل الفياض فى اللزبات[3] والرأي الحصـــيف
عـــدل القضـــاء وان غـــدا فى المـــال ذا حـــكم عنيـــف
نائي المحـــل وجـــوده لعفاته دانـــى القطوف[4]

الى آخر ما هنالك من وصف للجود والمكارم والشيم الحميدة والخصال الفريدة .

ولنختم بحث الحب والغزل فى شعر التعاويذى بهذه الابيات الرائعة :ـ

اماطت لثـــاما وابدت هـــلالا وراشت نبـــالا وسلت نصـــالا

---

(١) السالفة : الماضية وتعني كذلك صفحة العنق عنـد معلق القرط وسالفة الفرس ما تقدم من عنقه وجمعها سوالف (المنجد مادة سلف) .
(٢) الرامسات : الرياح التى تغطي آثار الديار بما تثير من غبـــار او ما شاكله (المنجد مادة رمس) .
(٣) اللزبة : الشدة . القحط وجمعها لزب ولزبات وسنة لزبة شديدة (المنجد مادة لزب) .
(٤) الديوان ص ٢٨٨ و٢٨٩ رقم ١٩٤ .

ومنت محـــالا وغنت مطـــالا وصـــدت مـــلالا وملت دلالا
وضنت على مـــدنف لم تـــدع فنون الأسى منـــه الا خيـــالا
ايا قلبـــه ان يطيـــق السـلو وعثرته في الهـــوى ان تقـــالا
وبالجزع منفرد بالجمـــال يميس قضـــيبا ويرنو غـــزالا
تغير لواحظـــه في القـــلوب فترجـــع بالسبي منـــه ثقـــالا
كثير المـــلال فمـــا باله على زعمـــه لا يمـــل المـــلالا
وما شغفـــي برمال العقيـــق[1] ولـــكن بمن حـــل الرمـــالا
ولا أن سكـــان ذاك الجنـــاب اســـكن قلبـــي داء عضـــالا
جلبن لـــكل خلّي هـــوى واورثن كـــل فـــؤاد خبـــالا
وقلـــدن بالدر تلك الثغـــور وحملن كـــل قضيب هـــلالا
وخفن على الحســـن ان يستبيـــه الحاظنا فاتخذن الحجـالا[2]
دنون فلمـــا ملـــكن القلوب اصبحن فوق الثريا منـــالا
على انـــي ما خلعت العـــذار في الحب حتى لبسن الجمـــالا[3]

ومما لا يستغنى عنه احاطة بحياة ابن التعاويذى ومعرفة محيطه وامعانا في عصره الذى عاش فيه ان نورد قبل ختام كتابنا هذا اسماء الممدوحين في شعره بما فيهم الخلفـاء العباسيون الذين عاصرهم وعاصروه والمهجوين وهم زمرة لا بأس بهـــا ممن عاشرهم وعرف خيرهم من شرهم وفى ذلك فائدة متوخاة تفيد القارىء وتطلعه على دخائل الشاعر الفذ الذى دان له القريض وانقادت اليه القوافى دون تكلف او عنـاء ودون زحف او شطط الا ما قل وندر اسوة بما ركبه الشعراء من اســلافه ممن سبقوه حيث دل شعره على

---

(١) الحجلة ستر يضرب للعروس في جوف البيت ـ بيت يزين لهـــا وجمعها حجال وحجل وقولهم « الحجول لربات الحجال » معنـاه ان الخلاخيل للنساء (راجع مادة حجل في المنجد) .
(٢) الديوان ص ٤٦٨ و٤٦٩ رقم ٣٠١ .

دراسته المستفيضة لشعرهم ودواوينهم مما يدلنا على انه جمع مكتبة ضخمة من هـــذا التراث الخـــالد وان لم نعثر على ذكر لذلك فالقرائن تدل دلالة واضحة على انه جمع شعر الاولين ودرسه درسا متينا حتى حاز هذه المنزلة الكبرى بين شعراء عصره ومن سبقوه كالشريف الرضي والمتنبي وغيرهمـا مما يطول سرده وان لم نأت بنموذج من كل ممدوح •

الممدوحون فى ديوان سبط ابن التعاويذى :

جلال الدين ابو المظفر هبة الله بن محمد بن البخارى

ابو الحسن ابن الكرخى

حماد بن نصر

شمس الدين محمد بن ابى المضاء رسول صلاح الدين

صلاح الدين يوسف بن ايوب

عبد الرحيم القاضى الفاضل

عبيد الله الوزير •

عز الدين ابو الفتوح عبد الله بن المظفر والد الوزير عضد الدين •

عضد الدين ابو الفرج محمد بن عبد الله بن هبـــة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء وهو اكثر الوزراء مدحا اذ خصه باكثر من ثلاثين قصيـــدة عصماء شغلت جزءا كبيرا من ديوانه •

عماد الدين ابو نصر علي ولد الوزير عضد الدين وخص زوجتـــه وهى ابنة عمه تاج الدين ابى علي بن المظفر فى الرثاء

عون الدين الوزير المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة

قايماز وهو مجاهد الدين المتوفى سنة ٥٩٥هـ •

مجد الدين ابو الفضل هبة الله بن الصاحب وهو مؤيد الاسلام وسيف الخلافة •

ومن الخلفاء المستنجد بالله العباسي والمستضيء بالله والامام الناصر لدين

الله وهم الخلفاء الذين عاصرهم في حياته كما اسلفنا فالامام الناصر حفيد المستنجد بالله والمستضيء بالله نجله ٠

اما الهجو وهو ضد المدح فقد هجا طائفة كبيرة من الناس نخص بالذكر منهم الابله الشاعر وهو عبد الله محمد بن بختيار المتوفى سنة ٥٨٠هـ كما ورد ذلك في ترجمته في صدر هذا الكتاب ولاثبات ذلك للقارىء الكريم ان نورد ما جاء في الديوان بهذا العنوان برغم بذاءة اللفظ في بعض الابيات ٠

وقال ايضا في بعض الاكابر وكان يقدم محمدا المولد المعروف بالابله ويفضله على غيره ويجيزه ويحرم سماع شعر غيره من (البسيط) :ـ

قل لابي النقص والمخازي يا حرج الصدر والغناء
بأي رأي واي فهم يا مدعي الفهم والذكاء
قدمت مستأثرا علينا احقر قدرا من الهباء
ابله قد ما يرى ويربي عليه في قلة الحياء
له فم كالكنيف يلقي وجهك منه ببيت ماء
وحاش لله أن مدحا يأتيك الا من الخلاء
له على زعمه مديح اقبح عندي من الهجاء
مكرر غادرته ايدي الأ نام مخلولق الرداء
كم قد ارى للملوك دارا في يوم عيد وفي هناء
يكسوك منه ثياب حمد قليلة اللبث والبقاء
بالامس كانت على رجال تقسمتهم ايدي الفناء
وسوف يعريك عن قليل منها ويلقيك بالعراء
فارض به قانعا فنفسي قد قنعت منك بالجفاء
ولا تصلني فان اخذي عرضك احلى من العطاء

ان كان اغنـــاك عن مديحـــي   فليس ينجيـــك من هجـــائي[١]

وفي مكان آخر من الديوان قال وكان المولد الشاعر المعروف بالابله قد انتجع بعض بلاد الشام يمدح زعيمها فاتهمه بانه قد هجاه فحبسه وناله منه تأذ وفيه شيء من النقد والهجـــاء والتبرم في هذه الابيـــات القليلة من (الكامل) :ـ

يا معشـــر الشعراء قا   رن نجم سعدكم النحوس
لا تقصـــدوا بلدا حرا   ما ان يرى فيهـا نفيس
كـــالدين ليس به اذا   فتشتـــه الا التيـــوس
كـــانت صـــلاتهم اذا   وصـــلوا الدراهم والفلوس
فاليوم عندهم القيـــود   لمجتديهم والحبوس[٢]

واسامة بن مقلد المتوفى سنة ٥٨٠هـ وبنو اسامة

الوزير ابن البلدى شرف الدين ابو جعفر التميمي وزير المستنجدبالله العباسي وقد اسهبنا في الكلام عنه ومصيره في صدر كتابنا هذا .

ثم ابو الجود حيث يقول فيه :ـ

ابا الجود ما ناديك بالجود معمـــور   ولا بيد الاحسان راجيك مغمـــور
لؤمت فلا من ظل يهجوك فيالورى   ملوم ولا من بات يرجوك مغـدور
وما زلت معتل الجلال مذممـــــا   فعرضك منقوص ومالك مقصـــور
تمد الى الاحسان كفـــا بنانهـــا   يناط به زند من الخـــير مبتـــور
رداء على الخـذلان والشؤم مسبل   وذيل على الفحشاء والعـار مزرور
حويت المخـــازي خســـة ودناءة   ولؤما فلا خـــير لديك ولا خـــير

---

(١) الديوان ص ١٥ ، ١٦ رقم (٧) .

(٢) كذلك ص ٢٤٣ و٢٤٤ رقم (١٥٨) ومما هو جـــدير بالذكر ان الحاشية التي جاءت في ص ٤٤ وهي حاشية رقم (٢) من كتابنا هذا هي من رواية الاستاذ ناجي محفوظ شقيق الدكتور حسين محفوظ آنف الذكر .

بقيت لاحـــداث الليـــالي درية　　وليك مخذول وشانيك منصـــور
تحاربك الايام من بعد سلمهـــــا　　وانت ذليل في يد الدهر مقهـــور
فلا زلت موتور الليالي وصرفهـــا　　كما الفضل في ايامك السود موتور
حريمك مبـــذول وربعك موحش　　وشملك مصدوع وبابك مهجور[1]

وابن الحصيني وكنيته ابو خالد او ابو غالب والملقب صل العراق وكان حين ضمن البطيحة قد استدان من جماعة من اهل بغداد ديونا كثيرة وكان من جملة من استدان منهم صل العراق شاعرنا ابن التعـــاويذى وقد الط بالديون التى كانت عليه فخرج هاربا من بغداد الى العسكر الصلاحى بدمشق واقام هناك فكتب ابن التعاويذى الى صلاح الدين يحذره منه ويذكر له طرفا من اخلاقه فقال فيه :ـ

يا صـــلاح الدين خـــذ حـــذرك من صل العـــراق
فلقـــد وافاك فى ثوبـــي عنـــاد ونفـــاق
لا يغرنك منـــه منطق حلـــو المـــذاق
تحتـــه ما شئت من افـــك وزور واختـــلاق

ثم يقول فيه :ـ

لا تخـــالطه وســـائل عنـــه اخـــلاط الرفاق

ويقول كذلك :ـ

اكذب النـــاس اذا آ لى يمينـــا بالطـــلاق

ثم يقول :ـ

افعوان ما لمـــا ينفثـــه من فيه راقـــي
فلك الله من الحيـــة ذي الاطراق واقي

---

(١) الديوان ص ٤٨٠ ، ٤٨١ رقم ٢١١ ٠

فلــــكم غــــادر بالزو راه من دمــــع مراق
وجروح تعجــز النـــا صـــح والآسى عمـــاق
وعيون قرحت منهـــا جفـــون ماقـــي
يتطلعـــــــن الى رؤ ياه من غـــير اشتياق
ساقه الله الى اموالنـــا شـــر سياق
فحواهـــا بخـــداع وريـــاء ونفـــاق

الى آخر ابيات القصيدة[١] ...

ثم حميد بن عروة واسمه حميد ولقبه ابن عروة وقد هجـاه هجوا قاذعا نسرد منه ابياتا من قصائد فى هجائه قال الشاعر :ـ

وجه حميـــد ان تأملتـــه اقبح خلق الله ديباجـه
وجه قليل الخير ما فيـــه للراجي مكـــان لقضا حاجـــه
مشوه فى وسطه منخر اوسع من تنور زجاجـــه
مستثقل الروح له راحـــة الى طبيـــخ الزيت محتاجـــه

ثم يختتم بهذا البيت فيقول :ـ

يا رب لا تجعــل لحر الى نـــذل ابدا حاجـــه[٢]

ثم يهجو اولاده بهذه الابيات الاربعة فيقول :ـ

وقالوا استبانت يا ابن عروة ابنتـك فقلت لهم ما ذاك فى حقـــه نقص
اذا كان رب البيت بالدف مولعـــا فشيمة اهـــل البيت كلهم الرقص

ثم يقول :ـ

حـــــوى اولاد عروة من ابيهم خلال كلها عار ونقص

(١) الديوان ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ رقم ٢٠٤ .
(٢) كذلك ص ٧٧ رقم ٥٥ .

تفرق ما تجمع فيه فيهم فبغاء وقواد ولص[١]

وابو خالد ابن الخطيب الشيباني وابو الريان وابن الزريش وسعيد الحمامي وشويكة القصاب وقد مر بنا في صدر كتابنا هذا • وضراط الروم وهو الستري بواب عماد الدين الوزير وقد منعه مرة من دخول الشاعر مجلس الوزير فتألم كثيرا فقال فيه بعد ان لاذ بعماد الدين واخبره بما يفعل بوابه به فيقول من قصيدة هذه الابيات :ــ

هتك الستري في بابكم بالرد ستري
كلما رمت دخولا دفع الكشخان صدري
كيف لا تضعف نفسي كيف لا ينفذ صبري
وضراط الروم يلقاني بوجه مكفهر
لم يدر في خلدي قط ولا جال بفكري
انني أمنع عن أبوابكم آخر عمري[٢]

وكذلك يهجو العجيل فيقول في مطلع الهجاء والبيتين اللذين يعقبانه :ــ

خلوا ملامي في هجاء امرىء يصلح بعد الذبح للمخل
لا تعجلوا ان العجيل الذي اطلتم من اجله عذلي
عار من الاحسان والحسن بل خال من الافضال والفضل[٣]

ثم يهجو عقرب شهرزور وابا الفتح المغني وغيرهم مما يطول بحثه وسرده • اما الذين رثاهم فهم في المقدمة حفيده وابنته ثم اخوه ثم جده لامه ثم الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) وكذلك رثى سلجوقي خاتون وهي الجهة الشريفة بنت السلطان قليج ارسلان بن مسعود وقد اوردنا شيئا كثيرا

(١) الديوان ص ٢٤٧ رقم ١٦٤ ، ١٦٥ •
(٢) كذلك ص ٢١٦ ، ٢١٧ رقم ١٢٦ •
(٣) كذلك ص ٣٥٥ رقم ٢٢٧ •

من قصيدة في رثائها ومن هنا نستنتج بانه مقل في الرثاء بعكس المدح والهجو مما يدل على قوة تمييزه للناس ومصارحته بل ومقارعته اياهم وجها لوجه اذ لا عبرة لرثاء المرء بعد الموت سوى تعداد مآثره واعماله في الحياة الدنيا والفراغ الذي يحدثه الشخص الراحل وكم من الاموات اراحوا الاحياء بموتهم اي ان يخلصوا من شرهم واذاهم ان كانوا اداة اذى وشر للغير . هذا وله قصائد اخرى في الحكم والفلسفة كما انه لم يقتصر في المدح والهجو على من ذكرنا هنا فحسب انما مدح كثيرا من الاشخاص ممن لهم المنزلة الكبرى في المملكة العباسية والمجتمع العباسي جاها وثروة ونفوذا . ولم يكن شاعرنا جبانا اذ اننا علمنا من هجوه انه قاس جدا ولم يتورع في الكيل الصاع بالصاع والذراع بالذراع لانه عاش أبيا فقيرا اذ لم يكن مداهنا متملقا لأحد بل كان يمدح من يمدح بحق وجدارة ويهجو من يهجو باستحقاق وحق دون خوف او وجل .

ويحسن بنا قبل ترك ديوانه ان نورد شيئا من تبرماته في العيش وان ذكرنا من هذا شيئا في بحث الشكوى كما لا يحسن بنا ان نترك الديوان دون ايراد شيء من حكمه واقواله الفلسفية لنشبع البحث ونفرغ من شعره بعد ان نكون قد استكملنا ما لا يستغنى عنه من شعره وعبقريته الفياضة ونكون بذلك قد أحسنا عملا .

قال في ذلك من (المنسرح) :ـ

ما لي ارضى والبحر معترض ... دوني بمص الاوشال والثمد[(١)]
يقذف للناس من جواهره ... وما يكفي منه سوى الزبد
لارمين الزوراء من سفري ... عنها بعار يبقى على الابد
فكون مثلي يسير عن بلد ... عار على اهل ذلك البلد[(٢)]

---

(١) (الثمد : الماء القليل يتجمع في الشتاء وينضب في الصيف او الحفرة يجتمع فيها ماء المطر وجمعها اثماد) .
(٢) الديوان ص ١٤١ رقم ٨٧

وقال يشكو ضائقته وعطلته وقلة مساعده حين انفصل عن خدمة الوزير عضد الدين لتغير الخليفة عليه وخاف من ابن البلدى الوزير وكان كثيرا ما يقصد اصحابه ويتبع اتباعه ويعرض بذكر ابن البلدى ووصوله الى منصب الوزارة ولا يفخر بأبيه ولا يسمو بنفس ولا همة ولا يشرف بفضيلة • قال من (المتقارب) :ـ

اترضون يا اهل بغداد لى ... وعنكم حديث الندى يسند
بانى ارحل عن ارضكم ... اجوب البلاد واسترفد
الا رجل منكم واحد ... يحركه المجد والسودد
يقلدنى منة يسترق ... بها حر شكري ويستعبد

ثم يقول :ـ

لقد شانني ادبي بينكم ... كما شين باللحية الامرد

حتى يقول وهو يقنع بالبلغة من العيش :ـ

واقسم ان رغيفا لدي ... من قولكم جيدا جيد
ارى البحر معترضا دونكم ... وما لى على سيفه مورد
ويبعد خيركم ان دنوت ... عنى والشر لا يبعد

ثم انظره وانظر الى حاله حيث يقول :ـ

ابيع ثنائي وكتبى ولا ... يمد الى برفد يد
ويوسعنى الدهر ظلما ولا ... اعان عليه ولا انجد
زمان يحنقنى صرفه ... كأن حوادثه مبرد
اما ينتبه لى منكم كريم ... فيسعفني فيه او يسعد
سأحتقب الصبر مستأنيا ... لعل عواقبه تحمد
وان كسدت سوق مدحى لكم ... فسوق الدفاتر لا تكسد
وارحل عنكم الى بلدة ... بها فى الشدائد من يرفد

احل محلي من اهلهـــا بفضـــل وفضـــلي لا يجحـــد
الى بلدة لا تقوم الخـــطوب بالحر فيها ولا تقعـــد
فماء السماح بهـــا لا يغيض وريح المـكارم لا تركـــد
ولا الاسد الورد فيها يموت جوعـــا ولا الكلب يستأســـد
يسالم ايامهـــــا اهلهـــا فسيف الخطوب بهـــا مغمـــد

ثم يذم بغداد ويصف احوالها في هذه الفترة التي مر بهـــا شاعرنا ابن التعاويذي وهي من ايامه السود التي نكب بها والتي لاقى فيها الامرين حيث يقول في هذه الابيات :ـ

لحـــى الله بغـــداذ من موطن به كل مكرمة تفقـــد
هي الدار لا ظـــل عيشي بهـــا ظليل ولا زمني اغيـــد
نسيم الهوى بها بارد وسوق القريض بهـــا ابرد
واخلاق سكانهـــــا كالزلال ولـــكن ايديهم جلمـــد
فكف الصـــوارف مقبوضـــة البنان ووجـــه النـــدى اربد
وسحب المـــكارم لا تستهل ونار المظالم لا تخمـــد
يرى كل يوم بهـــا سفلة يسود ولم ينمه ســـودد
ينـــاضل من دونـــه وفره ويخذله الاصل والمحتـــد
ويعجبه طيب اثوابـــــه وقد خبث الاصل والمولد
يبـــاري الملـــوك وافعاله بخسّة آبائـــه تشـــهد
ويعنى بمبيض اثوابـــــه ووجه الزمان به اســـود
ثم يظهر تبرمه من حلوله فيها كارها حيث يقول :ـ
حللت بهـــــا كارها لا احـــل اذا الناس حلوا ولا اعقـــد
كما حـــل في قبضـــة القرمطي تحياته الحجر الاســـود
كأني لمـــــا لزمت الجلوس باكنافهـــــا زمن مقعـــد
يطول المطـــال على ذلة ومثلي على الضـــــيم لا يرقـــد

ولا لى للعــــزم من نهضـــــة يكون سميرى بهـــا الفرقـــد
يعض الحسود بهـــا كفـــه ومثلى على مثلهـــا يحســـد[1]

وفى تبرمه من قضاء لياليه فى العـــراق بالعسر والشدة يقول هـــذه الابيات الثلاثة من (الطويل) :ـ

لحا الله ليـــلا فى العراق سهرته انقح فى مدح اللئـــام القصـــائدا
وانسج من وشى القوافى حبـــائرا واخرج من نظم المعـــالى فرائدا
فلما نضى عنى الظـــــلام رداءه تيممت سوقا للمـــدائح كاسدا[2]

وفى هذين البيتين شيء من الحكم مع الشكوى فيقول من (الطويل) :ـ

وقائلة قم واسع فى طلب الغنـــى فكيف يقوم المرء والدهر قاعـــد
اذا لم يكن وقت الرخـــاء بدائم فأحرى بها ان لا تدوم الشدائد[3]

ومن حكمه التى تعد مضرب الامثال ما قاله يخاطب الدنيا فى هـــذه الابيات الاربعة من (السريع):ـ

يا خاطب الدنيا واحداثهـــا منه ومن امثـــاله ساخره
هيهات ان يدفـــع عنك الردى ما شدت من ابنيـــة فاخره
يلهو بهـــا بعـــدك مستمتع وفى الثرى اعظمك النـــاخره
يا حسن ما شـــيدت من منـــزل لو كان يغنى عنك فـى الآخره[4]

وعند بلوغه الستين من العمر يشرح حاله فى هذه السن المنـــذرة بالشيخوخة المؤدية الى اليأس من الحياة وقرب الاجل فيقول :ـ

لـــوت الستون عـــودى وحنا الدهر شطاطـــــى[5]

---

(١) الديوان ص ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ رقم ٨٦
(٢) كذلك ص ١٤٢ رقم ٨٩
(٣) كذلك ص ١٤٢ رقم ٩٠
(٤) كذلك ص ٢١٣ رقم ١٢١
(٥) الشطاط : حسن القامة واعتدالها (راجع مادة شطط فى المنجد) ٠

فمتى ألفى بحظ[1] ذا سرور واغتباط
وعلو السن قد يسر بالشيب نشاطي
كيف سموه علوا وهو آخذ فى انحطاط[2]

وقال يائسا من اهل السماح والكرم يشكو قلتهم ويعاتب زمانه في ذلك والابيات لا تخلو من بعض الحكم البديعة التى تنطبق على كثير من الاحوال فى تعاقب الازمان :ـ

مات السماح فاسفحي يا مقلة الفضل دما
والكرماء يا بني الآمال عادوا رمما
وانتم يا قالة الشعر دعوا التجشما
لا تتعبوا افكاركم ولا تكدوا الهمما

ثم يقول :ـ

ان استطعتم فابتغوا الى السماء سلما
فان وجه الارض بالامساك قد تجهما
والورد في راحة من راحته تشكو الظما
مغرمة بنحلها ترى السماح مغرما
والمال قد امسى على اهل الندى محرما
فهو يرى الموت ولا يرى الجواد المنعما
يكره من يكره في اعقابه التندما
وانما يألف من ما ألف التكرما
يمسي بمن يمسي به متيما متيما
كأن هذا الدهر آ لى جاهدا واقسما

---

(١) هكذا وردت فى الديوان ٠
(٢) الديوان ص ٢٥٧ رقم ١٧٤ ٠

لابرح المثري بخيـــلا والجواد معدمـــا[1]

وكتب الى ابن علي بن نطينا – وكان نصرانيا – في صومه يستهديه ما تتخذه النصارى من الاطعمة بحكم ما بينهما من الانبساط وهذا ما يدل على حسن التصافي والمودة والحب مما كان يتبادل بين الاسلام والنصارى في ذلك العهد وخاصة عهد الناصر لدين الله الخليفة العباسي الذي ولى ابا الكرم صاعد بن توما النصراني بيت المال . قال :–

تعرض للرئيس ابي علي على حكم الاخـــاء بلا احتشـــام
فلي حـــق امت به اليـــه واعلم أنـــه وافي الذمـــام
وقل يا سيدي قـــد صح عزمـــي وقولي قول اصحاب الحمـــام
اصوم لصومكم خمسين يومـــا واهجر كل محـــظور حـــرام
واجتنب الذبائح لا بحكم الضرورة بل بحكم الالتزام
واترك طائعـــا من غير عذر موافقة لـــكم شرب المـــدام
الى ان تجمـــع الايام شـــملي بـــكم ما بين باطيـــة وجـــام
ونجلوهـــا على الندمان بكرا كقرن الشمس[2] في جنح الظلام
فان الترهـــات لها اتفـــاق على الشعراء فـــي هذا المقـــام
ولا سيمـــا وهـــذا عام محـــل توالى الجدب فيـــه بعـــد عـــام
غدا وجه السحاب الطلق جهمـــا واكدت[3] فيه انواء الغمـــــام
واضحى المسلمون مع النصـــارى على الامساك فيـــه والصيام
وان تممت بالحلـــوا وحاشـــى لجـــودك أن يكون بلا تمـــام
حصلت على الثنـــاء الحر منـــي بهـــا وسلمت من جهة المـــلام
وان مهدت في التثقيل عـــذري فذلك من ســـجـــاياك الـــكرام

---

(١) الديوان ص ٣٩٧ و٣٩٨ رقم ٢٥٥ .
(١) قرن الشمس : اول ما يبدو منهـــا (راجـــع مادة قرن في اى قاموس عربي) .
(٣) اكدى يكدي اكداء الرجل لم يظفر بحاجته . بخل في العطاء .

وفى البرشان[1] لي طمع قــوي ولكن ليس ذا وقت الــكلام[2]

(٣) البرشان : خبز فطير رقيق تستعمله الكنيسة الغربية للتقديس ويستعمل لختم المكاتيب ايضا الواحدة برشانة وهو اعجمي • (راجع ص ٨٢ من الجزء الاول لقاموس محيط المحيــط للمعلم بطرس البستانى الطبعة الاولى سنة ١٨٦٧م) •

قلت وهو يستعمل في جميع الكنائس عند الشرقيين والغربيين كما ان النصارى يصنعونه في اوقات طقسية مناسبة لاعيادهم للتبرك والتقديس وذلك رمزا للخبز الذى احضره السيد المسيح ليلة العشاء الســرى الذى اجتمع من اجله المسيح برسله اى حواريه •

وقد افادنا الاب العلامة الخورى بطرس سابا وهو الضليع فى معرفة اللغة الآرامية (السريانية والكلدانية) بان لفظة فرشونو او برشونو تعني حرفيا فى اللغة الآرامية (امتيازا) وقد خصصت فى الديانة المسيحيــة للخبز الذى يقدم قربانا لله • وراجــع لفظة بورشونو وبورشانا وبراش وبراشا ومعناها مقدس ، ممتــاز ، معزول ، مفرق ومفصول فى ص (١٦٥) من المجلد السادس من القاموس الآرامي لحسن بن بهلول المعروف ببر بهلول

Lexicon Syriacum Auctore Hassano Bar Bahlule Par Rubens Duval, Paris Vol. 6, P. 160. (1901)

ومثله فى ص (٦١٥) من قاموس دليل الراغبين فى لغــة الآراميين للمرحوم المطران يعقوب اوجين منا الكلدانى المطبوع فى مطبعة الدومينيكيين سنة ١٩٠٠م بالموصل حيث يضع عدة معانى لهذه اللفظة ومنها : افترق • انفصل • ابتعد • ذهب • توفى • مات • امتاز • كان ممتــازا •• الخ وكذلك بمعنى ميز • اختــار • انتخب • خصص •••• ثم بمعنى كرس ـ وهذا الفعل من الدخيل على العربية اذ ان معناهــا العربى الحقيقى نفط البعير ـ • نذر قدس شيئا ••• الخ •

ومثل هــذا فى باب فراش وفورشونو فى ص ٣٥١ و٣٥٢ من الجزء الثانى من قاموس اللباب فى اللغة الآرامية ـ السريانية والكلدانية ـ للقس جبرائيل القرداحي الحلبى اللبنانى المطبوع ببيروت سنة ١٨٩١م •

وراجع كذلك مادة (برشان) فى القاموس العربى السريانى للمرحوم القس ميخائيل مراد الذى وصل به الى حرف السين بالعربيــة وقد توفى قبل اتمامه حيث يشرح معنى الكلمة بالسريانية والتى تدل على ما نوهنا به فى هذه الحاشية (ص ٧٦) الطبعة الاولى بالموصل •

(٢) الديوان ص ٤٠٠ ، ٤٠١ رقم ٢٦٠ •

وفى تباين الزمان يقول هذين البيتين (من الوافر) :ـ

تفكر فى زمان نحن فيــه تجده لما تقدمه مبـاين
اليس مثـالب الماضين فيهـا صلاح ان تكون لنـا محاسن[(١)]

وقد جرت بينه وبين اثير الدين ابى جعفر بن المظفر مراسـلات فى قصائد متبادلة بينهما • ومن جملتها هاتان القصيدتان وهما بهذا النص وذلك بعد ان اضر شاعرنا حيث يفديه باحدى عينيه لـكى يبصر بهـا وينقذه من العمى • قال وكتب اليه (اى ابن التعاويذى) اثير الدين المذكور بهـذه الابيات يتوجع له فيها :ـ

عز على الفضـل واربابه ما غـاب عن عينيك يا ذا النهـى
لو فديت عين بعين اذا ما نالهـا الدهر باقصـى الأذى
فديت احـدى مقلتيـك التـى قـد حجبت عن كل شـر يرى
بمقلـة من مقلتى التى اعـز مـا امـلك بين الـورى
فتبصر الدنيا بعيني كمـا أبصر بالاخرى وتكفى العمـى[(٢)]

فقال ابن التعاويذى مجيبا له :ـ

قل لاثير الدين خـدن العـلى اخي الندى نجـل اسود الشرى
انت شهاب الفضـل بل شمسـه وهضبة المجد وطـود الحجي
يا اسبق النـاس الى غاية ويا كريم الفرع والمنتمـى
يا مهـدي الدر النظيم الذي احسن منـه مسمعي ما وعـى
شعر كروض خضل نبتـه باتت اقاحيـه تمج النـدى
فهـو على قـوة الفاظـه ارق من مر نسـيم الصـبا
زدت سرورا وابتهـاجا به كأنني راجعت عصر الصـبا

---

(١) الديوان ص ٤٤٣ رقم ٢٨٢ •
(٢) كذلك ص ٤٦٣ رقم ٢٩٦ •

مثلك لا يفـــدي وهل تفتـــدى حصباء ارض بنجوم السمـــا
انت حري ان يصبح النـــاس من كل ملم لعلاك الفـــدى
بدأتنى بالفضل والفضل فى الناس لمن اسلفه وابتـــدا
فاسمـــع تخطتـــك الرزايا ولا مرت بنـــاديك صروف الردى
شوائب الدهر واحـــداثه غادرنني فى كسر بيتي لفـــا[1]
كسرن حاجاتي وقصـرن من خطوي ومـــا كنت قصير الخطـــا
سيان صبحي ومسائي فجنـــح الليل عنـــدي مثـــل رأد[2] الضـــحى
فمهـــد العـــذر لمستأخر مشت به ايامـــه القهقـــرى
فانت لي ذخر اذا نابنـــي دهر فنعم الذخر والمنتمـــــى[3]

وللمرة الثانيـــة يجيب شـــاعرنا اثير الدين ابا جعفر بن المظفر عن ابيات كتبها اليه على هذا الوزن من (السريع) قال :ـ

افحمنـــــى النظم البديـــع الذى فاقت على الدر معانيـــه
شـــعر كنوار اقاح نـــد مالت من الطل حواشيه
كالمـــاء الفاظـــا ولـكنه اقوى من الصخر قوافيـه
فبت ضـــنا وســـرورا بـــه اظهره طورا واخفيـــه
نوه باسمـــي فيـــه من لم يـــزل تغمرني قدمـــا اياديـــه
عامر نادي الفضل لا زال مغمـــورا بـــه الفضـــل وناديـــه[4]

وقال يتوجع لنفسه عند نزول الحادثة ببصره وهو من (الرجز) :ـ

يا لك من ليل حجـــا ب جنحـــه معتـــكر

---

(١) اللفاء : التراب والشيء القليل ما كان دون الحق (راجع المنجـــد مادة الفيء) وقد حذف الشاعر الهمزة للوزن والقافية ٠

(٢) الرأد : رأد الضحى ورائد الضحى وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء (راجع مادة رؤد فى المنجد) ٠

(٣) الديوان ص ٤٦٣ ، ٤٦٤ رقم ٢٩٧ ٠

(٤) كذلك ص ٤٦٢ و ٤٦٣ رقم ٢٩٥ ٠

ظلامه لا ينجلي ... وصبحه لا يسفر
ليس له الى الممات ... آخر ينتظر
ما في حياة معه ... لذي حصاة[1] وطر
غادرني كأنني ... في كسر بيتي حجر[2]
لا اهتدي لحاجتي ... وفي الليالي عبر
اين الشباب والمراح ... والهوى والاشر[3]
اخنت على ايامها ... ايام دهر غدر
لم يبق لي الا الاسى ... منهن والتذكر[4]

وهو لا يقف عند هذه الشكوى والتألم فحسب انما يئن من ضره وعماه في كل قصيدة نظمها بعد فقد بصره تقريبا فها هو ذا يقول ابياتا في سياق نظمه قصيدة في مدح الصاحب الكبير مجد الدين ابى الفضل هبة الله ابن الصاحب ويشعره بالحادثة التى نزلت به ويتوجع لبصره وهى من قصيدة طويلة :ـ

رمتني يد الايام فيها بعاثر ... فبدلت منها ظلمة بضياء
ورنق عيشي واستحالت الى القذى ... مشاربه عن رقة وصفاء
جفاء من الايام بعد مودة ... وسلب من الايام غب عطاء
تنكرت الدنيا عليّ ففوقت ... اليّ سهام الغدر بعد وفاء
فاضحت وقد كانت اليّ حبيبة ... وابغض ما فيها اليّ بقائي

---

(١) الحصاة : العدد والعقل والرأى ويقال (فلان ثابت الحصاة) اى عاقل (راجع مادة حصى فى المنجد) .

(٢) فى الديوان « بيت » وفى نكت الهميان « بيتى » وهو اصح

(٣) اشر أشرا بطر ومرح فهو أشر وأشران وجمعها آشرون وأشارى (راجع مادة أشر فى القواميس) .

(٤) الديوان ص ٤٨٢ و٤٨٣ رقم ٣١٤ . ونكت الهميان فى نكت العميان للصفدى ص ٨٩ .

ثم يقول :ـ

وها انا كالمقبور فـي كسر منزل سواء صباحي عنده ومسـائي
يرق ويبكي حاسدي لي رحمـة وبعدائها من رقـة وبكـاء[١]

وفى مدح الامام ابى العباس احمد الناصر لدين الله امير المؤمنين فـى سنة ٥٧٩هـ يئن ويتوجع عقيب الحادثة التى نزلت ببصره فيقول هذه الابيات:

اظل حبيسا فـي قرارة منزلي[٢] رهين اسى امسي عليـه واصبح
مقامي فيـه[٣] مظلم الجـو قاتم ومسعاي ضنك وهو فيحان افيـح
أقاد به قود الجنيبـة[٤] مسمحا وما كنت لو لا غدرة الدهر أسمح
كأني ميت لا ضريـح لجنبـه وما كل ميت لا ابالك يضـرح[٥]

وفى مدح القاضى الفاضل ابى علي عبد الرحيم بن علي يقول هـذه الابيات مشعرا اياه بالحادثة التى نزلت ببصره وهى من قصيدة طويلة جـدا عدد ابياتها مائة واربعة وثلاثون بيتا :ـ

لم ترض ايامـك لـي لا رأت يوم رضى بالضنك والعسـر
حتى رمتنـي رميـة[٦] بالاذى بنكبـة قاصمـة ظهري
وترتني[٧] فى مقلة قلمـا اعلمهـا نامت عـلى وتر

---

(١) الديوان ص ٦ ، ٧ رقم (٢) وروى الصفدى فى نكت الهميـان فى نكت العميان البيتين الاخيرين ص ٧٨ .

(٢) فى الديوان « منزل » وفى نكت الهميـان « منزلى » وهو اقرب الى الصحيح .

(٣) فى نكت الهميان « منه » والديوان اصح .

(٤) والجنيبة الدابة تقودها الى جنبك (المنجد مادة جنب) .

(٥) الديوان ص ٧٩ رقم ٥٧ ونكت الهميان فىنكت العميان للصفدى ص ٧٧ و٧٨ .

(٦) وفى نكت الهميان « رميت » وفى الديوان اصح .

(٧) فى نكت الهميان وردت « اوترتنى » فراعينا ما فى الديوان .

اصبتني فيهـــا على غـــرة بعـــائر[١] من حيث لا ادري
جوهرة كنت ضنينـــا بهـــا نفيسة القيمـــة والقـــدر
ان لم اكن ابكـــي عليهـــا دمـا فضلا عن الدمع فما عـــذري[٢]
ما لي لا ابكـــي على فقدهـــا بكاء خنساء على صخـــــــر[٣]

وقال عقيب الحادثة التي نزلت ببصره هذه الابيات وهي من قصيدة طويلة استلها الصفـــدي صاحب نكت الهميـــان في نكت العميـــان في ص ٧٨ :ـ

واصبت فـــى عيني التـــي كانت هي الدنيـــا بعـــين
عـــين جنيت بنورهـــا نور العلـــوم واي عـــين
حـــالان مستني الحـــوا دث منهمـــا بفجيعتـــين
اظـــلام عين فـــى ضـــيا ء مشيب[٤] راس ســـــرمدين
صبح وامســـاء معـــا لا خلفـــة فاعجـــب لذين
او رحت فـــى الدنيـــا من الســـراء صفر الراحتـــين
في برزخ منهـــا اخـــا كمـــد حليف كآبتين
اسوان لا حـــي ولا ميـت كهمـــزة بـين بـين
فكأنـــي لـم اســـع منهـــا فى طريـق مرتين
وكأنني متعت نظـــــرة او نظرتـــــين[٥]

الا ان فى الديوان اكثر من هذه الأبيات حول بصره فيسير على هـــذا المنوال فى بيتين آخرين وهما :ـ

ولت فما لي طالبـــا اثرا لها من بعد عين

---

(١) العائر : الذى فى عينه عوار اى قذى • الرمـــد • القذى كل ما اعل العين واوجعها •
(٢) الديوان ص ١٩٢ رقم ١١٣ ونكت الهميان ص ٧٧ •
(٣) لم اجد هذا البيت فى الديوان بل وجدته فى نكت الهميان •
(٤) فى نكت الهميـــان فى نكت العميـــان ورد العجز هكذا « ء من مشيب سرمدين » •
(٥) نكت الهميان فى نكت العميان للصفدى ص ٧٨ •

أو بت شلو الهم تمضغني الخطوب بماضغين[1]

وفى معاتبته لابن الدوامي على تأخر زيارته له فى وقت الحادثة التى نزلت ببصره يقول هذه الابيات التى تنم عن شكواه من هذه الحادثة التى آلمته كثيرا واوردها الصفدي مع ما اوردنا من الابيات السابقة التى اوردها فى مطلع كتابه وقد اورد شعرا لاكثر العميان الذين ترجمهم فى كتابه وهو من رائع التعبير عن لسان هؤلاء الشعراء الذين نكبوا ببصرهم ومن ضمنهم مترجمنا ابن التعاويذى وهذا ما اضطرنا الى ايراد هذه الابيات الطريفة التى تفصح عن مشاعر الشاعر فى آلامه ونكبته :ـ

الا من لمسجون بغير جناية يعد من الموتى وما حان يومه
يروعه عند الصباح انتباهه وطوبى له لو طال وامتد نومه
جفاه بلا ذنب اتاه صديقه واسلمه للهم والحزن قومه[2]
وارخص منه الدهر ما كان غاليا على مشتري الاحزان[3] فى الناس سومه[4]

هذا ما اقتضى ايراده وان كنا قد اوردنا البعض منه فى سياق المواضيع الاخرى جاءت استطرادا فى بحث المدح او الشكوى او الحكم او الغزل او الرثاء فتكرارها يضفي بل يلقي ضوءا اسطع على حياته البائسة شأنه شأن معظم الشعراء فى ذلك الزمن وحتى فى عصرنا الحاضر .

وللالمام بكل اهداف الشاعر المبدع سبط ابن التعاويذى نورد هذه الابيات كمسك ختام لاهداف شعره التى كتب بها الى انسان قد استام منه

---

(١) الديوان ص ٤٣٦ و٤٣٧ رقم ٢٧٤ .
(٢) ورد البيت فى نكت الهميان « للحزن والهم » .
(٣) ورد فى نكت الهميان « الاخوان » .
(٤) الديوان ص ٣٩٦ رقم ٢٥٣ ونكت الهميان فى نكت العميان ص ٧٩ .

كتبا ادبية فأخرها عنده ومطله بثمنها وابتذلها قال من وزن (الكامل) :ـ

ما لي ارى كتبي بغير جناية قد طال عندك في الوثاق اسارها
اضحت لديك حبائسا اثمانها مجهولة اقدارها
مهتوكة حرماتها مبذولة صفحاتها محلولة ازرارها
قد ابديت عوراتها لكم وما انتم محارمها ولا اصهارها
ومن العجائب انها نكحت ولا صدقاتها حملت ولا امهارها
فامنن عليها بالاياب فما نبت عن مثلها اوطانها وديارها
واعطف لغربتها وطول مقامها بذراك فهي رقيقة ابشارها[1]

ومن الجدير بالذكر قبل الانتهاء من هذا البحث ان نعيد شيئا مما ذكره ابن خلكان عن هذا الشاعر الكبير وكذلك ما قاله فيه الصفدى صاحب كتاب نكت الهميان فى نكت العميان حيث اضر الشاعر فى اواخر ايامه كما اسلفنا فجعله الصفدى فى عداد العميان لنركز فى ذهن القارىء فكرة حقيقية عن هذا الشاعر • وقد يكون فى الاعادة شيء من الافادة قال ابن خلكان : « كان ابو الفتح المذكور شاعر زمنه ولم يكن فيه مثله • جمع شعره بين جزالة الالفاظ وعذوبتها ورقة المعانى ودقتها وهو فى غاية الحسن والحلاوة • جميل الطباع ولله در القائل: وللناس فيما يعشقون مذاهب•ويقول فى مكان آخر : « صنف التعاويذى كتابا اسماه الحجبة والحجاب يدخل فى مقدار خمس عشرة كراسة واطال الكلام فيه وهو قليل الوجود • وفيما اعتقده لم يكن قبله بمائتى سنة من يضاهيه ولا يؤاخذنى من يقف على هذا الفضل فان ذلك يختلف بميل الطباع • وذكر العماد الاصبهانى فى كتاب الخريدة ان ابن التعاويذى المذكور كان صاحبه لما كان فى العراق فلما انتقل العماد الى الشام واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين كتب اليه ابن التعاويذى رسالة وقصيدة يطلب منه فروة ثم يدون الرسالة ابن خلكان وقد اجاب العماد على قصيدته وذكر قبل الرسالة

---

(١) الديوان ص ٤٨٣ رقم ٣١٥ •

والقصيدة هذا القول : « هو شاب فيه فضل وآداب ورياسة وكياسة ومروة وابوة وفتوة جمعني واياه صدق العقيدة في مقدار الصداقة وقد كملت بـه اسباب الظارف واللطف واللياقة ..[1] وكان مولده في العاشر من رجب يوم الجمعة سنة تسع عشرة وخمسمائة وتوفي في ثاني شوال سنة اربع وقيل ثلاث وثمانين وخمسمائة في باب أبرز ببغداد[2] ودفن وقال ابن النجار ان

(١) راجع ترجمة صاحب الديوان في ابن خلكان في ترجمته وفـــي نكت الهميان في نكت العميان للصفدي طبعة احمد زكي باشا مصر ص ٢٥٩ وفي الديوان نفسه .

(٢) باب أبرز او بيبرز : ذكره ياقوت في معجم البلــدان في مادة (بيبرز) قال ما نصه بالحرف « ــ بيبرز ــ بكسر اوله وفتح ثانيه وسكون الباء وفتح الراء وزاي . محلة ببغداد وهي اليوم مقبرة بين عمـارات البلد وابنية من جهة محلة الظفرية والمقتدرية (كذا) ــ وصحيحها المقتـدية على ما حققه الدكتور مصطفى جواد وافادناه ــ بها قبور جماعة من الائمة ... منهم ابو اسحاق ابراهيم بن علي الفيروزاباذي الفقيـــه الامام ومنهم من يسميها باب أبرز » معجم البلدان ص ٣١٩ من الجزء الثاني بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٠٦م .

وجاء في كتاب (دليل خارطة بغـــداد قديما وحديثـــا) من تأليف الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمـــد سوسة في ص ١١٩ فـــي بحث السور الذي شيده الخليفة المستعين الخليفة العباسي في جانبي بغداد قولهما « ... اما سور الجانب الشرقي فكان يبدأ من ضفة دجلة قبالة (قصر حميد) مباشرة وبعد مروره بباب سوق الثلاثاء يصـل الى (باب أبرز) ثم ينحرف الى الشمال الغربي ... الخ » وفي صـــدد البحث عن مجرى نهر موسى يقولان : « وكان يسمى الفرع الثاني الذي يتشعب من (مقسم الماء) باسم (نهر المعلى) فيسير باتجاه الجنوب الغربي خارج سور المستعين حتى يدخل المدينة . وبعد ان يمر من قرب (باب أبرز) الذي على سـور المستعين ومن المقبرة التي بجنبه المعروفة باسم (مقبرة باب أبرز) يدخل قصر المعتضـد المعروف (بالفردوس) ويدور حوله حتى يصب في دجلة عند القصر .... وكانت مقبرة باب أبرز مقبرة واسعة تتصل بمقبرة اخرى من الشـــرق تدعى (مقبرة الوردية) وهي التي دفن فيها الشيخ شهاب الدين عمـر بن محمد البكري السهروردي القائمة تربتـــه الى اليوم . قال مؤلف كتاب الحوادث الذي ظن انه الحوادث الجامعة وليس به فـي وفاة عمر السهروردي سنة (٦٣٢هـ) : « ودفن في الوردية في تربة عملت له هنـــاك على جادة سور الظفرية » ويعني سور الظفرية السور المقابل للمحلة الظفرية من جهة باب الظفرية المعروف بالباب الوسطاني وهو اليوم متحفة للاسلحة العتيقة =

وفاته يوم السبت ثامن عشر شوال (ان هذه الترجمة فى القسم الثانــــى من

= وعلى هذا تكون مقبرة باب أبرز محلة الفضل والمهدية وقمر الدين والبارودية الحالية يؤيد ذلك ما ذكره ابن الفوطى فى ترجمة (قمر الدين ابى منصــور منكوبرس بن عبد الله النـــــاصرى) الامير المتوفى سنة (٦٣٩ هـ) قال : (ودفن بباب أبرز) • ولا يزال قبر قمر الدين قائما فى المحلة المنسوبة اليه نعني (محلة قمر الدين) • وقد اشتهرت مقبرة باب أبرز بقبر ابى اسحاق الشيرازى الفقيه الشافعي الكبير ومدرس المدرسة النظامية المتوفى فى سنة (٤٧٦هـ) ص ١٢٢ و١٢٣ من الكتاب المذكور •

وفى مكان آخر يقولان بصدد المدرسة المعروفة بالتاجية للشافعية :ـ « وقد انشئت فى هذا العهد ايضا المدرسة المعروفة بالتاجية للشافعيـــــة ايضا وسميت بهــذا الاسم نسبة الى تاج الملك وزير السلطان ملكشاه ولم يكن وزيرا بل موظفا كبيرا ايام بنائه اياها • وكانت هذه المدرسة بالقرب من باب أبرز ملاصقة لمقبرة باب أبرز وقد تم انشاؤهـــــا فى حدود سنة (٤٨٢هـ ١٠٨٩م) • الكتاب المذكور ص ١٥٥ و١٥٦ • وجاء فى ص ١٧٥ منه ان سور المستعين كان يصل الى جوار باب أبرز والمدرسة التاجيـــة • وفى ص ١٧٦ منه فى هذا الصدد كذلك انه بامتــــداده يفضى الى المحلـــة المعروفة بالمختارة ـ وهى القسم الشمــــالى الغربى من محلــــة قنبر على ـ فيتجاوزها الى مقبرة باب أبرز ـ وهى محلة الحمام المالح والفضل والمهدية والسيد عبد الله بما فيها تبة الكرد وآخر قمر الدين ـ بطولها ••• الخ •

وجاء بصدد جامع الفضل ـ وهو الفضل بن سهل بن بشر بن سعيد الاسفرايينى ابو المعالى بن ابى الفرج الواعظ وكان يعرف بالاثير الحلبـــى الذى جاء من حلب رسولا الى بغداد واقام بها واستوطنها الى حين وفاته وهو مصرى المولد انه توفي فجأة كرة يوم الاربعـــاء ثاني رجب سنة (٥٤٨هـ) وصلي عليه يوم الاربعاء بالمدرسة التاجية ودفن بباب أبرز وباب أبرز هى محلة الفضل الحالية وبعض محلة السيد عبد الله ومحلة قمر الدين والظاهر ان قبر ابراهيم الشيرازى المعروف بأبى اسحاق الشيرازى كــــان متصلا بجامع الفضل الحالى وكذلك المدرسة التاجية • ص ٢٣٨ و٢٣٩ من الكتاب المذكور • وفى ص (٢٤٦) منه فى ذكر اسماء المحـلات ان محلة باب أبرز صارت محلة (قمر الدين) لانه مدفون فيها • وفى ص ٣٠٧ منــه فى ذكر الجوامع ان جامع الفضل فى محلة الفضل « مقبرة باب أبرز قديما » بالجانب الشرقى • وفى ص ٣١١ و٣١٢ فى صدد ذكر جامع السيد عبد الله وتربته فى محلة السيد عبد الله قرب جامع الفضل وهو معدود من مقبرة باب أبرز الواسعة العتيقة • وان ابا الفرج بن الجوزى ذكر فى خبر غرق بغداد الهائل سنة (٤٦٦هـ ١٠٧٣م) انه وقع مشهد باب أبرز ومنارته وغرقت المقـــابر الى آخر البحث مما يطول بنا ويخرجنا عن الصدد •

الجزء الخاص بشعراء العراق ولم يطبع بعد) .

اما ما ذكره الصفدي في كتابه (نكت الهميان في نكت العميان) فهو ينقل من ابن خلكان ويتفق معه في تحديد الولادة ويجزم بسنة الوفاة انها سنة اربع وثمانين وخمسمائة ولعل الصفدي نقل من ابن خلكان لانه سبقه ولم يعاصره لكنه يصف التعاويذي بقوله :ـ

« محمد بن عبيد الله بن عبد الله ابو الفتح سبط التعاويذي المبارك بن المبارك وكان ابو الفتح المذكور من الشعراء المشهورين وديوانه مشهور يدخل في مجلدين اضر آخر عمره . وتوفي رحمه الله تعالى سنة اربع وثمانين وخمسمائة ومولده سنة تسع عشرة وخمسمائة . وانما نسب الى التعاويذي لانه نشأ في حجر التعاويذي المذكور وكفله صغيرا . قال ابن خلكان ولم يكن في وقته مثله ولم يكن قبله بمائتي سنة من يضاهيه ولا يؤاخذني من يقف على هذا الفضل فان ذلك يختلف بميل الطباع . قلت كان شاعرا مطبوعا سهل الالفاظ عذب الكلام منسجم التركيب ولم يكن غواصا على المعاني . ولم يورد له ابن خلكان رحمه الله تعالى على اطنابه في وصفه شيئا من قصائده الطنانة . وكان شيخنا الامام القاضي شهاب الدين محمود[1] رحمه الله تعالى

---

(١) هو محمود بن سلمان بن محمد (كذا) بن محمود الحلبي ثم الدمشقي ابو الثناء شهاب الدين ولد في شعبان سنة ٦٤٤هـ. وسمع من الرضي بن البرهان ويحيى بن عبد الرحمن الحنبلي وجمال الدين بن مالك وتأدب به وبابن الظهير وتفقه بابن المنجا وغيره وبرع الى ان عين مرة لقضاء الحنابلة وفاق الاقران في حسن النظم والانشاء والكتابة وكان يذكر ان له اجازة من ابن خليل وكتب الانشاء اولا بدمشق ثم نقله ابن السلعوس الى الديار المصرية عقب موت محيى الدين بن عبد الظاهر فكتب بها في ديوان الانشاء ثم ولي كتابة السر بدمشق بعد موت شرف الدين بن فضل الله الى ان مات وكان نائب السلطنة يحترمه وكان محبا لاهل الخير مواظبا على التلاوة والادعية والنوافل وقورا ساكنا وقصائده كثيرة تدخل في ثلاث مجلدات واما المقاطيع فقليلة ونثره يدخل في ثلاثين مجلدة كذا قال الصفدي وقال وهو احد الكملة الذين عاصرتهم واخذت عنهم ولم ار من يصدق عليه اسم الكاتب غيره لانه كان ناظما ناثرا عارفا بأيام الناس وتراجمهم ومعرفة خطوط الكتاب مع الادب الكثير والديانة والعلم والرواية وله كتاب (حسن التوسل في صناعة الترسل) جوده وكتاب (اهنى المنائح في اسنى =

لا يفارق ديوانه ويعجبه طريقه ويقتفي اسلوبه وكان ابن التعاويذى كاتبا

= المدائح) افرد من شعره المدائح النبوية . قال الذهبي لم يخلف فيمعناه مثله . وقال البرزالى فى معجمه فاضل كتب فى الانشاء وفى جودة الشعر فاق اهل عصره واربى على كثير ممن تقدمه واضحى المنظور اليه فى البلاد الشامية والمصرية وكان يكتب التقاليد الكبار والتواقيع بديهة من غير مسودة واشتهر بحسن الخلق فكانت اكثر التقاليد والتواقيع تظهر بخطه وثوقا به حتى جمع منها بعض الراغبين مجلدين وكان اشتغل على ابن مالك فى النحو وعلى ابن المنجا فى الفقه واجاز له يوسف بن خليل وذكر انه سمع من لفظه ديوان المدائح النبوية الذى سماه (اهنى المنائح فى اسنى المدائح) وعدد ابياته الفا بيت وثلثمائة وخمسة وستون بيتا ومن مشهور نظمه :-

رأتني وقد نال منى النحول وفاضت دموعى على الخد فيضا
فقالت بعينى هذا السقام فقلت صدقت وبالخصر ايضا

وطارحه من ادباء عصره السراج الوراق وناصر الدين ابن النقيب وشهاب الدين العزاوى وغيرهم ومن قصائده خاطب بها فتح الدين بن عبد الظاهر :-

هل البدر الا ما حواه لثامها او الصبح الا ما جلاه ابتسامها

وهى طويلة . ومن محاسن نثره الكتاب الذى فى وصف الخيل والرسالة التى فى وصف البندق . قال ابن سيد الناس قال لى ابن سلمى الغرناطى ما رأيت اجل من الدمياطى والشهاب محمود والشهاب فى بابه اجل وله ذيل على ذيل القطب اليونينى فى التاريخ مات بدمشق فى ليلة السبت بعد أذان العشاء الآخرة ٢٢ شعبان سنة ٧٢٥هـ. ودفن بتربته التى انشأها بجبل الصالحية . (الدرر الكامنة لابن حجر العسقلانى ج ٤ ص ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ طبعة حيدر آباد الدكن فى الهند) .

اما ما ذكره صاحب فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى فقال ما نصه بالحرف :-

« شهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد العلامة البارع البليغ الكاتب الحافظ ابن الشيخ الحلبى الدمشقى الحنبلى وكان مولده بدمشق سنة اربع واربعين وستمائة وتوفي فيشهور سنة خمس وخمسين وسبعمائة كتب المنسوب ونسخ الكثير وتفقه على ابن النجار وغيره وتأدب على ابن مالك ولازم الشيخ مجيد الدين بن الظهير وسلك طريقته فى النظم واربى عليه وحذا حذوه فى الكتابة ونقله الوزير شمس الدين بن السلعوس الى مصر وتقدم ببلاغته وبديع كتابته وانشائه وسكونه وتواضعه واقام بالديار المصرية الى ان توفى القاضى شرف الدين بن فضل الله فجهز الى دمشق =

بديوان المقاطعات وعمى فى آخر عمره سنة تسع وسبعين • وله فى عمـــاه

= صاحب ديوان انشائه فاقام على المنصب ثمانية اعوام فتوفي رحمـــه الله وصلى عليه الامير سيف الدين تنكز ودفن فى تربتـــه بسفح قاسيون وله من التصانيف (مقامـــة العشاق) وكتاب (منازل الاحبـــاب) و(حسن التوسل) و(اسنى وهو محرف اهنى المنائح فى اسنى المدائح) وكان ممن اتقن الفنين المنظوم والمنثور • قلت ونحن لا نثق بصحة تاريخ الوفاة لانه لا يتفق وصاحب الدرر كما انه لا يعتمد عليه فى تثبيت تاريخ الوفيات بالضبط وهو الوحيد الذى اورد هذا التاريخ • وقد اورد له شعرا كثيرا لا يتسع المقام لايراده هنا ولانه يخرج عن صدد البحث • (فوات الوفيات ج (٢) ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ وما بعدهما حيث يورد له شعرا كثيرا• طبعة مصر١٢٩٩هـ •

وذكره ابن كثير صاحب كتاب البداية والنهاية فى الجزء الرابع عشر وهو عماد الدين ابى الفـــداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤هـ فى حوادث سنة خمس وعشرين وسبعمائة فقـــال :ــ الشهاب محمود هو الصدر الكبير الشيخ الامام العالم العلامة شيخ صناعـة الانشاء الذى لم يكن بعد القاضى مثله فى صنعـــة الانشاء • وله خصائص ليست للفاضل من كثرة النظم والقصائد المطولة الحسنة البليغـــة • فهو شهاب الدين ابو الثناء محمود بن سلمان بن فهـد الحلبى ثم الدمشقى ولد سنة اربع واربعين وستمائة بحلب • وسمع الحديث وعني باللغـــة والادب والشعر وكان كثير الفضائل بارعا فى علم الانشاء نظما ونثرا • وله فـــى ذلك كتب ومصنفات حسنة فائقة وقد مكث فى ديوان الانشاء نحـــوا من خمسين سنة • ثم ولي كتابة السر بدمشق نحوا من ثمـــان سنين الى ان توفى ليلة السبت ثانى عشرين شعبان فى منزله قرب باب النطفانيين وهى دار القاضى الفاضل وصلى عليه بالجامع ودفن بتربة له انشأهـا بالقرب من اليغمورية وقد جاوز الثمانين رحمه الله • (البداية والنهـاية لابن كثير ص ١٢٠ من الجزء الرابع عشـر مطبعة السعادة بمصر) •

وجاء فى كتاب (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة) لجمـــال الدين ابى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الاتابكى فـــى صحائف (٢٦٤ و٢٦٥) من الجزء التاسع من طبعة دار الكتب المصرية فى القـــاهرة سنة ١٣٦١هـ (١٩٤٢م) فى حـــوادث سنة ٧٢٥هـ ما نصه : « وتوفى الامام البليغ الكاتب المنشىء البديع شهاب الدين ابو الثناء محمود بن سليمان بن فهد الحلبى ثم الدمشقى الحنبـــلي صاحب ديوان الانشاء بدمشق فى ليلة السبت ثانى عشر من شعبان سنة اربع واربعين وستمائة ونشـــأ بدمشق وسمع الحديث وكتب المنسوب ونسخ الكثير وتفقه على ابى المنجـــا وغيره وتأدب بابن مالك ولازم مجدالدين بن الظهير وحذا حذوه وسلك طريقه فى =

اشعار كثيرة اوردت منها جملة في صدر هذا الكتاب • وجمع ديوانه بنفسه ورتبه اربعة فصول ثم ألحقه بعد ذلك زيادات • وصنف كتابا سماه (الحجبة والحجاب) يدخل في مقدار خمسة عشر كراسا وهو قليل الوجـود • وقال العماد الكاتب انه كان بالعراق صاحبه فلما انتقل العماد الى الشام وخـــدم نور الدين وصلاح الدين كتب اليه يطلب منه فروة برسالة ذكرها ابن خلكان في وفيات الاعيان • وقد تقدمت اشعاره في مصيبته بعينيه في ديباجة الكتاب •» ومن شعره :ـ

سقاك سار من الوسمي هتـــــان ولا رقت للغوادي فيك اجفـــان

الخ •

وقد اورد له عدة مقطوعات من شعره ومن ديوانـه اوردنا اكثر بكثير منها في كتابنا هذا فلا حاجة بنا الى تكرارها • وفي القصيدة الطويلة التـــي كتبها الى القاضي الفاضل والتي اورد منها ابياتا معدودة فقط في ترجمته يذكر الصفدي ان الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد قال : لو مدحت بهذه القصيدة اجزت عليها بألف دينار وهي التي مطلعها :ـ

مرت بنـــــا في ليلة النفر تجمـــــع بين الاثم والاجر
ادماء غراء هضيم الحشـا واضحة اللبـــات والنحر

= النظم والكتابة وولي كتابة سر دمشق بعد موت القاضي شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمري الى ان مات وفيه يقول الاديب البليغ الطنبغـا الجاولي وهو علاء الدين عبد الله اصله من مماليك ابن باخل وخدم عند الامير علم الدين سنجر فعرف به :ـ

قال النجـــــاة بان الاسم عندهم غير المسمى وهذا القـــول مردود
الاسم غير المسمى والدليـــل على ما قلت ان شهاب الدين محمـــود

ثم يورد له البيتين آنفي الذكر (رأتني وقد نال النحول ••)
قلت : وقد مر من ذكر الشهاب محمود وشعره قطعـــة كبيرة فـــي فتوحات الملك المنصور قلاوون وغيره عدلنا عن ايرادها هنا لخروجهـــا عن صدد بحثنا •

وقد سبق ان ذكرناها فى كتابنا هذا فليراجعها القارىء اذا شاء . كما انه ذكر له هذين البيتين البديعين فى تشبيه العمر وهما :ـ

فمن شبه العمر كأسا يقر قذاه ويرسب فى اسفله
فاني رأيت القذى طافيا على صفحة الكأس من اوله[1]

وكذلك يذكر له هذين البيتين ايضا وكله مأخوذ من ديوانه قال الصفدى فى نكت الهميان فى نكت العميان ص ٢٥٩ - ٢٦٣ :ـ

ولقد مدحتكم على جهل بكم وظننت فيكم للصنيعة موضعا
ورجعت بعد الاختبار اذمكم فأضعت فى الحالين عمرى أجمعا

وجاء فى ص (٣١٠) فى الجزء الثالث من كتاب الوافي بالوفيات للصفدى من الطبعة الحديثة هذان البيتان وفى اولهما شيء من التغيير فى اللفظ بخلاف ما ورد فى الديوان وهما :ـ

اذا اجتمعت فى مجلس الشرب سبعة فبادر فما التأخير عنه صواب
شواء وشمام وشهد وشادن وشمع وشاد مطرب وشراب

وقد اوردهما ، الصفدى كذلك فى هذا الشكل فى كتابه نكت الهميان فى نكت العميان فى ترجمة ابن التعاويذى ص ٢٦٣ :ـ

اما نصهما فى الديوان فهكذا :ـ

وقال ايضا من (الطويل) :ـ

اذا اجتمعت فى مجلس الشرب سبعة فما الرأي فى تأخيرهن صواب
شواء وشمام وشهد وشادن وشمع وشاد مطرب وشراب[2]

---

(١) نكت الهميان فى نكت العميان للصفدى طبعة احمد زكى باشا مصر ص ٢٥٩ وما بعدها .

(٢) الديوان ص ٤٩ رقم ٢٦ . وجاء فى النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين ابى المحاسن يوسف بن تغرى بردي الاتابكى طبعة دار الكتب سنة (١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م) ج ٦ ص ١٠٥ و١٠٦ مانصه:ـ
« وفيها اي سنة ٥٨٣هـ توفي محمد بن عبيد الله الاديب ابو الفتح =

وذكر ابن كثير صاحب كتاب البداية والنهاية وفاة السبط ابن التعاويذي بما لا يزيد عن سطر واحد انه توفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة حيث قال : محمد بن عبيد الله بن عبد الله سبط بن التعاويذي الشاعر . ثم اضر في آخر عمره وجاوز الستين توفي في شوال . (البداية والنهاية لابن كثير ج١٢ ص ٣٢٩ مطبعة السعادة بمصر) وبهذا جعله ابن كثير من وفيات سنة ٥٨٣هـ وهو ليس بصحيح على الغالب .

وقد ترك له نسلا من بعده ممن حفظوا ذكره ودرسوا ديوانه ونظموا الشعر مثله . ومن اولاده الذين عاشوا بعده ابو القاسم عبد اللطيف وقد جاء في كتاب (التكملة لوفيات النقلة) لزكي الدين المنذري المصري وهو المخطوط المحفوظ في مكتبة البلدية بالاسكندرية في مصر في حوادث سنة ٦٣٤هـ . ما نصه بالحرف : « وفي الثاني والعشرين من صفر توفي الشيخ الاجل ابو القاسم عبد اللطيف ابن الاديب الفاضل ابي الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله البغدادي الحاجب المعروف بابن التعاويذي ببغداد ودفن من الغد بباب أبرز ومولده في رجب سنة اثنتين وستين وخمسمائة . سمع من ابي الحسين عبد الحق وابي نصر عبد الرحمن ابني عبد الخالق بن احمد

= البغدادي المعروف بسبط ابن التعاويذي الشاعر المشهور وله ديوان شعر كبير الموجود غالبه في المديح . ومن شعره ـ رحمه الله ـ في غير المديح في الزهد :ـ

اجعل همومك واحدا ... وتخل عن كل الهموم
فعساك ان تحظى بما ... يغنيك عن كل الهموم

وله :ـ

فكم ليلة قد بت ارشف ريقه ... وجرت على ذاك الشنيب المنضد
وبات كما شاء الغرام معانقي ... وبت واياه كحرف مشدد »

والشنيب من كان ابيض الاسنان حسنها فهو أشنب وشانب وشنيب ومشنب (المنجد مادة شنب)

قلت ولم اجد هذه الابيات لقافيتين مختلفتين في الديوان كما لم يذكر صاحب النجوم الزاهرة ابن تغري بردي المصدر الذي اقتبسها منه .

ابن يوسف ومن الكاتبة فخر النساء شهدة بنت ابى نصر • وكان يذكر انه سمع ديوان والده منه وحدث • ولنا منه اجازة • ووالده ابو الفتح الشاعر المشهور وقد تقدم ذكره » •

(نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية رقم « ١٩٨٢ د » الجزء الثانى ص ١٨٨) وقد افادنا بهذا الخبر الاستاذ العلامة المحقق الدكتور مصطفى جواد نقلا عن المخطوطة المذكورة اعلاه •

ولعبد اللطيف هذا ولد اسمه محمد وهو حفيد السبط بن التعاويذى ذكره صاحب كتاب الحوادث الجامعة المنسوب لابن الفوطى فى حوادث سنة اربعين وستمائة حيث جاء فيها ما نصه كذلك : « وفيها توفي محمد بن عبد اللطيف بن التعاويذى كاتب الحلة يومئذ بها • وكان كاتبا جيدا حسن الكتابة كيسا متواضعا خدم فى عدة خدمات وكان كثيرالنكبات وكان ذا فضل يقول شعرا جيدا سأله بعض اصحابه ان يقول عن لسانه ابياتا يسأل فيها التخفيف عن اجرة دكانه وكان بزازا فقال :ـ

يا شرف الدولة احسن كما	قد خصك الله باحسانه
فالعبد ما مرت به شدة	اصعب من اجرة دكانه
فاشفع له عند امام الهدى	متعه الله بسلطانه
لتؤخذ الاجرة منه كما	تؤخذ من سائر جيرانه
اولا فحوله وقل حانقا	قد مات منه بعض سكانه

(الحوادث الجامعة المنسوب لابن الفوطى وهو كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق بن‌الفوطى المؤرخ البغدادى ص ١٧٨ طبعة المكتبة العربية ببغداد لصاحبها نعمان الاعظمى مطبعة الفرات سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣٢م) علق على حواشيه الدكتور مصطفى جواد آنذاك) • فيكون محمد هذا قد توفى بعد وفاة ابيه بست سنوات فقط وبهذا يكون قد عمر اقل من ابيه مما نستدل انه كان شاعرا بالفطرة لانه لم يكن ينظم الشعر للتكسب به كجده بل كان‌محترفا

مهنة البز وكان احد البزازين وقد قام بعدة خدمات آخرها البزازة .

هذا ما عن لى تدوينه في دراسة هذا الشاعر الذى سد ثلمة كبيرة خلال القرنين الاخيرين للدولة العباسية فى حقل الادب واللغة خدمة للادب والتاريخ ورائديهما من الذين يهمهم الاطلاع على مغالق الماضي ومحاسنه الادبية والتاريخية فى شتى المواقف والحوادث الزمنية والثمار الادبية ..

هذا ومن الجدير باسترعاء انتباه القراء ان معظم مواضيع هذا الكتاب وخاصة الدراسة الشعرية قد نشرت تباعا فى جريدة العالم العربى لصاحبها الصحافى الاديب المرحوم سليم حسون فى الاعداد المتراوحة بين اواخر سنة ١٩٤٤ وبداية ١٩٤٥ حيث كان آخر بحث تحت رقم (٣٤) في يوم الخميس الموافق (٤) كانون الثانى سنة ١٩٤٥ العدد ٢١٦٨ من الجريدة المذكورة .

تم الكتاب بعون الله الوهاب

فهرست مواضيع الكتاب

فهرست اسماء الاعلام الواردة فى الكتاب

- ص -

- ق -

فهرست اسماء الاماكن والبقاع

فهرست اسماء الكتب الواردة فى الكتاب
بحسب حروف الالفباء

الـكتب الافرنجية

1. Dictionmaire detaille des noms des Vetement chez les Arabes par Dozy p. 89
2. Dozy's Supplment p. 8. 89.
3. Lexicon Syriacum auctore Hassano Bar Bahlule par Rubens Duval. p. 149.

تصويبات

صفحة	السطر	الخطــأ	الصواب
١٢	٢	قصائدة	قصائده
١٢	٤	الحجة	الحجبة
١٢	٥	الجزيرة	الخريدة
٣٣	١٠	طبابا	طباطبا
٣٩	١٢	مستشفى الجمهورية	المستشفى الجمهورى
٣٩	٢٨	خنزابة	حنزابة
٤١	٥	الحاشية فيها هى جزءمتمم لحاشية ص ٤٠ فليلاحظ ذلك	
٤٤	١٩	منتخبا	منتخبات
٤٩	١٧	ببسط	بسبط
٨٩	١٠	Ches	Chez
٩٩	٥	جفى	جفنى
١٢٧	١٧	ثغرة	ثغره
١٢٩	٢٥	. . .	=
١٣٠	١٠	. . .	=
١٣٢	١٩	طلما	كلما
١٣٦	٧	(١)	يحذف هذا الرقم
١٣٦	١١	(٢)	(١)
١٣٦	١٣	(٣)	(٢)
١٥٩	٣١	. . .	١٥٩ (وهو رقم تسلسل الصحائف)
١٦١	٣٣	ابى المنجا	ابن المنجا

SIBT IBN AL TA'WITHI

An Iraqi Famous Poet
Lived in the hejira Sixth
Century

(519 — 584 h.)
(1125 — 1188 A.C.)

By

Yusuf Yacub Miscony

Printed by the assistance
of the Ministry of Education

First edition

(1959 A.C. = 1378 H.)

Shafik Press
Baghdad.